

الصفات النبوية

في ضوء الكتاب والسنة

وفهم سلف الأمة

وأقوال مشايخ التبليغ والدعوة

بقلم

محمد علي محمد إمام

قدم له جمع من السادة العلماء الفضلاء الأجلاء

الجزء الثالث

الطبعة الأولى ٢٠١٨ □

الصفة الثالثة

العلم مع الذكر

(وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا)





العلم والذكر

الآيات في فضل العلم

قال الله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (١)، (٢).

قال تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ (٣)، (٤).

(١) سورة المجادلة_ الآية ١١.

(٢) فهي رأس العلم وأفضله وبقية العلوم تبع، فهي العلم الأساسي والجهد عليها جهد أساسي.

(٣) سورة الرحمن _ الآيات من ١ : ٤ .

(٤) قال أبو حيان الأندلسي رحمه الله: ولما عدّد نعمه تعالى، بدأ من نِعَمِهِ بما هو أعلى رتبها، وهو تعليم القرآن، إذ هو عماد الدين ونجاة من استمسك به.. ولما ذكر تعليم القرآن ولم يذكر المعلم، ذكره بعد في قوله: (خَلَقَ الْإِنْسَانَ) ، ليُعلم أنه المقصود بالتعليم" انتهى . "البحر المحيط" (١٨٧/١٠) . وقال الألويسي رحمه الله: ثم أتبع سبحانه نعمة تعليم القرآن بخلق الإنسان فقال تعالى: (خَلَقَ الْإِنْسَانَ) ؛ لأن أصل النعم عليه، وإنما قدم ما قدم منها لأنه أعظمها، وقيل: لأنه مشير إلى الغاية من خلق الإنسان، وهو كماله في قوة العلم، والغاية متقدمة على ذي الغاية ذهناً، وإن = كان الأمر بالعكس خارجاً" انتهى . "روح المعاني" (٩٩/٢٧) . وقال الشيخ ابن

وقال تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (١).
وقال تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢).
وقال تعالى: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ
﴾ (٣).



عظيمين رحمه الله: وبدأ الله تعالى بتعليم القرآن قبل خلق الإنسان إشارة إلى أن
نعمة الله علينا بتعليم القرآن أشد وأبلغ من نعمته بخلق الإنسان، وإلا من المعلوم أن
خلق الإنسان سابقاً على تعليم القرآن، لكن لما كان تعليم القرآن أعظم منة من الله
عز وجل على العبد قدمه على خلقه " انتهى . لقاءات الباب المفتوح " (رقم/١٨٨) ..

(١) سورة العلق - الآيات من ١ : ٥ .

(٢) سورة الزمر - الآية ٩ .

(٣) سورة المجادلة - الآية ١١ .

الأحاديث في فضل العلم

عَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ" متفق عليه (١).

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا" متفق عليه (٢).

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "فَوَ اللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ" متفق عليه (٣).
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ" رواه مسلم (٤).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ

(١) صحيح البخاري «كتاب العلم» باب مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ (٧١)، صحيح مسلم «كتاب الإمامة» باب قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا... رقم الحديث: ٣٥٥٦.

(٢) صحيح البخاري «كتاب الأحكام» باب أَجْرٍ مَنْ قَضَى بِالْحِكْمَةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧٢٢)، صحيح مسلم - كتابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا - بابُ فَضْلِ مَنْ يَقُومُ بِالْقُرْآنِ ، وَيُعَلِّمُهُ ، وَفَضْلِ مَنْ تَعَلَّمَ - حديث رقم ١٤٠٦.

(٣) صحيح البخاري «كتاب الجهاد والسير» باب فَضْلِ مَنْ أَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ رَجُلٌ (٢٨٤٧)، صحيح مسلم «كتاب فضائل الصحابة» باب من فضائل علي بن أبي طالب (٢٤٠٦).

(٤) صحيح مسلم «كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار...» باب فَضْلِ الْجَمْعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ... رقم الحديث: ٤٨٧٣.

مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا. رواه مسلم.
(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ" رواه مسلم (٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَرْجِعَ" رواه الترمذي (٣).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَذْنَائِكُمْ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةِ فِي حُجْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتِ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ الْخَيْرِ" رواه الترمذي (٤).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ

(١) صحيح مسلم « كِتَابُ الْعِلْمِ » بَابُ مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً وَمَنْ... رَقْمُ الْحَدِيثِ: ٤٨٣٧.

(٢) صحيح مسلم « كِتَابُ الْوَصِيَّةِ » بَابُ مَا يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنَ الثَّوَابِ بَعْدَ وَفَاتِهِ _ رَقْمُ الْحَدِيثِ: ٣٠٩٢.

(٣) سنن الترمذي « كِتَابُ الْعِلْمِ » بَابُ فَضْلِ طَلَبِ الْعِلْمِ (٢٦٤٧).

(٤) سنن الترمذي « كِتَابُ الْعِلْمِ » بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الْفَقْهِ عَلَى الْعِبَادَةِ... رَقْمُ الْحَدِيثِ: (٢٦٢٨).

وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَاراً وَلَا دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ" رواه أبو داود والترمذي (١).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ مِنْ أَخْوَالِهِ يُقَالُ لَهُ قَبِيصَةُ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَرَحَّبَ بِهِ، وَقَالَ لَهُ: "يَا قَبِيصَةُ، جِئْتَ حِينَ كَبُرَتْ سِنُّكَ، وَدَقَّ عَظْمُكَ، وَاقْتَرَبَ أَجْلُكَ". قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْتُكَ، وَمَا كِدْتُ أَنْ أَجِيئَكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَبُرَتْ سِنِّي، وَدَقَّ عَظْمِي، وَاقْتَرَبَ أَجْلِي، وَافْتَقَرْتُ وَهَنْتُ عَلَى النَّاسِ، وَجِئْتُكَ تُعَلِّمُنِي شَيْئًا يَنْفَعُنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَا تُكْثِرُ عَلَيَّ؛ فَإِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "كَيْفَ قُلْتَ يَا قَبِيصَةُ؟" فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: "وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا كَانَ حَوْلَكَ مِنْ حَجَرٍ، وَلَا شَجَرٍ، وَلَا مَدَرٍ إِلَّا بَكَى لِقَوْلِكَ، فَهَاتِ". فَقَالَ: جِئْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي شَيْئًا يَنْفَعُنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَا تُكْثِرُ عَلَيَّ؛ فَإِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ. قَالَ: "يَا قَبِيصَةُ، إِذَا أَصْبَحْتَ، وَصَلَّيْتَ الْفَجْرَ، فَقُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ أَرْبَعًا، يُعْطِيكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْبَعًا لِدُنْيَاكَ، وَأَرْبَعًا لآخِرَتِكَ، فَأَمَّا أَرْبَعًا لِدُنْيَاكَ: فَإِنَّكَ تُعَافَى مِنَ الْجُنُونِ، وَالْجُدَامِ، وَالْبَرَصِ، وَالْفَالِجِ، وَأَمَّا أَرْبَعًا لآخِرَتِكَ: فَقُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي مِنْ عِنْدِكَ، وَأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ، وَانْشُرْ عَلَيَّ مِنْ رَحْمَتِكَ،

(١) سنن الترمذي - رقم الحديث: ٢٦٢٥، سنن ابن ماجه « كِتَابُ ابْنِ مَاجَهَ » أَبْوَابُ فِي فَضَائِلِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - رقم الحديث: ٢١٩، سنن أبي داود - رقم الحديث: ٣١٦٠.

وَأَنْزَلَ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ " . فَجَعَلَ يَعْقِدُهُنَّ ، فَقَالَ رَجُلٌ : مَا أَشَدَّ مَا عَقَدَ عَلَيْهِنَّ خَالُكَ . فَقَالَ : " أَمَا إِنَّهُ إِنْ وَفَى بِهِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَمْ يَدْعُهُنَّ رَغْبَةً عَنْهُنَّ وَلَا نِسْيَانًا ، لَمْ يَأْتِ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدَهُ مَفْتُوحًا (١) .

وفي رواية أحمد: عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ الْمُخَارِقِ قَالَ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِي يَا قَبِيصَةُ مَا جَاءَ بِكَ قُلْتُ كَبُرَتْ سِنِّي وَرَقَّ عَظْمِي فَاتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي مَا يَنْفَعُنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ قَالَ يَا قَبِيصَةُ مَا مَرَزْتَ بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ وَلَا مَدَرٍ إِلَّا اسْتَغْفَرَ لَكَ يَا قَبِيصَةُ إِذَا صَلَّيْتَ الْفَجْرَ فَقُلْ ثَلَاثًا سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ تُعَافَى مِنَ الْعَمَى وَالْجُذَامِ وَالْفَالِجِ يَا قَبِيصَةُ قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِمَّا عِنْدَكَ وَأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ وَانْشُرْ عَلَيَّ رَحْمَتَكَ وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ (٢) .

وَعَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ الْمُرَادِيِّ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ مُتَكِيٌّ عَلَى بُرْدٍ لَهُ أَحْمَرٍ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي جِئْتُ أَطْلُبُ الْعِلْمَ ، فَقَالَ : " مَرْحَبًا بِطَالِبِ الْعِلْمِ ، إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ لَتَحْفُهُ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنَحَتِهَا ، ثُمَّ يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغُوا السَّمَاءَ الدُّنْيَا مِنْ مَحَبَّتِهِمْ لِمَا يَطْلُبُ " رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح (٣) .



(١) عمل اليوم والليلة لابن السني « باب: مَا يَقُولُ فِي دُبُرِ صَلَاةِ الصُّبْحِ _ رقم الحديث: ١٣٣ .
(٢) مسند أحمد بن حنبل « مُسْنَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ ... » أَوَّلُ مُسْنَدِ الْبَصَرِيِّينَ « حَدِيثُ قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ... رقم الحديث: (٢٠١٠٨) .
(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد « كتاب العلم » باب في طالب العلم وإظهار البشر له (٥٥٠) .

الآثار في فضل العلم

أخرج أبو نعيم في الحلية: عن كميل بن زياد النخعي قال: أخذ عليّ بيدي، فأخرجني إلى ناحية الجبان (١)، فلما أضحرنّا، جلس، ثمّ تنفّس، ثم قال: يا كميل بن زياد القلوب أوعى؛ فخيرها أوعاها، احفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة: فعالم ربانيّ، ومتعلّم على سبيل نجاة، وهمج رعاع، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق. العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل، والمال تنقصه النفقة، العلم حاكم، والمال محكوم عليه، وصناعة المال تزول بزواله، ومحبة العالم دين يداّن بها.

العلم يُكسب العالم الطاعة في حياته، وجميل الأحدثّة بعد موته، وصناعة المال تزول بزواله، مات خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة، ها إن ههنا - وأشار بيده إلى صدره - علماً لو أصبت له حملة بلى، أصبته لقناً غير مأمون عليه، يستعمل آلة الدين للدنيا، يستظهر بحجج الله على كتابه، وبنعمه على عباده، أو مُنقاداً لأهل الحق، لا بصيرة له في إحيائه، يقتدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة، لا ذا، ولا ذاك.

(١) أي المقابر .

أَوْ مِنْهُمْ بِاللَّذَّةِ، سَلِسُ الْقِيَادِ لِلشَّهَوَاتِ، أَوْ فَمُغْرَى بِجَمْعِ الْأَمْوَالِ،
وَالادِّخَارِ، لَيْسَا مِنْ دُعَاةِ الدِّينِ، أَقْرَبُ شَبَهًا بِهِمَا الْأَنْعَامُ السَّائِمَةُ، كَذَلِكَ
يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ.

اللَّهُمَّ! بَلَى! لَنْ تَخْلُوَ الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ، لِكَيْ لَا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ
وَبَيِّنَاتُهُ، أُولَئِكَ الْأَقْلُونَ عَدَدًا، الْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا، بِهِمْ يَدْفَعُ اللَّهُ عَنْ
حُجَجِهِ، حَتَّى يُؤَدُّوَهَا إِلَى نُظَرَائِهِمْ، وَيَزَرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ، هَجَمَ بِهِمُ
الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، فَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوَعَرَ مِنْهُ الْمُتَرْفُونَ، وَأَنَسُوا بِمَا
اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ، وَصَاحَبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى،
أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي بِلَادِهِ، وَدُعَاتُهُ إِلَى دِينِهِ (١)، هَاهُ هَاهُ شَوْقًا إِلَى رُؤْيَيْهِمْ،
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكَ، إِذَا شِئْتَ فَقُمْ (٢).



(١) قوله (دعاته إلى دينه) : الدعاة جمع داعٍ كقاضٍ ورامٍ ورماةٍ وإضافتهم إلى الله ﷻ للاختصاص، أي الدعاة المخصوصون به الذين يدعون إلى دينه ومعرفته ومحبته وهؤلاء هم خواص خلق الله وأفضلهم عند الله منزلة وأعلامهم قدراً .
وقوله: (الأقلون عدداً) إشارة إلى أنهم أهل الغربة (مفتاح دار السعادة - لابن القيم).
(٢) أخرج هذه الوصية أبو نعيم في « الحلية » (٧٩/١) والخطيب في « الفقيه والمتفقه » (٤٩/١) و « جامع بيان العلم » (١١٢/٢) و « البداية والنهاية » (٤٧/٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَهَيِّدٌ

- ★ يقول الشيخ إلياس (رحمه الله) : العلم بدون الذكر ظلمة.. والذكر بدون العلم فتنه وفساد.. وهذا المنهج (١) إذا تجرد عن العلم والذكر فلن يبقى إلا المادية البحتة خالية من الروح الإيمانية (٢). حضانة العلم خمسة عشر عاما، أما حضانة الإيمان والقيم والأخلاق أربعون عاما.
- ★ بإحياء الحياة المسجدية تخرج من حياتنا حياة الأغيار، وتدخل في حياتنا حياة النبي (ﷺ) والصحابة الأخيار .
- ★ المسجد محل تعلم الدين ولكن محل تطبيق الدين خارج المسجد، وخارج المسجد جميع شعب الحياة.
- ★ الذي ينقطع عن حياة المسجد ينقطع عن الدين، والذي ينقطع عن الدين ينقطع عن الله تعالى.
- ★ كان العلم يأخذ من المسجد فكان بين العلم والعمل موافقة ومطابقة، ولما خرج من المسجد إلى المدارس فلم يُصبح هناك موافقة بين العلم والعمل .
- ★ خروج العلم من المسجد جاء بالضلالة.

(١) أي منهج الدعوة والخروج في سبيل الله.
(٢) أهمية العلم والذكر في الإسلام ومدى احتياج الإنسان إليها ص ٩٨.

★ الصحابة تعلموا فضائل الصلاة في المسجد، وكذلك المسائل تعلموها في المسجد.

★ الصحابة رضي الله عنهم، كانوا يفرغون الأوقات ويمكثون في المسجد ليتعلموا الدين، فعن أبي زيد يعني عمرو بن أخطب، قال: " صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفَجْرَ وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهُرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ ثُمَّ نَزَلَ، فَصَلَّى ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ فَأَعْلَمْنَا أَحْفَظْنَا " رواه مسلم (١).

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ إِنِّي عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ قَالُوا بَشَرْتَنَا فَأَعْطِنَا فَدَخَلَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ قَالُوا قَبِلْنَا جِئْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ مَا كَانَ قَالَ كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ ثُمَّ أَتَانِي رَجُلٌ فَقَالَ يَا عِمْرَانُ أَذْرِكُ نَاقَتَكَ فَقَدْ ذَهَبَتْ فَأَنْطَلَقْتُ أَطْلُبُهَا فَإِذَا السَّرَّابُ يَنْقَطِعُ دُونَهَا وَأَيْمُ اللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّمَا قَدْ ذَهَبَتْ وَلَمْ أَقُمْ " رواه البخاري (٢).

(١) صحيح مسلم « كِتَابُ الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ » بَابُ إِخْبَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - رَقْمُ الْحَدِيثِ (٥١٥٣).

(٢) صحيح البخاري - كِتَابُ بَدْءِ الْخَلْقِ - حَدِيثُ ٣١٩١

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ عَنْ عُمَرَ قَالَ كُنْتُ أَنَا وَجَارِي مِنْ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاقَشُ النَّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ فَنَزَلَ صَاحِبِي الْأَنْصَارِيُّ يَوْمَ نُوْبِتِهِ فَضْرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا فَقَالَ أَنْتُمْ هُوَ فَفَزِعْتُ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ قَدْ حَدَّثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ قَالَ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَإِذَا هِيَ تَبْكِي فَقُلْتُ طَلَّقُكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ لَا أَذْرِي ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ أَطَلَّقْتَ نِسَاءَكَ قَالَ لَا فَقُلْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ . (١).

انظر يا أخي الحبيب كيف كانوا يفرغون الأوقات، ويأتون من بلاد بعيدة من اليمن وغيرها من البلدان والقبائل ليتعلمون الدين، ويتفقهون في دين الله ﷻ، وكيف كان حرصهم على طلب العلم، حيث يصلون الفجر ولا يخرجون من المسجد، والنبى يصعد المنبر ثم يعلمهم مما علمه الله.. من الفجر وحتى غروب الشمس، وأيم الله! إن لنا في رسول الله ﷺ وأصحابه قدوة، عندما نفرغ الوقت، ونجلس في بيوت الله نتعلم الدين ثم نبلغه الناس.

★ العلم يؤتى إليه، والدعوة تمشى أنت لمن تدعوه.

★ العلم معلومات في العقل، والدعوة قال تعالى: ﴿وَالِى رَبَّكَ فَارْغَبْ﴾ (٢)

فالجهد على العقل بالعلم وعلى القلب بالدعوة .

★ المعلم عنده معلومات والداعي عند صفات [على علم طبعاً] ولا تستطيع

(١) صحيح البخاري « كتاب العلم » باب التناوب في العلم _ رقم الحديث (٨٩).

(٢) سورة الشرح _ الآية ٨.

أن تغزو القلب إلا بالصفات.

✱ التعليم يرفع النفس مثل إعدادي .. ثانوي.. وفي التعليم معلم وطالب، وفي الدعوة يتشبه الداعي بالطالب يتدلل لمن يدعوه.

✱ التعليم جهد صعود والدعوة جهد نزول [في البئر. في الرق. في السجن].

✱ الداعي كلما تعمق في الدعوة يحتاج هدايات أقوى.

✱ مفتاح القصة الدعوية تحريك القدم، قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ﴾ (١) وقال تعالى: (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) (٢) وقال تعالى: ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّئُهُدِينَ ﴾ (٣) .

✱ ومفتاح القصة التعليمية تحريك القلم، والعجيب أن الرسول ﷺ ما استخدم القلم شخصياً، فيمن كان عنده احترام وفهم القرآن ممكن نأخذ منه باقي العلم (٤) .

✱ مقصد تعليم الفضائل: أن يتولد عندنا الاحتساب عند القيام بأي عمل، بكل عملٍ الله يعطيني كذا وكذا بهذا يأتي الاستعداد للعمل.

✱ يقول الشيخ عبد الوهاب (حفظه الله): في حلقة التعليم نفرغ قلوبنا من الخيالات، فإذا ذكر الله وجلت قلوبنا، وإذا ذُكرت الجنة استحضرننا نعيمها،

(١) سورة يس _ الآية ٢٠.

(٢) سورة طه _ الآية ٢٤.

(٣) كتاب الأنوار النعمانية بقلم المؤلف.

(٤) سورة الصافات _ الآية ٩٩.

وإذا ذُكرت النار استحضرتنا لهيئها (١).

✱ لا يمكن تعلم العلم بغير صحبة العلماء .. فبغير صحبتهم يأتي الكلام بدون النور، وبالصحبة يأتي نور العلم.

✱ يقول الشيخ يوسف الكاندهلوي (رحمه الله): العلم إذا جاء بطريق الباطل لا يحیی به الحق، بل يحیی به الباطل .. فهل إناء الزبالة تستطيع أن تشرب فيه اللبن.

✱ بالعلم يأتي الاعتدال في المعاملات والمعاملات .. وبالعلم يأتي الاعتدال في الدعوة .. بل الاعتدال في كل شيء.

✱ كل الفتن تنشأ في الأمة بسبب الجهالة (الغلو، الإفراط، التفريط).

✱ الولد عندما يولد يكون لباسه صغير، ولما يكبر يكون لباسه كبير، فكذلك نسخت الشرائع وجاءت شريعة النبي صلى الله عليه وسلم.

✱ العلوم الدنيوية ليست بعلوم، بل تُسمى فنون وتخطأ وتُصيب، ولكن العلم الذي جاء به النبي : (وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا)، (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) .

✱ تعلم وتعليم الدين العملي حاجتنا ومسئوليتنا.

✱ العلم الإلهي: معناه كيف نستفيد من الله مباشرة ولا نستفيد إلا إذا نظفنا قلوبنا من أثر المخلوق.

✱ النبي علم أصحابه وحفظهم من العلوم الأخرى كما فعل مع عمر لما

(١) نصيحة الدعاة إلى الله من كلام الشيخ عبد الوهاب بقلم المؤلف.

وجده يقرأ في صحف من التوراة مع أنها علوم ربانية إلا أنها قد نُسخَت: فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَتَى النَّبِيَّ (ﷺ) بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ الْكُتُبِ قَالَ فَعَضِبَ وَقَالَ: "أَمْتَهُوْكَونَ (١) فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَفِيَّةٍ لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بَيَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي" (٢).

★ **التعليم سهل ولكن التربية صعب:** نتعلم الصبر، التقوى، الصدق، ولكن نربي على الصبر والصدق والتقوى، هذا صعب.

★ **قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ**

(١) هوك: الْأَهْوَكُ الْأَحْمَقُ، وَفِيهِ بَقِيَّةٌ، وَالْإِسْمُ الْهَوَكُ، وَقَدْ هَوَكَ هَوَاً. وَرَجُلٌ هَوَاً وَمْتَهُوْكَ مُتَحَيِّرٌ؛ أَنْشَدَ ثَعْلَبُ:

إِذَا تَرَكَ الْكُعْبِيَّ وَالْفَوْلَ سَادِرًا تَهَوَّكَ حَتَّى مَا يَكَادُ يَرِيعُ
وَقَدْ هَوَكَهُ غَيْرُهُ. وَالْأَهْوَكُ وَالْأَهْوَجُ وَاحِدٌ. وَالتَّهَوُّكُ: السَّقُوطُ فِي هَوَاةٍ الرَّدَى. وَقَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ: يَعْنِي أَمْتَحِيرُونَ؟ وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَمْتَرَدَّدُونَ سَاقِطُونَ؟ وَإِنَّهُ لَمْتَهُوْكَ لَمَّا هُوَ فِيهِ أَيْ يَرْكَبُ الذُّنُوبَ وَالْخَطَايَا. الْجَوْهَرِيُّ: التَّهَوُّكُ مِثْلُ التَّهَوُّرِ، وَهُوَ الْوُقُوعُ فِي الشَّيْءِ بِقَلَّةٍ مُبَالَاةٍ وَغَيْرِ رَوِيَّةٍ. وَالتَّهَوُّكُ: التَّحْيِيرُ. ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: الْأَهْكَاءُ: الْمُتَحَيِّرُونَ، وَهَآكَاةُ إِذَا اسْتَصْغَرَ عَقْلُهُ. وَالْمْتَهُوْكَ: الَّذِي يَقَعُ فِي كُلِّ أَمْرٍ. وَفِي الْحَدِيثِ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ: أَنَّ عُمَرَ أَتَاهُ بِصَحِيفَةٍ أَخَذَهَا مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكِتَابِ فَعَضِبَ، وَقَالَ: أَمْتَهُوْكَونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ (لسان العرب لابن منظور «حرف الهاء» هوك).

(٢) مسند أحمد بن حنبل - مُسْنَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ - بَاقِي مُسْنَدِ الْمُكْثَرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ ... رقم الحديث: ١٤٨٥٩، مصنف ابن أبي شيبة - رقم الحديث: ٢٥٨٣٤ .

أَمْضِيَ حُقُبًا) أي: سنين عديدة من غير تحديد من أجل تعلم العلم.

★ إذا اعترفنا بجهلنا وربطنا حياتنا بالعلم الإلهي، فهذا العلم يقودنا إلى الجنة والسعادة.

★ العمل بدون علم، والعلم بدون عمل، طريقان للنار (١).

★ العلم بدون عمل ضلالة.. والذكر بدون علم جهالة (٢).

★ ويتم التعليم دائماً في الفترة الصباحية من الساعة الثامنة ونصف حتى قبيل

صلاة الظهر، وإن لم تتم في الصباح يتم تعيين وقت آخر للحلقة.

★ قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ

يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي

ضَلَالٍ مَّبِينٍ﴾ (٣).

★ التعليم بطريقة الرسول ﷺ: يثمر الخشية من الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا

يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (٤).

★ التعليم بطريقة الرسول ﷺ: يثمر الزهد.

★ تعليم الفضائل: يثمر حب الفضائل.

★ الفضائل: ليست للتشويق للعمل فحسب، بل لترقية العمل.

(١) من أقوال الدكتور نعمان أبو الليل.

(٢) من أقوال الشيخ يوسف الكاندهلوي.

(٣) سورة آل عمران – الآية ١٦٤.

(٤) سورة فاطر – الآية ٢٨.

- ★ تعليم المسائل: لتصحيح العبودية.
- ★ نعرف الأمر ونحبه: "أَرْحَنَّا بِهَا يَا بِلَالُ" (١).
- ★ البعض يقوم بالأعمال من أجل زوال مشاكله، فإذا زالت فهو يتوقف عن العمل، ولكن يجب القيام بالعمل في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره.. في جميع الأحوال.
- ★ الناس يتعلمون علم المعاش (علم الطب والهندسة....الخ)، ونحن في الخروج في سبيل الله عز وجل نتعلم علم المعاد.
- ★ الذي يتعلم العلم ليكون عالماً فقط، يأتي فيه الكبر، والكبر أكبر من الجهالة.
- ★ والذي يتعلم العلم ليُعلم الآخرين دون أن يعمل به يكون خسارة عليه، مثل الشمعة التي تضيء للناس وتحرق نفسها، كما ورد في الحديث عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَثَلُ الْعَالِمِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ، كَمَثَلِ السَّرَاجِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيَحْرِقُ نَفْسَهُ " (٢).

(١) المعجم الكبير، ح/ ٦٢١٥. وبلفظ: "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ، أَنَّهُ قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبِي، إِلَى صِهْرٍ لَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ نَعُودُهُ فَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَقَالَ لِبَعْضِ أَهْلِهِ: يَا جَارِيَةُ اثْنُونِي بِوَضْعٍ لَعَلِّي أَصَلِّي فَأَسْتَرِيحَ، قَالَ: فَأَتَكْرَنَّا ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «قُمْ يَا بِلَالُ فَأَرْحَنَّا بِالصَّلَاةِ». أخرجه أبوداود في السنن برقم ٤٩٨٥ وصححه شيخنا الألباني رحمه الله في صحيح الجامع - الرقم: ٧٨٩٢.

(٢) ذم من لا يعمل بعلمه لابن عساكر» الرقم : ٩، المعجم الكبير للطبراني _ رقم الحديث: ١٦٥٨.

★ والذي يعبد الله ولا يتعلم فهو ضال (مثل النصارى)، والذي يتعلم ولا يعمل فهو من المغضوب عليهم (مثل اليهود).

★ والذي تعلم ليعمل به يكن متواضعا.. عمل الصحابة صار لنا عملا.

★ ليس المقصود من العلم المعلومات ولكن المقصود رضا الله عز وجل.

★ التعليم لإصلاح العواطف والمشاعر، لذلك نوجه الكلام إلى القلب، لأنه

محل العواطف والمشاعر التي تؤثر في كل الجوارح، لذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (١).

★ العلم الحقيقي: أن تسمع ثم تعمل، ولهذا لما سمع الجن القرآن، قال

بعضهم لبعض (أنصتوا)، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ

يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ

مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ

يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا

بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ

فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ﴾ (٢).

مجرد ما سمعوا ذهبوا إلى أقوامهم دعاء إلى الله.

(١) سورة ق - الآية ٣٧ .

(٢) سورة الأحقاف - الآيات من ٢٩ : ٣٢ .

★ والسماع المحمود: هو سماع الحق:

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (١).
وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ
بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢).

★ أما السماع المذموم: سماع الباطل بأنواعه، وسماع الحق وعدم
العمل به: قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ
وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ
الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٣)

★ الترتيب الصحيح: قال الله عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا
كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا
رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (٤) .

وهذا هو الفهم الصحيح للعلم، أن نعلم ثم نعمل ثم نبلغ.

★ العلم ينفع عند نزول النعم: عندما نباشر نعم الله بعلم فنحمده عليها،

فتدوم النعمة بعد الموت، فعن أنس بن مالك قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): " إِنْ

(١) سورة البقرة - الآية ٢٨٥.

(٢) سورة النور - الآية ٥١.

(٣) سورة الأنفال - الآيات من ٢٠ : ٢٢.

(٤) سورة التوبة - الآية ١٢٢.

اللَّهُ لَيَرِضَىٰ عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا. رواه مسلم.)

★ العلم ينفع في حال المصائب: وعندما يباشر العبد حال المصيبة بعلم

فيحمده عليها، فيدوم ثوابها بعد الموت: فعن أَبُو مُوسَى، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمْدَكَ، وَاسْتَرْجَعَ. فَيَقُولُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ. قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

ليس المقصود من العلم جمع المعلومات، إنما المقصود تغيير القلوب، فإبليس

كان عنده العلم ولكن لم يتغير قلبه لذلك طرد من رحمة الله تعالى.



النية في طلب العلم

تصحیح النية في طلب العلم ضروري جداً وإلا أصبح العلم وبالا على صاحبه، ففي الحديث : أَنَّ شُفِيًّا الْأَصْبَحِيَّ دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟، فَقَالُوا: أَبُو هُرَيْرَةَ، فَذَنُوتُ مِنْهُ حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَلَمَّا سَكَتَ وَخَلَا قُلْتُ لَهُ: "أَنْشُدْكَ بِحَقِّ وَبِحَقِّ، لِمَا حَدَّثْتَنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - عَقَلْتُهُ وَعَلِمْتُهُ". فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أَفْعَلُ، لِأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - عَقَلْتُهُ وَعَلِمْتُهُ، ثُمَّ نَشَعَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً -أَي: شَهَقَ ثُمَّ أَعْمِيَ عَلَيْهِ- فَمَكَثَ قَلِيلًا، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: لِأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَعَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً أُخْرَى، ثُمَّ أَفَاقَ فَمَسَحَ وَجْهَهُ، فَقَالَ: لِأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - ، وَأَنَا وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَعَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً أُخْرَى، ثُمَّ أَفَاقَ وَمَسَحَ وَجْهَهُ، فَقَالَ: أَفْعَلُ لِأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَأَنَا مَعَهُ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا مَعَهُ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَعَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ مَالَ خَارًا عَلَى وَجْهِهِ فَأَسْنَدْتُهُ عَلَيَّ طَوِيلًا، فَقَالَ: "حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -، أَنَّ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِي: أَلَمْ أَعْلَمَكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟، قَالَ:

بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ؟، قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ فُلَانًا قَارِيٌّ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ. وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أُوسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدْعَكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟، قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟، قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ. وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: فِي مَادَا قُتِلْتَ؟، فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيَقُولُ اللَّهُ -تعالى- لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ. ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - عَلَى رُكْبَتَيْ، فَقَالَ: "يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". قَالَ الْوَلِيدُ أَبُو عَثْمَانَ: فَأَخْبَرَنِي عُقْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ، أَنَّ شَفِيئًا هُوَ الَّذِي دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: قَدْ فُعِلَ بِهِؤُلَاءِ هَذَا، فَكَيْفَ بِمَنْ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ ثُمَّ بَكَى مُعَاوِيَةُ بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ هَالِكٌ، وَقُلْنَا: قَدْ جَاءَنَا هَذَا الرَّجُلُ بِشَرٍّ، ثُمَّ أَفَاقَ مُعَاوِيَةُ وَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَالَ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا

صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١)(٢).

فالشهيد هو الذي يضحي بالنفس، والسخي هو الذي يضحي بالمال، والقارئ العالم هو الذي يعلم العلم وهذه الأعمال إذا كانت لغير الله ﷻ فهي تدخل صاحبها نار جهنم .

وهذه الأعمال إذا كانت فيها صفات الإيمان (إخلاص .. تقوى .. إحسان) فبها يتحصل الإنسان على معية الله ﷻ .. فنجتهد لهذه الصفات حتى يكون الله ﷻ معنا .

الإيمان الذي أمرنا الله ﷻ أن نتعلمه قبل كل شيء .. قبل التجارة .. الزراعة .. الزواج .. لأنه لو ضعف لا يدل على العمل، وإذا جاءت قوة الإيمان نزلت نصرة الله ﷻ (٣).

فإن العلم لا ينفع إذ لم تكن النية خالصة لإرضاء الله ، في حصوله وفي طلبه، بل إن العلم لن يُصبح علماً من الأساس إذ لم يصاحبه الإخلاص الكامل لله سبحانه وتعالى، ففي الحديث: فَعَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيِّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ: سَمِعْتُ

(١) سورة هود: الآيتان ١٥، ١٦ .

(٢) سنن الترمذي (٢٣٨٢) وقال هذا حديث حسن غريب، وقال الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) صحيح.

(٣) روائع العلامة محمد عمر البالمبوري (رحمه الله) { نبذة عن حياته وجهوده الدعوية، محاضراته في بيان منهج النبوة في الدعوة } ص ١٤٨ .

رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ: « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ ». صحيح البخاري (١) (٢).

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: ” مَا عَاجَلْتُ شَيْئًا أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ نِيَّتِي، إِثْمًا تَتَقَلَّبُ عَلَيَّ “ (٣).

أشرف العلوم

هو علم معرفة الله وأسمائه وأقوله وأفعاله وصفاته وشرعه، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، قال تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ (٤)، وهذا العلم فيه كمال الإنسان وسعادته وصلاحه وفلاحه في الدنيا والآخرة.

العلم النافع

هو ما طهر النفس، من أدوائها وشفى القلب من أمراضه، وأنار بصيرة العبد ليرى عيوب نفسه ومداخل الشيطان إليه، فيتحصن من الفتن بالذكر

(١) صحيح البخاري - كتاب بدء الوحي.

(٢) من كلام الشيخ إلياس الكاندهلوي (انظر كتاب أهمية العلم والذكر في الإسلام ومدى احتياج الإنسان إليها ص ٩٨).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي.

(٤) سورة محمد - الآية ١٩.

والطاعة، ويخرج من الشهوات بالعزيمة والإرادة، ويتحول من ظلمة الجهل بالمعرفة والبصيرة، ولذلك تعوذ رسول الله ﷺ فقال: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا" (١)، وقال: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا" (٢).

مقصد العلم

١ _ معرفة الله (ﷻ): لأن أشرف معلوم في الوجود هو الله عز وجل، يقول ابن الجوزي: العلم هو فهم الأصول، ومعرفة الرب المعبود، وعظمته وما يستحقه، والنظر في سيرة الرسول (ﷺ) وصحابته والتأدب بآدابهم، وفهم ما نقل عنهم، وهذا هو العلم النافع الذي يدع أعظم العلماء أحقر عند نفسه من أجهل الجهلاء (٣).

٢ _ حصول الخشية: لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (٤). وَعَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَوْلَهُ: تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ فَإِنَّ

(١) صحيح مسلم (٢٧٢٢) عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ.

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب الصلاة، باب ما يقال بعد التسليم، برقم ٩٢٥، والنسائي في السنن الكبرى، ٦ / ٣١، برقم ٩٨٥٠، وفي عمل اليوم والليلة له، برقم ١٠٢، وأحمد، ٤٤ / ١٤٠، برقم ٢٦٥٢١، ورقم ٢٦٦٠٢، ورقم ٢٦٧٠٠، ورقم ٢٦٧٣١، والحاكم، ١ / ٤٧٢، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١ / ١٥٢، برقم ٧٥٣.

(٣) صيد الخاطر لابن الجوزي.

(٤) سورة فاطر - الآية ٢٨ .

تَعْلَمُهُ اللَّهُ خَشْيَةً وَطَلَبُهُ عِبَادَةً وَمُدَارَسَتُهُ تَسْبِيحٌ وَالْبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ وَتَعْلِيمُهُ مَنْ لَا يَعْلَمُ صَدَقَةٌ وَبَذْلُهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةٌ وَهُوَ الْأَنْيَسُ فِي الْوَحْدَةِ وَالصَّاحِبُ فِي الْخُلُوةِ وَالِدَّلِيلُ عَلَى الدِّينِ وَالصَّبْرُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْوَزِيرُ عِنْدَ الْإِخْلَاءِ وَالْقَرِيبُ عِنْدَ الْغُرْبَاءِ وَمَنَارُ سَبِيلِ الْجَنَّةِ يَرْفَعُ اللَّهُ بِهِ أَقْوَامًا فَيَجْعَلُهُمْ فِي الْخَيْرِ قَادَةَ سَادَةٍ هُدَاةً يُقْتَدَى بِهِمْ أَدِلَّةٌ لِلْخَيْرِ تُقْتَفَى آثَارُهُمْ وَتُرْمَقُ أَعْمَالُهُمْ وَتَرْغَبُ الْمَلَائِكَةُ فِي خُلَّتِهِمْ وَبَاجِنِحَتِهَا تَمْسَحُهُمْ وَكُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ لَهُمْ يَسْتَغْفِرُ حَتَّى حَيْثَانُ الْبَحْرِ وَهَوَامُّهُ وَسِبَاعُ الْبَرِّ وَأَنْعَامُهُ وَالسَّمَاءُ وَنُجُومُهَا، لِأَنَّ الْعِلْمَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ مِنَ الْعَمَى وَنُورُ الْأَبْصَارِ مِنَ الظُّلْمِ وَقُوَّةُ الْأَبْدَانِ مِنَ الضَّعْفِ يَبْلُغُ بِهِ الْعَبْدُ مَنَازِلَ الْأَبْرَارِ وَالدرَجَاتِ الْعُلَى وَمُدَارَسَتُهُ بِالْقِيَامِ بِهِ يُطَاعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَبِهِ يُعْبَدُ، وَبِهِ يُوَحَّدُ، وَبِهِ يُمَجَّدُ، وَبِهِ يُتَوَرَّعُ، وَبِهِ تُوَصَّلُ الْأَرْحَامُ، وَبِهِ يُعْرَفُ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَهُوَ إِمَامٌ وَالْعَمَلُ تَابِعُهُ يُلْهَمُهُ السُّعْدَاءُ وَيُحَرِّمُهُ الْأَشْقِيَاءُ (١).

(١) وقد روي باختلاف في بعض الألفاظ: تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، فَإِنَّ تَعْلَمَهُ لِلَّهِ خَشْيَةً، وَطَلَبُهُ عِبَادَةً، وَمُدَارَسَتُهُ تَسْبِيحٌ، وَالْبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ، وَتَعْلِيمُهُ مَنْ لَا يَعْلَمُهُ صَدَقَةٌ، وَبَذْلُهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةٌ لِأَنَّهُ مَعَالِمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَمَنَارُ سَبِيلِ الْجَنَّةِ، وَالْأَنْيَسُ فِي الْوَحْدَةِ، وَالصَّاحِبُ فِي الْغُرْبَةِ، وَالِدَّلِيلُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَالسَّلَاحُ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَالْقَرِيبُ عِنْدَ الْغُرْبَاءِ، وَالزَّيْنُ عِنْدَ الْأَخْلَاءِ، يَرْفَعُ اللَّهُ بِهِ أَقْوَامًا فَيَجْعَلُهُمْ فِي الْخَيْرِ قَادَةَ يُقْتَدَى بِهِمْ، وَأَنْمَةً فِي الْخَيْرِ تُقْتَفَى آثَارُهُمْ، وَتُرْمَقُ أَعْمَالُهُمْ، وَيَنْتَهَى إِلَى رَأْيِهِمْ، تَرْغَبُ الْمَلَائِكَةُ فِي خُلَّتِهِمْ، وَبَاجِنِحَتِهَا = تَمْسَحُهُمْ، وَفِي صَلَاتِهَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ، حَتَّى كُلُّ رَطْبٍ، وَيَابِسٍ يَسْتَغْفِرُ لَهُمْ، حَتَّى الْحَيْثَانُ فِي الْبَحْرِ، وَهَوَامُّهُ، وَسِبَاعُ الْبَرِّ، وَأَنْعَامُهُ، وَالسَّمَاءُ وَنُجُومُهَا، إِنَّ الْعِلْمَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ مِنَ الْجَهْلِ، وَمَصَابِيحُ الْأَبْصَارِ مِنَ الظُّلْمِ، وَقُوَّةُ الْأَبْدَانِ مِنَ الضَّعْفِ، يَبْلُغُ بِهِ الْعَبْدُ مَنَازِلَ الْأَبْرَارِ، وَمَجَالِسِ الْمُلُوكِ، وَالدَّرَجَاتِ

٣ _ حصول التقوى: بدأ نزول القرآن بقوله تعالى: ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١). وانتهى بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢). لنعلم أن مقصود العلم حصول التقوى.

٤ _ معرفة أمر الله الموجه إليّ [في كل وقت وفي كل حال]، ثم إعمال النفس في ذلك العمل، مع مراقبة الله عز وجل (٣).

- وبعبارة أخرى: بالعلم نعرف ما يريد منا ربنا وكيف نفعله على طريق نبينا.

٥ _ أن نعبد الله علي بصيرة: (فمن عبد الله علي جهل فكأنما عصاه، وأن نعرف الحلال فنمتثل له، ونعرف الحرام فنجتنبه): فالعمل بدون علم يولد في صاحبه الخرافات والبدع والضلالة.

كل العلوم تدرس من أجل الجهد ولا يطلب العلم للعلم فقط، إنما للعمل والجهد.

الْعُلَى فِي الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةِ، وَالْفِكْرُ فِيهِ يُعْدَلُ بِالصِّيَامِ، وَمُدَارَسَتُهُ بِالْقِيَامِ، بِهِ يُطَاعُ اللَّهُ، وَبِهِ يُعْبَدُ، وَبِهِ يُعْمَلُ الْخَيْرُ، وَبِهِ تُوَصَّلُ الْأَرْحَامُ، وَبِهِ يُعْرَفُ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، يُلْهِمُهُ السُّعْدَاءُ، وَيَحْرِمُهُ الْأَشْقِيَاءُ.

(١) سورة العلق - الآية ١.

(٢) سورة البقرة - الآية ٢٨١.

(٣) وهذا هو المراد من الذكر لأن ذكر الله يورث مراقبة الله عز وجل (انظر رسالة مهمة في منهج الدعوة والتبليغ بقلم فضيلة الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي تعريب فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرازق اسكندر _ رئيس جامعة العلوم بكراتشي - طبعت باسطنبول تركيا).

فكل علم لا يثمر عملاً فليس في الشرع ما يدل على استحسانه..ولذا قَالَ
بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: مَنْ حَجَبَ اللَّهُ عَنْهُ الْعِلْمَ عَذَّبَهُ عَلَى الْجَهْلِ، وَأَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا مَنْ
أَقْبَلَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ فَأَذْبَرَ عَنْهُ، وَمَنْ أَهْدَى اللَّهُ إِلَيْهِ عِلْمًا فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ (١).

وإليك بعض الآثار التي ترغب في العمل بالعلم:

عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: تَعَلَّمُوا فَمَنْ عِلِمَ فَلْيَعْمَلْ (٢).
وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَكُونَ عَالِمًا حَتَّى تَكُونَ مُتَعَلِّمًا، وَلَنْ تَكُونَ
عَالِمًا حَتَّى تَكُونَ بِمَا عَلِمْتَ عَامِلًا (٣).
وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ أَنْ يُقَالَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: قَدْ عَلِمْتَ
فَمَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ (٤).

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ رَاشِدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا، يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ،
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: وَاللَّهِ! لَا يَدْعُ اللَّهُ الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ يَقْدُمُونَ عَلَى
أَقْدَامِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، حَتَّى يَسْأَلَهُمْ عَنْ خِلَالِ أَرْبَعَةٍ، فَيَسْأَلُهُمْ عَمَّا أَفْتَوْا فِيهِ
أَعْمَارَهُمْ، وَعَمَّا أَتَلَوْا فِيهِ أَجْسَادَهُمْ، وَعَمَّا أَنْفَقُوا فِيهِ مَا اكْتَسَبُوا، وَعَمَّا عَمِلُوا فِيمَا
عَلِمُوا (٥).

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر «باب جامع القول في العمل بالعلم» .
(٢) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي - باب كراهية طلب العلم لغير الله وما جاء في
الترغيب في العمل بالعلم (٤٨٥).

(٣) المرجع السابق (٤٨٨).

(٤) المرجع السابق (٤٨٩).

(٥) المرجع السابق (٤٩٠).

فالمقصود من العلم: العمل، ثم التبليغ، فأصحاب الرسول (ﷺ) كانوا يتعلمون من النبي فيعملون به، ثم ينتقلون إلى غيرهم ليعلموهم، حتى أصبحوا أساتذة العالم.. لأن النبي رباهم على ذلك، فعن علقمة بن سعد بن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبيه، عن جدّه قال: حَظَبَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذَاتَ يَوْمٍ فَأَتَنِي عَلَى طَوَائِفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: " مَا بَالُ أَقْوَامٍ لَا يُفْقَهُونَ حِرَانَهُمْ، وَلَا يُعَلِّمُونَهُمْ، وَلَا يَعِظُونَهُمْ، وَلَا يَأْمُرُونَهُمْ، وَلَا يَنْهَوْنَهُمْ. وَمَا بَالُ أَقْوَامٍ لَا يَتَعَلَّمُونَ مِنْ حِرَانِهِمْ، وَلَا يَتَفَقَّهُونَ، وَلَا يَتَّعِظُونَ. وَاللَّهِ لَيَعَلِّمَنَّ قَوْمٌ حِرَانَهُمْ، وَيُفَقِّهُوهُمْ وَيَعِظُونَهُمْ، وَيَأْمُرُونَهُمْ، وَيَنْهَوْنَهُمْ، وَلَيَتَعَلَّمَنَّ قَوْمٌ مِنْ حِرَانِهِمْ، وَيَتَفَقَّهُونَ، وَيَتَفَطَّنُونَ، أَوْ لَا عَاجِلَ لَنَهُمُ الْعُقُوبَةُ"، ثُمَّ نَزَلَ فَقَالَ قَوْمٌ: مَنْ تَرَوْنَهُ عَنَى بِهِؤُلَاءِ؟ قَالَ: الْأَشْعَرِيِّينَ، هُمْ قَوْمٌ فُقَهَاءٌ، وَلَهُمْ حِرَانٌ جُفَاءٌ مِنْ أَهْلِ الْمِيَاهِ وَالْأَعْرَابِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْأَشْعَرِيِّينَ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَكَرْتَ قَوْمًا بِخَيْرٍ، وَذَكَرْتَنَا بِشَرٍّ، فَمَا بَالُنَا؟ فَقَالَ: " لَيَعَلِّمَنَّ قَوْمٌ حِرَانَهُمْ، وَلَيُفَقِّهَنَّهُمْ، وَلَيَفَطَّنَنَّهُمْ، وَلَيَأْمُرَنَّهُمْ، وَلَيَنْهَوَنَّهُمْ، وَلَيَتَعَلَّمَنَّ قَوْمٌ مِنْ حِرَانِهِمْ، وَيَتَفَطَّنُونَ، وَيَتَفَقَّهُونَ، أَوْ لَا عَاجِلَ لَنَهُمُ الْعُقُوبَةُ فِي الدُّنْيَا"، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْفَطْنُ غَيْرَنَا؟ فَأَعَادَ قَوْلَهُ عَلَيْهِمْ، وَأَعَادُوا قَوْلَهُمْ: أَنْفَطْنُ غَيْرَنَا؟ فَقَالَ ذَلِكَ أَيْضًا، فَقَالُوا: أَمَهَلْنَا سَنَةً، فَأَمَهَلَهُمْ سَنَةً لِيُفَقِّهُوهُمْ، وَيُعَلِّمُونَهُمْ، وَيَفَطَّنُونَهُمْ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هَذِهِ الْآيَةَ ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي

إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ .. الخ
الآية ﴿١﴾ (رواه الطبراني في الكبير) (٢).

★ ويقول الشيخ التويجري: والعلم بدون الجهد يورث الجدل .. والعلم مع الجهد يورث العمل والوجل في القلب .. والعلم غذاء العقول .. والذكر غذاء القلوب .. والعمل الصالح ثمرتهما.

وهدي النبي (ﷺ) تعلم الإيـان، ثم تعلم الفضائل، ثم تعلم الأحكام، ثم العمل على وجه الإخلاص لله، والمتابعة لسنن رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

ويرافق ذلك دعوة الناس إلى الله .. وتعليم المسلمين الإيمان والأحكام .. والتحلي بأحسن الأخلاق .. وكثرة التوبة والاستغفار: { ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } (٣)(٤).

✽ وبين الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (رحمه الله) في رسالته التي أرسلها إلى جماعة الحج والعمرة: المقصود من العلم: أن يأتي عندنا الشوق للبحث عما يريد الله تعالى منا في هذا الوقت، وبعد ذلك القيام بهذا العمل مع التوجه إلى الله فهو الذكر.

(١) سورة المائدة - الآية ٧٨ .

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد «كتاب العلم» بَابُ فِي تَعْلِيمِ مَنْ لَا يَعْلَمُ (٧٤٨) الترغيب والترهيب للإمام المنذرى - باب من كتم العلم - ٦١/١ .

(٣) سورة الجمعة - الآية ٤ .

(٤) فقه القلوب للشيخ محمد بن إبراهيم التويجري.

فالذي يسافر لتعلم الدين فهو في سبيل الله، كم له من الكرامة، كما في الحديث: " وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوْرَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَ إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ " رواه أبو داود والترمذي (١) .

فنجتهد على الناس حتى يكون عندهم الشوق والرغبة للعلم، ونبين لهم فضائل العلم، ونجلس بأنفسنا في حلقات التعليم ونجالس العلماء ونبين أن هذا كله عبادة، ونتضرع إلى الله تعالى أن يرزقنا حقيقة العلم. أ.هـ.

أعلى مراتب العلوم وأنفعها

علم الكتاب والسنة: (وبها يعرف الله تعالى وبها يعبد)، قال العلماء: مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَالتَّفْسِيرَ عَظُمَتْ قِيَمَتُهُ، وَمَنْ نَظَرَ فِي الْفِقْهِ نَبَلَ قَدْرُهُ، وَمَنْ نَظَرَ فِي الْحَدِيثِ قَوِيَتْ حُجَّتُهُ، وَمَنْ نَظَرَ فِي اللِّغَةِ رَقَّ طَبْعُهُ، وَمَنْ نَظَرَ فِي الْحِسَابِ جَزَلُ رَأْيِهِ، وَمَنْ لَمْ يَصُنْ نَفْسَهُ لَمْ يَنْفَعُهُ عِلْمُهُ (٢).

ولذا كان النبي ﷺ يبعث الصحابة في البلدان ليعلموا الناس القرآن

(١) سنن الترمذي _ رقم الحديث: ٢٦٢٥، سنن ابن ماجه « كِتَابُ ابْنِ مَاجَهَ » « أَبْوَابُ فِي فَضَائِلِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ... رقم الحديث: ٢١٩، سنن أبي داود _ رقم الحديث: ٣١٦٠ .
(٢) جامع بيان العلم وفضله - ابن عبد البر - ج ٢ / ١٦٩، والمدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي - باب كراهية طلب العلم لغير الله وما جاء في الترغيب في العمل بالعلم (٥١١) .

والتوحيد والصلاة: فعَنْ أَبِي مُوسَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى إِلَى الْيَمَنِ فَأَمَرَهُمَا أَنْ يُعَلِّمَا النَّاسَ الْقُرْآنَ (١).

وكذلك بعث النبي (ﷺ) الصحابة في البلدان لتعليم الناس التوحيد

والصلاة: فعَنْ أَبِي مَعْبُدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ: "ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ" (٢).

وفي رواية مسلم: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ: "إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَآتَقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ" (٣).

(١) مسند أحمد « أول مسند الكوفيين » حديث أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه - رقم الحديث (١٩٠٥٠) .

(٢) صحيح البخاري « كتاب الزكاة » باب وجوب الزكاة _ رقم الحديث (١٣٣١) ، .

(٣) صحيح مسلم « رقم الحديث (١١٤) ، .

فائدة

يقول الشيخ عبد الوهاب (حفظه الله): سألني رجل فقال: لم تذهبون إلى المقاهي؟ فقلت له: المرء إذا مرض ذهب إلى الطبيب ولكن إذا اشتد مرضه ذهب إليه الطبيب.

تجولنا في إيطاليا ودخلنا مقهى فيه شاب مسلم يجلس مع غانية يشربون الخمر فكلمناه كلام الخير والإيمان فاستجاب لنا فتعلقت الغانية في ذراعه تريد أن تأخذه، فسألناها كم كنت تتقاضين منه في الليلة؟ فقالت: ثلاثون دولار، فأعطيناها ما أرادت وتركته لنا، فصحبناه إلى المسجد وهو لآن يخرج المدة السنوية في سبيل الله (١).

فجهد التعليم للراغبين ، وجهد الدعوة لغير الراغبين.

وجهد التعليم موهبة خاصة.. وجهد الدعوة موهبة عامة : قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٤).

(١) بغية الأريب في جهد الحبيب _ بقلم المؤلف.

(٢) سورة آل عمران - الآية ١١٠.

(٣) سورة آل عمران - الآية ١٠٤.

(٤) سورة يوسف - الآية ١٠٨.

أنواع العلم

- (١) علم المعرفة بالله: وهو أشرف العلوم وأنفعها.
- (٢) العلم باليوم الآخر (أحوال القبر، أحوال الحشر، الميزان، الصراط، تطاير الصحف، الحوض، الشفاعة، الجنة، النار).
- (٣) علم الفضائل: ونتعلمه بالجلوس في مجالس الفضائل، من كتب الفضائل مثل: رياض الصالحين للنووي، والترغيب والترهيب للمنذري، والأدب المفرد للبخاري، ومشكاة المصابيح للتبريزي.
- (٤) علم المسائل: الحلال والحرام (علم الأمر والنهي): نتعلمه من العلماء، وإذا سألنا نحيل السائل على العلماء.

- ولبيان أهمية التعليم: النبي (ﷺ) كان ينزل من على المنبر ليعلم الناس، كما في صحيح مسلم عن حميد بن هلال، قال: قال أبو رفاعة: "انتهيت إلى النبي (ﷺ) وهو يخطب، قال: فقلت: يا رسول الله رجل غريب، جاء يسأل عن دينه، لا يدري ما دينه، قال: فأقبل علي رسول الله (ﷺ)، وترك خطبته حتى انتهت إلي، فأني بكرسي، حسبت قوائمه حديدا، قال: فقعد عليه رسول الله (ﷺ)، وجعل يعلمني مما علمه الله، ثم أتى خطبته، فاتم آخرها" (١).

- وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب: كان يعلم الناس التحيات على المنبر: فعن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه سمع عمر بن الخطاب وهو على

(١) صحيح مسلم - كتاب الجمعة - باب حديث التعليم في الخطبة - حديث رقم ٨٧٦.

الْمُنْبِرُ يُعَلِّمُ النَّاسَ التَّشَهُّدَ يَقُولُ قُولُوا التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ الزَّكَايَاتُ لِلَّهِ الطَّيِّبَاتُ
الصَّلَوَاتُ لِلَّهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ
اللَّهِ الصَّالِحِينَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ^(١).

نوعين من التعليم

(خصوصي ، وعمومي)

✽ يقول الشيخ إمام الحسن (رحمه الله) : التعليم نوعان :

أحدهما: التعليم الخصوصي: هو التعليم الذي يُدرس في المدارس، والذين
يكون فيهم طلب وشوق إلى علم الدين ، يقصدون هذه المدارس .

والثاني: التعليم العمومي: هو التعليم العام وهو الدعوة والتبليغ، ويعطي
هذا التعليم لأولئك الذين لا يطلبون علم الدين لأنفسهم، عن طريق الوصول
إليهم، والسعي للدين فيهم، يحدث فيهم الطلب، وهذا التعليم العام واجب
وضروري، أكثر من التعليم الخاص، لأنه إذا كان الجو للتعليم العام، أثر ذلك
على التعليم الخاص كذلك، ويحيا التعليم الخاص بالتعليم العام، فينبغي لأهل
المدارس أن يقوموا بأمر الدعوة والتبليغ مهتمين لأمر التعليم بحيث يحيا نوعي
التعليم (٢).

(١) موطأ مالك « كتاب الصلاة » باب التشهد في الصلاة.

(٢) نصيحة الدعاة بقلم المؤلف.

من أقوال العلامة الشيخ محمد فاروق (١)

- (١) العلم والذكر مثل الماء والهواء.
- (٢) لو كانت حركة القلم بعد حركة القدم، تكون القوة، فبعد حركة القدم الذي مزق الرسائل، الله مزق ملكه (٢)، بحركة القدم يأتي الحزن.
- (٣) التعليم بالمنهج الصحيح (منهاج النبوة) يزداد العلم، ويزداد الإيمان، ويأتي العمل الصالح.
- (٤) كان كل فرد من الصحابة يوصل العلم من مسجد الرسول إلى بيته وهذا أقوى طريق لتوصيل العلم.
- (٥) كل الصحابة في زمن الرسول ﷺ، كل واحد منهم، كان عالما ومتعلما، في المسجد متعلما، وفي البيت معلما.
- (٦) الرسول ﷺ ما جعل العمارة للعلم، بل كان ميدان العلم في المسجد (بيئة الملائكة) فالذي يتعلم فيها يأتي عنده العلم الصحيح، وينقل العلم إلى البيوت،

(١) من علماء الدعوة والتبليغ بكراتشي - باكستان.

(٢) بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حُذَافَةَ السَّهْمِيَّ وَهُوَ أَحَدُ السِّتَّةِ إِلَى كِسْرَى يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَكَتَبَ مَعَهُ كِتَابًا، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَرِئَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَخَذَهُ فَمَزَقَهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "اللَّهُمَّ مَرِّقْ مُلْكَهُ" (الطبقات الكبرى لابن سعد - رقم الحديث: ٦١٢، وزاد بن القيم في زاد المعاد: فمزق الله ملكه، وملك قومه.

ونحنُ العلم عندنا فقط في المدارس، والمساجد خالية من حلقات العلم، والبيوت كذلك خالية.

(٧) العلم كان يُعلم لوجه الله، وفي زماننا بالمقابل.

(٨) كان العلم في كبارهم (كبار السن) لأن في أيديهم التغيير والآن التعليم في الصغار فقط، والآباء لا يهتمون بتحصيل العلم، والولد إذا تعلم شيئاً وأراد أن يطبقه في بيته، وليس عند أبيه أهمية العلم والدين، فيقف أمامه.

(٩) التعليم في زمانهم كان فيه البساطة، لأن جوهر الإسلام (البساطة والمجاهدة) بساطة الإسلام (عجيب، وعميق، وقوي، وحساس).

(١٠) بساطة هذا العمل صارت حجاباً لفهم هذا العمل.. في زمن النبي ﷺ ما كان باب المسائل موجود، بطريقتنا في هذا الزمن، بل بالبساطة: (صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي) (١)، (لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ). رواه مسلم (٢)، ومن سأله في شيء قد غاب عنه أجابه.

(١١) إذا علمنا العلم لمن ليس عنده الأدب، كأننا أعطينا السكين للشارق.

(١) رواه البخاري عن مالك بن الحويرث (مشكاة المصابيح - باب تأخير الأذان - ٢١٥/١).

(٢) صحيح مسلم « كتاب الحج » باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر ركباً وبيان قوله صلى الله عليه وسلم لتأخذوا مناسككم - رقم الحديث : (١٢٩٧)، مشكاة المصابيح - باب رمي الجمار - ٨٠٥ / ٢ .

(١٢) لو أدخلنا باب الفتوى في هذا العمل يحدث فتنة، فالكل يُفتي، نعودهم كما كان في زمن الصحابة رضي الله عنهم، نوجه الكل للعلماء، يعني: لا يفتي ومالك في المدينة أ.هـ.

(١٣) بدأ التعليم في مكة بداية من بيت الأرقم بن أبي الأرقم علي الصفا، ولما رسخت أقدام الصحابة في الإسلام، وتلقوا نصيباً أوفر من التعليم، بدءوا يزورون البيوت سرّاً، ويعقدون مع أهلها حلقات تعليم القرآن، على نحو ما كان يفعل خباب بن الارت، الذي ضبطه عمر بن الخطاب في بيت أخته فاطمة وزوجها وهو يُقرئها القرآن: فَعَنْ بِنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: خَرَجَ عُمَرُ مُتَقَلِّدًا السَّيْفَ فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُهْرَةَ، قَالَ: أَيْنَ تَعْمُدُ يَا عُمَرُ؟ فَقَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَقْتُلَ مُحَمَّدًا. قَالَ: وَكَيْفَ تَأْمَنُ فِي بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي زُهْرَةَ وَقَدْ قَتَلْتَ مُحَمَّدًا؟ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَا أَرَاكَ إِلَّا قَدْ صَبَأْتَ وَتَرَكْتَ دِينَكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ. قَالَ: أَفَلَا أَذِلُّكَ عَلَى الْعَجَبِ يَا عُمَرُ؟ إِنَّ خَتَنَكَ وَأَخْتَكَ قَدْ صَبَأَا وَتَرَكََا دِينَكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، فَمَشَى عُمَرُ ذَاِمِرًا حَتَّى أَتَاهُمَا وَعِنْدَهُمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ؛ يُقَالُ لَهُ: خَبَّابٌ، فَلَمَّا سَمِعَ خَبَّابٌ حِسَّ عُمَرَ تَوَارَى فِي الْبَيْتِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ: مَا هَذِهِ الْهَيْمَةُ الَّتِي سَمِعْتُهَا عِنْدَكُمْ؟ قَالَ: وَكَأَنَّا يَقْرَأُونَ طَهَ فَقَالَا: مَا عَدَا حَدِيثًا نَحْدُثْنَاهُ بَيْنَنَا، قَالَ: فَأَعْلَمُكُمَا قَدْ صَبَأْتُمَا. فَقَالَ لَهُ خَتَنُهُ: أَرَأَيْتَ يَا عُمَرُ إِنْ كَانَ الْحَقُّ فِي غَيْرِ دِينِكَ؟ فَوُثِّبَ عُمَرُ عَلَى خَتَنِهِ فَوَطِئَهُ وَطْئًا شَدِيدًا، فَجَاءَتْ أُخْتُهُ فَدَفَعَتْهُ عَنْ رَوْجِهَا، فَنَفَحَهَا نَفْحَةً بِيَدِهِ فَدَمَى وَجْهَهَا، فَقَالَتْ، وَهِيَ

غَضَبِي: يَا عُمَرُ، إِنْ كَانَ الْحَقُّ فِي غَيْرِ دِينِكَ فَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. فَلَمَّا بَيَّسَ عُمَرُ، قَالَ: أَعْطُونِي هَذَا الْكِتَابَ الَّذِي عِنْدَكُمْ فَأَقْرَأَهُ؛ فَقَالَتْ: إِنَّكَ رَجُسٌ وَلَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ، فَقُمْ فَأَغْتَسِلْ أَوْ تَوَضَّأْ. فَقَامَ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ أَخَذَ الْكِتَابَ، فَقَرَأَ طَهَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (١)، فَقَالَ عُمَرُ: دُلُّونِي عَلَى مُحَمَّدٍ. فَلَمَّا سَمِعَ حَبَابٌ قَوْلَ عُمَرَ خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ، فَقَالَ: أَبَشِّرْ يَا عُمَرُ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونَ دَعْوَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَكَ لَيْلَةَ الْخُمَيْسِ: اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخُطَّابِ أَوْ بِعُمَرِ بْنِ هِشَامٍ. قَالَ: وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الدَّارِ الَّتِي فِي أَصْلِ الصَّفَا، فَاَنْطَلَقَ عُمَرُ حَتَّى أَتَى الدَّارَ، قَالَ: وَعَلَى بَابِ الدَّارِ طَلْحَةُ وَخُزَيْمَةُ وَأَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَى خُزَيْمَةَ وَجَلَ الْقَوْمِ مِنْ عُمَرَ، قَالَ خُزَيْمَةُ: نَعَمْ فَهَذَا عُمَرُ، فَإِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِعُمَرَ خَيْرًا يُسَلِّمُ وَيَتَّبِعُ النَّبِيَّ ﷺ وَإِنْ يَكُنْ غَيْرَ ذَلِكَ يَكُنْ قَتْلُهُ عَلَيْنَا هَيْنًا. قَالَ: وَالنَّبِيُّ ﷺ دَاخِلٌ يُوحَى إِلَيْهِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَى عُمَرَ، فَأَخَذَ بِمَجَامِعِ ثَوْبِهِ وَحَمَائِلِ السَّيْفِ، فَقَالَ: مَا أَنْتَ مِنْهِيَّ يَا عُمَرُ حَتَّى يُنْزِلَ اللَّهُ بِكَ مَا أَنْزَلَ بِالْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ! اللَّهُمَّ هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخُطَّابِ، اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخُطَّابِ. فَقَالَ عُمَرُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، فَأَسْلَمَ، وَقَالَ: أَخْرِجْ يَا رَسُولَ اللَّهِ (٢).

(١) سورة طه - الآية ١٤.

(٢) التبصرة لابن الجوزي « فِي فَضْلِ عُمَرَ بْنِ الْخُطَّابِ - رقم الحديث: ٧٦، صفة الصفوة لابن الجوزي، الكامل في التاريخ لابن الأثير، تاريخ دمشق لابن عساكر،

وفي المدينة المنورة: الرسول (ﷺ) أمر بعض المتعلمين من المسلمين بتعليم الآخرين، وأمر بعض الأسرى ببدر بتعليم شباب الأنصار الكتابة مقابل مفاداتهم، فعن ابن عباس، قال: كَانَ نَاسٌ مِنَ الْأَسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ لَيْسَ لَهُمْ فِدَاءٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فِدَاءَهُمْ: أَنْ يُعَلِّمُوا أَوْلَادَ الْأَنْصَارِ الْكِتَابَةَ، قَالَ: فَجَاءَ غُلَامٌ مِنْ أَوْلَادِ الْأَنْصَارِ إِلَى أَبِيهِ، قَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: ضَرَبَنِي مُعَلِّمِي، قَالَ: الْخَبِيثُ يَطْلُبُ بِدْخُلٍ (١) بِدْرٍ، وَاللَّهُ لَا تَأْتِيهِ أَبَدًا (٢).

وكثر المعلمون في المسجد النبوي في عصر النبوة ليعلم بعضهم البعض القرآن وعلومه، فعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: خرج رسول الله - ﷺ - ذات يوم من بعض حُجره، فدخل المسجد، فإذا هو بحلقتين: إحداهما يقرؤون القرآن ويدعون الله، والأخرى يتعلمون ويُعلمون، فقال النبي ﷺ: "كُلُّ عَلَى خَيْرٍ؛ هَؤُلَاءِ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَيَدْعُونَ اللَّهَ، فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ، وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ، وَهَؤُلَاءِ يَتَعَلَّمُونَ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا" فجلس معهم (٣).

تاريخ المدينة لابن شبة تاريخ المدينة لابن شبة - أخبار عمر بن الخطاب رضي الله عنه - رقم الحديث: ٩٩٦ ، الطبقات الكبرى لابن سعد - رقم الحديث: ٣٦٣٩ ، (١) الذحل: الثأر .

(٢) مسند أحمد بن حنبل «مسند العشرة المبشرين بالجنة ...» «ومن مسند بني هاشم - رقم الحديث: ٢١٣٤ ، الأوسط في السنن» ناس من الأسارى يوم بدر ليس لهم فداء ، فجعل رسول الله - رقم الحديث: ١٧٤ .

(٣) سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد بن ماجه القزويني - دار الفكر، بيروت.

ومن أشهر المعلمين في عصر النبوة بعد المعلم الأول سيدنا محمد ﷺ ، مصعب بن عمير الذي قام بتفقيه أهل المدينة وتعليمهم القرآن قبل الهجرة النبوية، وكان يُسمى المقرئ، وعبادة بن الصامت الذي كان يعلم أهل الصفة الكتابة والحكمة، عبد الله بن سعيد بن العاص معلم الكتابة .

ومن المعلمين الرواد في المسجد النبوي: سعد بن الربيع الخزرجي، وبشير بن سعد ابن ثعلبة، وأبان بن سعيد بن العاص (١)، ومن النساء: الشفاء بنت عبد الله العدوية القرشية، فعن الشفاء بنت عبد الله، قالت: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا عِنْدَ حَفْصَةَ، فَقَالَ لِي: «أَلَا تُعَلِّمِينَ هَذِهِ رُقِيَةَ النَّمْلَةِ كَمَا عَلَّمْتِيهَا الْكِتَابَةَ» (٢).

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب ١: ٦٤، وابن سعد: الطبقات ٣: ٥٣١، وابن حجر: الإصابة ١: ١٠.
(٢) سنن أبي داود - كتاب الطب / باب ما جاء في الرقي / حديث رقم (٣٨٨٧)، مسند أحمد - باقي مسند الأنصار (٣٧٢/٦). في النهاية: النملة فُروخٌ تَخْرُجُ فِي الْجَنْبِ قِيلَ إِنَّ هَذَا مِنْ لُغَزِ الْكَلَامِ وَمَزَاحِهِ كَقَوْلِهِ لِلْعَجُوزِ لَا تَدْخُلِ الْعُجْزُ الْجَنَّةَ وَذَلِكَ أَنَّ رُقِيَةَ النَّمْلَةِ شَيْءٌ كَانَتْ تَسْتَعْمِلُهُ النِّسَاءُ يَعْلَمُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ أَنَّهُ كَلَامٌ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ وَرُقِيَةُ النَّمْلَةِ الَّتِي كَانَتْ تُعْرَفُ بَيْنَهُنَّ أَنَّ يُقَالَ الْعُرُوسُ تَحْتَفِلُ وَتَخْتَضِبُ وَتَكْتَحِلُ وَكُلُّ شَيْءٍ تَفْتَعِلُ غَيْرَ أَنَّ لَا تَعْصِي الرَّجُلَ وَيُرَوَّى عَوْضٌ تَحْتَفِلُ تَنْتَعِلُ وَعَوْضٌ تَخْتَضِبُ تَقْتَالُ فَأَرَادَ بِهَذَا الْمَقَالَ تَأْنِيْبَ حَفْصَةَ لِأَنَّهُ أُلْقِيَ إِلَيْهَا سِرًّا فَأَفْشَتْهُ أَنْتَهَى (كَمَا عَلَّمْتِيهَا) بِالْيَاءِ مِنْ إِشْبَاعِ الْكُسْرَةِ (الْكِتَابَةَ) مَفْعُولٌ ثَانٍ وَالْحَدِيثُ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ تَعْلِيمِ النِّسَاءِ الْكِتَابَةَ. وَهَذَا الْحَدِيثُ سَكَتَ عَنْهُ الْمُنْذَرِيُّ ثُمَّ بَنَ الْقِيَمُ فِي تَعْلِيْقَاتِ السُّنَنِ وَرِجَالِ إِسْنَادِهِ رِجَالُ الصَّحِيْحِ إِنَّا إِبْرَاهِيمَ بْنَ مَهْدِيٍّ الْبَغْدَادِيُّ الْمِصْبِيُّ وَهُوَ ثِقَةٌ. وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ.. وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي الطَّبِّ مِنَ السُّنَنِ الْكُبْرَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَعْقُوبَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَدِينِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ بَشْرِ عَنْ

وأرسل المعلمين (وسط الأخطار) في البوادي للدعوة ولتعليم الناس القرآن الكريم وتفقيهم بالدين، فعن أنسٍ، أَنَّ أَهْلَ الْيَمَنِ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا يُعَلِّمُنَا السُّنَّةَ وَالْإِسْلَامَ. قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَقَالَ: " هَذَا أَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ ". أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١).

وعن سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ وَمُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ لَهُمَا: "بَشِّرَا وَيَسِّرَا، وَعَلِّمَا وَلَا تَنْفَرَا" وَأَرَاهُ قَالَ: "وَتَطَاوَعَا" قَالَ فَلَمَّا وَلَّى رَجَعَ أَبُو مُوسَى فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هُمْ شَرَابًا مِنَ الْعَسَلِ يُطْبِخُ حَتَّى يَعْقِدَ. وَالْمِزْرُ يُصْنَعُ مِنَ الشَّعِيرِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "كُلَّ مَا أَسْكَرَ عَنِ الصَّلَاةِ فَهُوَ حَرَامٌ" (٢).

وعن أنسٍ بن مالكٍ قَالَ جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالُوا: أَنْ ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُمْ

عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي حَتْمَةَ عَنْ الشَّفَاءِ ذَكَرَهُ الْمِزِّيُّ فِي الْأَطْرَافِ.

وَفِي الْإِصَابَةِ وَأَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ عَنِ الطَّبْرَانِيِّ مِنْ طَرِيقِ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي حَتْمَةَ أَنَّ الشَّفَاءَ بِنْتَ عَبْدِ اللَّهِ قَالَتْ دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا قَاعِدَةٌ عِنْدَ حَفْصَةَ فَقَالَ مَا عَلَيْكَ أَنْ تَعْلَمِي هَذِهِ رَقِيقَةُ النَّمْلَةِ كَمَا عَلَّمْتَهَا الْكِتَابَةَ. فِي زَادِ الْمَعَادِ وَفِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ تَعْلِيمِ النِّسَاءِ الْكِتَابَةَ أَنْتَهَى (عون المعبود لشرح سنن أبي داود).

(١) صحيح مسلم، ج ١٢، حديث رقم: ٤٤٤٣، ص ١٥٥.

(٢) صحيح مسلم، ج ١٠، حديث رقم: ٣٧٣٠، ص ٢٥٥.

الْقُرَاءُ فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَدَارِسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ وَكَانُوا
بِالنَّهَارِ يَحْيَوْنَ بِالمَاءِ فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ وَيَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ
لِأَهْلِ الصُّفَّةِ وَلِلْفُقَرَاءِ فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَعَرَضُوا لَهُمْ
فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْمَكَانَ فَقَالُوا اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا
عَنكَ وَرَضِيتَ عَنَّا قَالَ وَآتَى رَجُلٌ حَرَامًا خَالَ أَنَسٍ مِنْ حَلْفِهِ فَطَعَنَهُ بِرُمَحٍ حَتَّى
أَنفَذَهُ فَقَالَ حَرَامٌ فُزْتُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لِأَصْحَابِهِ إِنَّ
إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا وَإِيَّاهُمْ قَالُوا اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنكَ
وَرَضِيتَ عَنَّا " (صحيح مسلم) (١).

لما سار النبي ﷺ إلى حنين، ترك مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ بِمَكَّةَ يَفْقَهُ أَهْلَهَا، وَاسْتَعْمَلَ
عَلَيْهَا عَتَابَ بْنَ أُسَيْدٍ بَعْدَ عَوْدِهِ مِنْ حِصْنِ الطَّائِفِ، وَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "
أَتَدْرِي عَلَى مَنْ اسْتَعْمَلْتُكَ؟ اسْتَعْمَلْتُكَ عَلَى أَهْلِ اللَّهِ، وَلَوْ أَعْلَمْتُ لَهُمْ خَيْرًا مِنْكَ
اسْتَعْمَلْتُهُمْ عَلَيْهِمْ فَاسْتَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا " يَقُولُهَا ثَلَاثًا (٢).

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ أُسْقُفًا نَجْرَانًا: الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ، فَقَالَا:
ابْعَثْ مَعَنَا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ. فَقَالَ: " لِأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ "،
فَاسْتَشْرَفَ لَهَا النَّاسُ، فَقَالَ: قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، فَأَرْسَلَهُ مَعَهُمْ (٣)، وَأَرْسَلَ
بَعْدَهُ عَمْرُو بْنُ حَزْمٍ، وَاليَا عَلَيْهِمْ وَعِنْدَهُ سَبْعَةُ عَشَرَ عَامًا، لَتَفْقِيهِهِمْ فِي الدِّينِ

(١) صحيح مسلم - كتاب الإمارة - باب ثبوت الجنة للشهيد - رقم الحديث : ٦٧٧ .

(٢) أسد الغابة « حرف العين » باب العين مع التاء .

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي .

والقرآن والسنة، وكانت حلقات العلم في المسجد النبوي وبقية مساجد عصر الرسالة.

وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُغَفَّلٍ الْمُرِّيُّ رضي الله عنه صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ أَحَدَ الْعَشَرَةِ الَّذِينَ بَعَثَهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يُعَلِّمُونَ أَهْلَ الْبَصْرَةِ (١).

وَعَنْ حَارِثَةَ بْنِ مُضَرَّبٍ، قَالَ: كَتَبَ إِلَيْنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ أَمِيرًا، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ مُعَلِّمًا وَوَزِيرًا، وَهُمَا مِنَ النُّجَبَاءِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ فَاسْمَعُوا، وَقَدْ جَعَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ عَلَى بَيْتِ مَالِكُمْ فَاسْمَعُوا فَتَعَلَّمُوا مِنْهُمَا، وَاقْتَدُوا بِهِمَا، وَقَدْ أَثَرْتُكُمْ بِعَبْدِ اللَّهِ عَلَى نَفْسِي". صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ. (٢).

وَعَنْ الشَّعْبِيِّ، عَنْ قُرْظَةَ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: بَعَثَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَهْطًا مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى الْكُوفَةِ، فَبَعَثَنِي مَعَهُمْ، فَجَعَلَ يَمْشِي مَعَنَا حَتَّى آتَى صِرَارًا وَصِرَارًا: مَاءٌ فِي طَرِيقِ الْمَدِينَةِ فَجَعَلَ يَنْفُضُ الْغُبَارَ عَنْ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّكُمْ تَأْتُونَ الْكُوفَةَ، فَتَأْتُونَ قَوْمًا لَهُمْ أَرْزِزٌ بِالْقُرْآنِ فَيَأْتُونَكُمْ، فَيَقُولُونَ: قَدِمَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ! قَدِمَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ! فَيَأْتُونَكُمْ فَيَسْأَلُونَكُمْ عَنِ الْحَدِيثِ، فَأَعْلَمُوا أَنَّ أَسْبَغَ الْوُضُوءِ ثَلَاثٌ، وَثِنْتَانِ تَجْزِيَانِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّكُمْ تَأْتُونَ الْكُوفَةَ، فَتَأْتُونَ قَوْمًا لَهُمْ أَرْزِزٌ بِالْقُرْآنِ، فَيَقُولُونَ: قَدِمَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ! قَدِمَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ! فَيَأْتُونَكُمْ فَيَسْأَلُونَكُمْ عَنِ الْحَدِيثِ، فَأَقْلُوا الرَّوَايَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا شَرِيكُكُمْ

(١) مصنف ابن أبي شيبة، ج ٦، حديث رقم: ١١.

(٢) المستدرک علی الصحيحین، للحاکم، ج ١٣، ص ١٢٦.

فِيهِ"، قَالَ قَرْظَةُ: وَإِنْ كُنْتُ لَأَجْلِسُ فِي الْقَوْمِ، فَيَذْكُرُونَ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنِّي لَنْ أَحْفَظَهُمْ لَهُ، فَإِذَا ذَكَرْتُ وَصِيَّةَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سَكَتُ، قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: مَعْنَاهُ عِنْدِي: الْحَدِيثُ عَنْ أَيَّامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَيْسَ السُّنَنَ وَالْفَرَائِضَ . (١).

وفي رواية الحاكم: عَنْ قَرْظَةَ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: خَرَجْنَا نُرِيدُ الْعِرَاقَ فَمَشَى مَعَنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى صِرَارٍ، فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَالَ: "أَتَدْرُونَ لِمَ مَشَيْتُ مَعَكُمْ؟" قَالُوا: نَعَمْ، نَحْنُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَشَيْتَ مَعَنَا، قَالَ: "إِنَّكُمْ تَأْتُونَ أَهْلَ قَرْيَةٍ لَهُمْ دَوِيٌّ بِالْقُرْآنِ كَدَوِيٍّ النَّحْلِ فَلَا تَبْدُونَهُمْ بِالْأَحَادِيثِ فَيَشْغَلُونَكُمْ، جَرِّدُوا الْقُرْآنَ، وَأَقْلُوا الرِّوَايَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَامْضُوا، وَأَنَا شَرِيكُكُمْ" فَلَمَّا قَدِمَ قَرْظَةُ قَالُوا: حَدَّثْنَا، قَالَ: نَهَانَا ابْنُ الْخَطَّابِ (٢).

أَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ: جَمَعَ الْقُرْآنَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ خَمْسَةَ مِائَةِ الْأَنْصَارِ: مُعَاذٌ، وَعُبَادَةُ، وَأُبَيٌّ، وَأَبُو أَيُّوبَ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ، فَلَمَّا كَانَ عُمَرُ، كَتَبَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ إِلَيْهِ: إِنَّ أَهْلَ الشَّامِ كَثِيرٌ، وَقَدْ احتَاجُوا إِلَى مَنْ يَعْلَمُهُمُ الْقُرْآنَ وَيُفَقِّهُهُمْ، فَقَالَ: أَعِينُونِي بِثَلَاثَةٍ، فَقَالُوا: هَذَا شَيْخٌ كَبِيرٌ - لِأَبِي أَيُّوبَ - وَهَذَا سَقِيمٌ - لِأُبَيٍّ - فَخَرَجَ الثَّلَاثَةُ إِلَى الشَّامِ، فَقَالَ: ابْدَءُوا بِحِمَصَ، فَإِذَا رَضِيتُمْ مِنْهُمْ، فَلْيَخْرُجْ وَاحِدٌ إِلَى دِمَشْقَ، وَآخَرُ إِلَى فِلَسْطِينَ . (٣).

(١) سنن الدارمي، لعبدالله بن عبد الرحمن أبي عبدالله الدارمي، ج ١ / ٢٨٦، ت: فؤاد أحمد زمزلي وخالد اليسع العلمي، ط ١، ١٤٠٧، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) المستدرك على الصحيحين «كتاب العلم» أمر عمر رضي الله عنه بتجريد القرآن وتقليل الرواية - رقم الحديث (٣٥٣).

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي - ترجمة عبادة بن الصَّامِتِ.

بركة العلم

من بركة العلم على صاحبه أن يعلمه بدون مقابل، فكان الأنبياء والرسل (عليهم السلام) يعلمون الناس بدون مقابل، وكذلك الصحابة رضي الله عنهم يعلمون بعضهم بعضا بدون مقابل، أو أي أجر مادي: يقول العلامة الشنقيطي في أضواء البيان: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ (١). ذَكَرَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَنْ نَبِيِّهِ نُوحٍ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِينَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أَنَّهُ أَخْبَرَ قَوْمَهُ أَنَّهُ لَا يَسْأَلُهُمْ مَالًا فِي مُقَابَلَةِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ الْوَحْيِ وَالْهُدَى، بَلْ يَبْذُلُ لَهُمْ ذَلِكَ الْخَيْرَ الْعَظِيمَ مَجَّانًا مِنْ غَيْرِ أَخْذِ أُجْرَةٍ فِي مُقَابَلِهِ. وَيَبَيِّنُ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ شَأْنُ الرُّسُلِ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ: كَقَوْلِهِ فِي «سَبَأٍ» عَنْ نَبِينِنَا ﷺ: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ (٢). وَقَوْلِهِ فِيهِ أَيْضًا فِي آخِرِ «سُورَةِ ص»: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (٣). وَقَوْلِهِ فِي «الطُّورِ»، وَ«الْقَلَمِ»: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ (٤).

(١) سورة هود - الآية ٢٩.

(٢) سورة سبأ - الآية ٤٧.

(٣) سورة ص - الآية ٨٦.

(٤) سورة الطور - الآية ٤٠ ، سورة القلم - الآية ٤٦.

وَقَوْلِهِ فِي « الْفُرْقَانِ » : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ (١).

وَقَوْلِهِ فِي « الْأَنْعَامِ » : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٢).

وَقَوْلِهِ عَنْ هُودٍ فِي « سُورَةِ هُودٍ » : ﴿ يَأْقُومُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ (٣).

وَقَوْلِهِ فِي « الشُّعَرَاءِ » عَنْ نُوحٍ، وَهُودٍ، وَصَالِحٍ، وَلُوطٍ، وَشُعَيْبٍ عَلَيْهِمُ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤).

وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ عَنْ رُسُلِ الْقَرْيَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي « يَس » : ﴿ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا ﴾ (٥).

وَقَدْ بَيَّنَّا وَجْهَ الْجُمُعِ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ وَبَيَّنَّ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ) فِي كِتَابِنَا « دَفْعُ إِيهَامِ الْإِضْطِرَابِ عَنْ آيَاتِ الْكِتَابِ » فِي « سُورَةِ سَبَأٍ » فِي الْكَلَامِ عَلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ﴾ (٦).

(١) سورة الفرقان _ الآية ٥٧ .

(٢) سورة الأنعام _ الآية ٩٠ .

(٣) سورة هود _ الآية ٥١ .

(٤) سورة الشعراء _ الآية ١٠٩ .

(٥) سورة يس _ الآيتان ٢٠ ، ٢١ .

(٦) سورة سبأ _ الآية ٤٧ .

وَيُؤْخَذُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ:

أَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى أَتْبَاعِ الرُّسُلِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَغَيْرِهِمْ أَنْ يَبْذُلُوا مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ مَجَّانًا مِنْ غَيْرِ أَخْذِ عَوَضٍ عَلَى ذَلِكَ، وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَخْذُ الْأُجْرَةِ عَلَى تَعْلِيمِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا عَلَى تَعْلِيمِ الْعَقَائِدِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ.

وَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: عَلَّمْتُ رَجُلًا الْقُرْآنَ، فَأَهْدَى لِي قَوْسًا، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: « إِنْ أَخَذْتَهَا أَخَذْتَ قَوْسًا مِنْ نَارٍ، فَرَدَدْتُهَا. رواه ابن ماجة والبيهقي.

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: هُوَ مُنْقَطِعٌ، أَيْ بَيْنَ عَطِيَّةِ الْكَلَامِيِّ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ، وَكَذَلِكَ قَالَ الْمِزِّيُّ. وَتَعَقَّبَهُ ابْنُ حَجَرٍ بِأَنَّ عَطِيَّةَ وَلَدَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَأَعْلَاهُ ابْنُ الْقَطَّانِ بِأَنَّ رَاوِيَهُ عَنْ عَطِيَّةَ الْمَذْكُورِ هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَلَمٍ وَهُوَ مَجْهُولٌ. وَقَالَ فِيهِ ابْنُ حَجَرٍ فِي التَّقْرِيبِ: شَامِيٌّ مَجْهُولٌ.

وَقَالَ الشُّوكَانِيُّ فِي نَيْلِ الْأَوْطَارِ: وَلَهُ طُرُقٌ عَنْ أَبِي. قَالَ ابْنُ الْقَطَّانِ: لَا يُبْتُ مِنْهَا شَيْءٌ. قَالَ الْحَافِظُ: وَفِيهَا قَالَهُ نَظَرٌ.

وَذَكَرَ الْمِزِّيُّ فِي الْأَطْرَافِ لَهُ طُرُقًا، مِنْهَا: أَنَّ الَّذِي أَقْرَأَهُ أَبِي هُوَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، وَيَشْهَدُ لَهُ مَا أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ: عَنِ الطُّفَيْلِ بْنِ عَمْرٍو الدَّوْسِيِّ قَالَ: أَقْرَأَنِي أَبِي بِنِ كَعْبٍ الْقُرْآنَ، فَأَهْدَيْتُ لَهُ قَوْسًا، فَعَدَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ تَقَلَّدَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « تَقَلَّدَهَا مِنْ جَهَنَّمَ » الْحَدِيثَ.

وَقَالَ الشَّوْكَانِيُّ أَيْضًا: وَفِي الْبَابِ عَنْ مُعَاذٍ عِنْدَ الْحَاكِمِ، وَالْبَزَّارِ بِنَحْوِ حَدِيثِ أَبِي، وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عِنْدَ الدَّارِمِيِّ بِإِسْنَادٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ بِنَحْوِهِ أَيْضًا. وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَابْنُ مَاجَهَ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: عَلَّمْتُ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ الْكِتَابَ وَالْقُرْآنَ، فَأَهْدَى إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ قَوْسًا، فَقُلْتُ لَيْسَتْ بِإِلٍ، وَأَرْمِي عَنْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَا تَيْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَلَأَسْأَلَنَّهُ، فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَهْدَى إِلَيَّ رَجُلٌ قَوْسًا يَمْنَنُ كُنْتُ أَعْلَمُهُ الْكِتَابَ، وَالْقُرْآنَ، وَلَيْسَتْ بِإِلٍ، وَأَرْمِي عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «إِنْ كُنْتَ تُحِبُّ أَنْ تُطَوِّقَ طَوْقًا مِنْ نَارٍ فَاقْبَلْهَا»، وَفِي إِسْنَادِهِ الْمُغِيرَةُ بْنُ زِيَادٍ الْمُوَصِّلِيُّ، قَالَ الشَّوْكَانِيُّ: وَثَقَهُ وَكَيْعٌ، وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، وَتَكَلَّمَ فِيهِ جَمَاعَةٌ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: ضَعِيفُ الْحَدِيثِ، حَدَّثَ بِأَحَادِيثَ مَنَاقِيرَ، وَكُلُّ حَدِيثٍ رَفَعَهُ فَهُوَ مُنْكَرٌ، وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ: لَا يُحْتَجُّ بِحَدِيثِهِ. اهـ. وَقَالَ فِيهِ ابْنُ حَجَرٍ فِي التَّقْرِيبِ: الْمُغِيرَةُ بْنُ زِيَادٍ الْبَجَلِيُّ أَبُو هِشَامٍ - أَوْ هَاشِمٍ - الْمُوَصِّلِيُّ صَدُوقٌ لَهُ أَوْهَامٌ، وَهَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى لَيْسَ فِيهَا الْمُغِيرَةُ الْمَذْكُورُ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ، وَكَثِيرُ بْنُ عُبَيْدٍ، قَالَا: ثَنَا بَقِيَّةٌ، حَدَّثَنِي بِشَرُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَشَّارٍ، قَالَ عَمْرُو: وَحَدَّثَنِي عُبَادَةُ بْنُ نُسَيْبٍ، عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ نَحْوَ هَذَا الْخَبَرِ، وَالْأَوَّلُ أَتَمُّ، فَقُلْتُ: مَا تَرَى فِيهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «جَهْرَةٌ بَيْنَ كَتِفَيْكَ تَقْلَدْتَهَا»، أَوْ «تَعَلَّقَتْهَا» اهـ مِنْهُ بِلَفْظِهِ، وَفِي سَنَدِ هَذِهِ الرَّوَايَةِ بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ

جَمَاعَةً، وَوَثَّقَهُ آخَرُونَ إِذَا رَوَى عَنِ الثَّقَاتِ، وَهُوَ مِنْ رِجَالِ مُسْلِمٍ، وَأَخْرَجَ لَهُ
الْبُخَارِيُّ تَعْلِيْقًا.

وَقَالَ فِيهِ ابْنُ حَجَرٍ فِي « التَّقْرِيبِ » : صَدُوقٌ، كَثِيرُ التَّدْلِيْسِ عَنِ
الضُّعَفَاءِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ أَغْدَلَ الْأَقْوَالِ فِيهِ أَنَّهُ إِنْ صَرَّحَ بِالسَّاعِ عَنِ الثَّقَاتِ فَلَا
بَأْسَ بِهِ، مَعَ أَنَّ حَدِيثَهُ هَذَا مُعْتَصِدٌ بِمَا تَقَدَّمَ وَبِمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.
وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: « اقْرَءُوا الْقُرْآنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ بِهِ، فَإِنَّ مِنْ بَعْدِكُمْ قَوْمًا
يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَسْأَلُونَ بِهِ النَّاسَ »، قَالَ التِّرْمِذِيُّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: لَيْسَ إِسْنَادُهُ
بِذَلِكَ.

وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: خَرَجَ
عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَفِينَا الْأَعْرَابِيُّ، وَالْأَعْجَمِيُّ: فَقَالَ: «
اقْرَءُوا فَكُلُّ حَسَنٍ، وَسَيَجِيءُ أَقْوَامٌ يُقِيمُونَهُ كَمَا يُقَامُ الْقَدْحُ يَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا
يَتَأَجَّلُونَهُ »

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَقْرَأُ
فَقَالَ: « الْحَمْدُ لِلَّهِ، كِتَابُ اللَّهِ وَاحِدٌ، وَفِيكُمْ الْأَحْمَرُ، وَفِيكُمْ الْأَبْيَضُ، وَفِيكُمْ
الْأَسْوَدُ، اقْرَءُوا قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَهُ أَقْوَامٌ يُقِيمُونَهُ كَمَا يَقُومُ السَّهْمُ يَتَعَجَّلُ أَجْرَهُ وَلَا
يَتَأَجَّلُهُ » اهـ.

وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شُبَلٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «
اقْرَءُوا الْقُرْآنَ وَلَا تَعْلُوا فِيهِ وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ وَلَا تَسْتَكْثِرُوا بِهِ» ، قَالَ
الشُّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «نَيْلِ الْأَوْطَارِ» فِي هَذَا الْحَدِيثِ: قَالَ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ:
رَجَالُ أَحْمَدَ ثِقَاتٌ.

وَمِنْهَا مَا أَخْرَجَهُ الْأَثَرُ فِي سُنَنِهِ عَنْ أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَخْتَلِفُ
إِلَى رَجُلٍ مُسِنَّةً قَدْ أَصَابَتْهُ عِلَّةٌ، قَدْ احْتَبَسَ فِي بَيْتِهِ أَقْرَبُهُ الْقُرْآنَ، فَيُؤْتِي بِطَعَامٍ لَا
أَكُلُ مِثْلَهُ بِالْمَدِينَةِ، فَحَاكَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «إِنْ كَانَ ذَلِكَ
الطَّعَامُ طَعَامَهُ وَطَعَامَ أَهْلِهِ فَكُلْ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ يُتَحَفُّكَ بِهِ فَلَا تَأْكُلْهُ» اهـ
فَهَذِهِ الْأَدِلَّةُ وَنَحْوُهَا تُدَلُّ عَلَى أَنَّ تَعْلِيمَ الْقُرْآنِ وَالْمَسَائِلِ الدِّينِيَّةِ لَا يَجُوزُ أَخْذُ
الْأُجْرَةِ عَلَيْهِ.

وَمِمَّنْ قَالَ بِهَذَا: الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي إِحْدَى الرَّوَايَتَيْنِ، وَأَبُو حَنِيفَةَ، وَالضَّحَّاكُ بْنُ
قَيْسٍ، وَعَطَاءٌ.

وَكَرِهَ الزُّهْرِيُّ، وَإِسْحَاقُ تَعْلِيمَ الْقُرْآنِ بِأَجْرٍ.
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَقِيقٍ: هَذِهِ الرُّغْفُ الَّتِي يَأْخُذُهَا الْمُعَلِّمُونَ مِنَ السُّحْتِ.
وَمِمَّنْ كَرِهَ أُجْرَةَ التَّعْلِيمِ مَعَ الشَّرْطِ: الْحُسَيْنُ، وَابْنُ سِيرِينَ، وَطَاوُسُ،
وَالشَّعْبِيُّ، وَالنَّخَعِيُّ، قَالَهُ فِي «الْمُغْنِيِّ» ، وَقَالَ: إِنَّ ظَاهِرَ كَلَامِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ جَوَازُ
أَخْذِ الْمُعَلِّمِ مَا أُعْطِيَهِ مِنْ غَيْرِ شَرْطٍ.

وَذَهَبَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى جَوَازِ اخْتِذِ الْأُجْرَةِ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ، وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ، وَالشَّافِعِيِّ.

وَمِمَّنْ رَخَّصَ فِي أُجُورِ الْمُعَلِّمِينَ: أَبُو قِلَابَةَ، وَأَبُو ثَوْرٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ. وَنَقَلَ أَبُو طَالِبٍ عَنْ أَحْمَدَ أَنَّهُ قَالَ: التَّعْلِيمُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَتَوَكَّلَ هَؤُلَاءِ السَّلَاطِينِ، وَمِنْ أَنْ يَتَوَكَّلَ لِرَجُلٍ مِنْ عَامَّةِ النَّاسِ فِي ضِيعَةٍ، وَمِنْ أَنْ يَسْتَدِينَ وَيَتَجَرَّ لَعَلَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْوَفَاءِ فَيَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى بِأَمَانَاتِ النَّاسِ، التَّعْلِيمُ أَحَبُّ إِلَيَّ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنَعَهُ مِنْهُ فِي مَوْضِعٍ مَنَعَهُ لِلْكَرَاهَةِ لَا لِلتَّحْرِيمِ، قَالَهُ ابْنُ قُدَّامَةَ فِي «الْمُغْنِي» .

وَاحتجَّ أهلُ هَذَا الْقَوْلِ بِأَدْلَةٍ، مِنْهَا مَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، وَغَيْرُهُمَا مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ نَفْسِي لَكَ، فَقَامَتْ قِيَامًا طَوِيلًا، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَوَّجْنِيهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ؟ فَقَالَ ﷺ: «هَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ تُصَدِّقُهَا إِيَّاهُ؟»، فَقَالَ: مَا عِنْدِي إِلَّا إِزَارِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ أُعْطِيَتْهَا إِزَارَكَ جَلَسْتَ لَا إِزَارَ لَكَ»، فَالْتَمَسَ شَيْئًا. فَقَالَ: مَا أَجِدُ شَيْئًا، فَقَالَ: «الْتِمَسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ»، فَالْتَمَسَ فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ؟» قَالَ نَعَمْ، سُورَةُ كَذَا وَكَذَا يُسَمِّيَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ»، وَفِي رِوَايَةٍ «قَدْ مَلَكَتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ».

فَقَالُوا: هَذَا الرَّجُلُ أَبَاحَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ تَعْلِيمَهُ بَعْضَ الْقُرْآنِ لَهُدِهِ الْمَرْأَةَ عِوَضًا عَنْ صَدَاقِهَا، وَهُوَ صَرِيحٌ فِي أَنَّ الْعِوَضَ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ جَائِزٌ، وَمَا رَدَّ بِهِ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْإِسْتِدْلَالَ بِهَذَا الْحَدِيثِ مِنْ أَنَّهُ ﷺ زَوَّجَهُ إِيَّاهَا بِغَيْرِ صَدَاقٍ إِكْرَامًا لَهُ لِحِفْظِهِ ذَلِكَ الْمَقْدَارَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَلَمْ يَجْعَلِ التَّعْلِيمَ صَدَاقًا لَهَا - مَرْدُودٌ بِمَا ثَبَتَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: « انْطَلِقْ فَقَدْ زَوَّجْتُكَهَا فَعَلَّمَهَا مِنَ الْقُرْآنِ » وَفِي رِوَايَةٍ لِأَبِي دَاوُدَ « عَلَّمَهَا عَشْرِينَ آيَةً وَهِيَ امْرَأَتُكَ » .

وَاحْتَجُّوا أَيْضًا بِعُمُومِ قَوْلِهِ ﷺ الثَّابِتِ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: « إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّهِ »، قَالُوا: الْحَدِيثُ وَإِنْ كَانَ وَارِدًا فِي الْجُعْلِ عَلَى الرُّقْيَا بِكِتَابِ اللَّهِ فَالْعِبْرَةُ بِعُمُومِ الْأَلْفَاظِ لَا بِخُصُوصِ الْأَسْبَابِ، وَاحْتِمَالُ الْفَرْقِ بَيْنَ الْجُعْلِ عَلَى الرُّقْيَةِ وَبَيْنَ الْأُجْرَةِ عَلَى التَّعْلِيمِ ظَاهِرٌ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ - أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا لَمْ تَدْعُهُ الْحَاجَةُ الضَّرُورِيَّةُ فَالْأُولَى لَهُ أَلَّا يَأْخُذَ عِوَضًا عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ، وَالْعَقَائِدِ، وَالْحَلَالِ، وَالْحَرَامِ، لِلْأَدِلَّةِ الْمَاضِيَةِ، وَإِنْ دَعَتْهُ الْحَاجَةُ أَخَذَ بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّ الظَّاهَرَ أَنَّ الْمَأْخُودَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ مِنْ قَبِيلِ الْإِعَانَةِ عَلَى الْقِيَامِ بِالتَّعْلِيمِ لَا مِنْ قَبِيلِ الْأُجْرَةِ.

وَالأَوَّلَى لِمَنْ أَغْنَاهُ اللَّهُ أَنْ يَتَعَفَّفَ عَنْ أَخْذِ شَيْءٍ فِي مُقَابِلِ التَّعْلِيمِ لِلْقُرْآنِ،
وَالْعَقَائِدِ، وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى (١).

تعليم الوفود

والتحدث معهم بما يؤلف قلوبهم

فَعَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو هَارُونَ الْعَبْدِيُّ ، قَالَ لِي أَبُو سَعِيدٍ
الْخُدْرِيُّ : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : " جَاءَكُمْ وَفَدُ عَبْدُ الْقَيْسِ " ، قَالَ :
وَلَا نَرَى شَيْئًا ، فَمَكَّنَّا سَاعَةً ، فَإِذَا هُمْ قَدْ جَاءُوا فَسَلَّمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ لَهُمْ
النَّبِيُّ ﷺ : " أَبْقِي مَعَكُمْ شَيْءٌ مِنْ تَمَرِكُمْ ؟ " ، أَوْ قَالَ : " مَنْ زَادَكُمْ ؟ " ، قَالُوا :
نَعَمْ ، فَأَمَرَ بِنَطْعٍ فُبْسِطَ ، ثُمَّ صَبُّوا بَقِيَّةَ تَمَرٍ كَانَ مَعَهُمْ ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ ،
وَقَالَ : " تُسْمُونَ هَذِهِ التَّمَرَ الْبَرْنِيَّ ، وَهَذِهِ كَذَا ، وَهَذِهِ كَذَا ، لِأَلْوَانِ التَّمَرِ " ،
قَالُوا : نَعَمْ ، ثُمَّ أَمَرَ بِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، يُنْزِلُهُ عِنْدَهُ ، وَيُقْرِئُهُ
الْقُرْآنَ ، وَيُعَلِّمُهُ الصَّلَاةَ ، فَمَكَّنُوا جُمُعَةً ، ثُمَّ دَعَاهُمْ ، فَوَجَدَهُمْ قَدْ كَادُوا أَنْ
يَتَعَلَّمُوا ، وَأَنْ يَفْقَهُوا ، فَحَوَّاهُمْ إِلَى غَيْرِهِ ، ثُمَّ تَرَكَهُمْ جُمُعَةً أُخْرَى ، ثُمَّ دَعَاهُمْ ،
فَوَجَدَهُمْ قَدْ قَرَأُوا وَفَقَّهُوا ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا قَدْ اشْتَقْنَا إِلَى بِلَادِنَا ، وَقَدْ
عَلِمَ اللَّهُ خَيْرًا ، وَفَقَّهْنَا ، فَقَالَ : " ارْجِعُوا إِلَى بِلَادِكُمْ " ، فَقَالُوا : لَوْ سَأَلْنَا رَسُولَ

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - لمحمد الأمين بن محمد المختار بن

عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣ هـ)

الله ﷺ عَنْ شَرَابٍ نَشْرَبُهُ بِأَرْضِنَا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَأْخُذُ النَّخْلَةَ فَنُجَوِّبُهَا، ثُمَّ نَضَعُ التَّمْرَ فِيهَا، وَنَصُبُّ عَلَيْهِ الْمَاءَ، فَإِذَا صَفَا شَرِبْنَاهُ، قَالَ: " وَمَاذَا ؟ "، قَالُوا: نَأْخُذُ هَذِهِ الزَّقَاقِ الْمُرْقَتَةَ فنَضَعُ فِيهَا التَّمْرَ، ثُمَّ نَصُبُّ فِيهَا الْمَاءَ، فَإِذَا صَفَا شَرِبْنَاهُ، قَالَ: " وَمَاذَا ؟ "، قَالَ: نَأْخُذُ هَذِهِ الدُّبَاءَ فنَضَعُ فِيهَا التَّمْرَ، ثُمَّ نَصُبُّ عَلَيْهِ الْمَاءَ، فَإِذَا صَفَا شَرِبْنَاهُ، قَالَ: " وَمَاذَا ؟ "، قَالُوا: وَنَأْخُذُ هَذِهِ الْحُنْتَمَةَ، فنَضَعُ فِيهَا التَّمْرَ، ثُمَّ نَصُبُّ عَلَيْهِ الْمَاءَ، فَإِذَا صَفَا شَرِبْنَاهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " لَا تَنْبُدُوا فِي الدُّبَاءِ، وَلَا فِي النَّقِيرِ، وَلَا فِي الْحُنْتَمِ، وَانْتَبِدُوا فِي هَذِهِ الْأَسْقِيَةِ الَّتِي يُلَاثُ عَلَى أَفْوَاهِهَا، فَإِنْ رَابَكُمْ فَاكْسِرُوهُ بِالْمَاءِ "، قَالَ أَبُو هَارُونَ: فَقُلْتُ لِأَبِي سَعِيدٍ: أَشَرِبْتَ نَبِيذَ الْجَرِّ بَعْدَ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ ! أَبْعَدَ نَهْيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١).

منهج التعليم في العهد النبوي

- وكان منهج التعليم [في العهد النبوي] هو القرآن والسنة: كما جاء في حديث عَنْ أَبِي مُوسَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى إِلَى الْيَمَنِ فَأَمَرَهُمَا أَنْ يُعَلِّمَا النَّاسَ الْقُرْآنَ (٢).

(١) مصنف عبدالرزاق"، ج ٩، ص ٢٠١ _ رقم الحديث: ١٦٤٢٣، المستدرک علی الصحیحین ١٩٩/٤ _ رقم الحديث: (٧٥١٥)، والمعجم الكبير للطبرانی _ رقم الحديث (٧٦٠٢).

(٢) مسند أحمد « أول مسند الكوفيين » حديث أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه _ رقم الحديث (١٩٠٥٠) .

وكذلك بعث النبي (ﷺ) الصحابة في البلدان لتعليم الناس التوحيد

والصلاة: فعن أبي معبد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ بعث معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن فقال: " ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم(١).

وفي رواية مسلم: عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن، فقال: " إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَأَدْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ تُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمُظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ(٢).

- وكان منهج التعليم كما اتبعه أبي الدرداء - رضي الله عنه - في تعليم القرآن الكريم في مسجد دمشق، حيث كان يقسم تلاميذه إلى مجموعات، ويعين لهم مقرئين، فعن أبي عبيد الله مسلم بن مشكم، قال: قَالَ لِي أَبُو الدَّرْدَاءِ: اْعْدُدْ مَنْ

(١) صحيح البخاري « كتاب الزكاة » باب وجوب الزكاة _ رقم الحديث (١٣٣١) ، .

(٢) صحيح مسلم « رقم الحديث (١١٤) ، .

يَقْرَأُ عِنْدَنَا، يَعْنِي فِي مَجْلِسِنَا هَذَا. قَالَ: قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ اللَّهُ: فَعَدَدْتُ أَلْفًا وَسِتِّمِائَةً وَنِيفًا. فَكَانُوا يَقْرَأُونَ وَيَتَسَابِقُونَ عَشْرَةَ عَشْرَةَ، لِكُلِّ عَشْرَةٍ مِنْهُمْ مُقْرِيٌّ، وَكَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ قَائِمًا يَسْتَفْتُونَهُ فِي حُرُوفِ الْقُرْآنِ يَعْنِي الْمُقْرِئِينَ، فَإِذَا أَحْكَمَ الرَّجُلُ مِنَ الْعَشْرَةِ الْقِرَاءَةَ تَحَوَّلَ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ.

وَكَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَبْتَدِئُ فِي كُلِّ غَدَاةٍ إِذَا انْقَلَبَ مِنَ الصَّلَاةِ، فَيَقْرَأُ جُزْءًا مِنَ الْقُرْآنِ، وَأَصْحَابُهُ مُحَدِّثُونَ بِهِ يَسْمَعُونَ أَلْفَاظَهُ.

فَإِذَا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَتِهِ جَلَسَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي مَوْضِعِهِ وَأَخَذَ عَلَى الْعَشْرَةِ الَّذِينَ أُضِيفُوا إِلَيْهِ، وَكَانَ ابْنُ عَامِرٍ مُقَدِّمًا فِيهِمْ (١).

- جاء العلم من الله ﷻ بواسطة جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ بكيفيات الإيمان كاملة، فلو انتقل العلم إلى الأوراق ثم بعد ذلك انتقل إلى القلب بدون توضيح يأتي الشك، فالأصل في العلم التلقي.. فالعلم المؤثر هو المؤسس على صحة وعمل، فعَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ قَالَ أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عَشْرِينَ لَيْلَةً وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا رَقِيقًا فَظَنَّ أَنَا قَدْ اشْتَقْنَا أَهْلَنَا فَسَأَلْنَا عَنْ مَنْ تَرَكْنَا مِنْ أَهْلِنَا فَأَخْبَرَنَا فَقَالَ: " ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ ثُمَّ لِيُؤَمِّمْكُمْ أَكْبَرُكُمْ. متفق عليه (٢).

(١) تاريخ دمشق لابن عساکر .

(٢) صحيح مسلم _ كتاب المساجد ومواضع الصلاة _ باب من أحق بالإمامة، صحيح البخاري _ كتاب الأدب _ باب رحمة الناس والبهائم .

قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة (رحمه الله) بعد نظر فاحص في هذا الحديث الشريف من الأمور التعليمية ارتحال الشباب جماعة إلى العالم ليتلقوا منه العلم، وليأخذوا عنه الفقه في الدين، وليصحبوه فترة من الزمن، فيشهدوا منه سلوكه وهديه وعمله، فتستنير بذلك أفهامهم بقربهم منه وملازمتهم له، ويأخذوا العلم مصحوبا بالعمل به فيكون أوضح في نفوسهم وأطيب في سلوكهم كما كان صحابة النبي ﷺ معه (١) .

أَمَارَاتُ الْعَالِمِ الْمُتَحَقِّقِ بِالْعِلْمِ

قرر الإمام الشاطبي في موافقاته:

أَنَّ لِلْعَالِمِ الْمُتَحَقِّقِ بِالْعِلْمِ أَمَارَاتٌ ، وَهِيَ ثَلَاثٌ :
إِحْدَاهَا : الْعَمَلُ بِمَا عِلْمٌ حَتَّى يَكُونَ قَوْلُهُ مُطَابِقًا لِفِعْلِهِ ؛ فَإِنْ كَانَ مُحَالِفًا لَهُ ؛ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ لِأَنْ يُؤْخَذَ عَنْهُ ، وَلَا أَنْ يُقْتَدَى بِهِ فِي عِلْمٍ .
وَالثَّانِيَّةُ : أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ رَبَّاهُ الشُّيُوخُ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ لِأَخْذِهِ عَنْهُمْ ، وَمُلازِمَتِهِ لَهُمْ ، فَهُوَ الْجَدِيرُ بِأَنْ يَتَّصِفَ بِمَا اتَّصَفُوا بِهِ مِنْ ذَلِكَ ، وَهَكَذَا كَانَ شَأْنُ السَّلَفِ الصَّالِحِ .

فَأَوَّلُ ذَلِكَ مُلازِمَةُ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ -
وَأَخْذُهُمْ بِأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ ، وَاعْتِمَادُهُمْ عَلَى مَا يَرِدُ مِنْهُ كَاثِنًا مَا كَانَ ، وَعَلَى أَيِّ وَجْهِ صَدَرَ ، فَهُمْ فَهِمُوا مَغْزَى مَا أَرَادَ بِهِ أَوَّلًا حَتَّى عِلِمُوا ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي لَا

(١) أبو غدة: "الرسول المعلم وأساليبه في التربية والتعليم" ص ٢٢ .

يُعَارِضُ، وَالْحِكْمَةُ الَّتِي لَا يَنْكَسِرُ قَانُونُهَا، وَلَا يَجُومُ النَّقْصُ حَوْلَ حِمَى كِتَابِهَا، وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِكَثْرَةِ الْمُلَازِمَةِ، وَشِدَّةِ الْمُثَابَرَةِ .

وَتَأْمَلُ قِصَّةَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي صَلَاحِ الْحُدَيْبِيَّةِ ؛ حَيْثُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ، وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ قَالَ: بَلَى . قَالَ: أَلَيْسَ قَتَلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى . قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ قَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا . فَاَنْطَلَقَ عُمَرُ وَلَمْ يَصْبِرْ، مُتَغَيِّظًا، فَأَتَى أَبَا بَكْرٍ ؛ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا. قَالَ: فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - بِالْفَتْحِ فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْفَتْحَ هُوَ؟ قَالَ نَعَمْ . فَطَابَتْ نَفْسُهُ، وَرَجَعَ .

فَهَذَا مِنْ فَوَائِدِ الْمُلَازِمَةِ، وَالْإِنْفِيَادِ لِلْعُلَمَاءِ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِمْ فِي مَوَاطِنِ الْإِشْكَالِ حَتَّى لَاحَ الْبُرْهَانُ لِلْعِيَانِ .

وَفِيهِ قَالَ سَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ يَوْمَ صَفِّينَ: " أَتَيْهَا النَّاسُ اتَّهَمُوا رَأْيَكُمْ، وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ، وَلَوْ أَنِّي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ لَرَدَدْتُهِ "، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِمَا عَرَضَ لَهُمْ فِيهِ مِنَ الْإِشْكَالِ، وَإِنَّمَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ بَعْدَ مَا خَالَطَهُمُ الْحُزْنُ وَالْكَآبَةُ، لِشِدَّةِ الْإِشْكَالِ عَلَيْهِمْ، وَالتَّيَاسِ الْأَمْرِ، وَلَكِنَّهُمْ سَلَّمُوا، وَتَرَكَوْا رَأْيَهُمْ حَتَّى نَزَلَ الْقُرْآنُ، فَزَالَ الْإِشْكَالُ وَالْإِلْتِيَاسُ .

وَصَارَ مِثْلُ ذَلِكَ أَصْلًا لِمَنْ بَعْدَهُمْ ؛ فَالتَزَمَ التَّابِعُونَ فِي الصَّحَابَةِ سِيرَتَهُمْ مَعَ النَّبِيِّ - ﷺ - حَتَّى فَقُّهُوا ، وَنَالُوا ذِرْوَةَ الْكَمَالِ فِي الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَحَسْبُكَ مِنْ صِحَّةِ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ أَنَّكَ لَا تَجِدُ عَالِمًا اشْتَهَرَ فِي النَّاسِ الْأَخْذَ عَنْهُ إِلَّا وَلَهُ قُدْوَةٌ وَاشْتِهَارٌ فِي قَرْنِهِ بِمِثْلِ ذَلِكَ ، وَقَلَمًا وَجِدَتْ فِرْقَةً زَائِعَةً ، وَلَا أَحَدٌ مُحَالِفٌ لِلسَّيَةِ إِلَّا وَهُوَ مُفَارِقٌ لِهَذَا الْوَصْفِ ، وَبِهَذَا الْوَجْهِ وَقَعَ التَّشْنِيعُ عَلَى ابْنِ حَزْمٍ الظَّاهِرِيِّ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَلْزِمِ الْأَخْذَ عَنِ الشُّيُوخِ ، وَلَا تَأَدَّبَ بِأَدَابِهِمْ ، وَبِضِدِّ ذَلِكَ كَانَ الْعُلَمَاءُ الرَّاسِخُونَ ، كَالْأَيْمَةِ الْأَرْبَعَةِ وَأَشْبَاهِهِمْ .

وَالثَّالِثَةُ : الْاِقْتِدَاءُ بِمَنْ أَخَذَ عَنْهُ ، وَالتَّأَدُّبُ بِأَدَبِهِ ، كَمَا عَلِمْتَ مِنْ اِقْتِدَاءِ الصَّحَابَةِ بِالنَّبِيِّ - ﷺ - وَاقْتِدَاءِ التَّابِعِينَ بِالصَّحَابَةِ ، وَهَكَذَا فِي كُلِّ قَرْنٍ ، وَبِهَذَا الْوَصْفِ اِمْتَنَزَ مَالِكٌ عَنْ أَضْرَابِهِ ، أَعْنِي بِشِدَّةِ الْاِتِّصَافِ بِهِ ، وَإِلَّا فَالْجَمِيعُ مِمَّنْ يُهْتَدَى بِهِ فِي الدِّينِ ، كَذَلِكَ كَانُوا ، وَلَكِنَّ مَالِكًا اشْتَهَرَ بِالمُبَالِغَةِ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، فَلَمَّا تَرَكَ هَذَا الْوَصْفَ ؛ رَفَعَتِ الْبِدْعُ رُءُوسَهَا ، لِأَنَّ تَرَكَ الْاِقْتِدَاءِ دَلِيلٌ عَلَى أَمْرِ حَدَثٍ عِنْدَ التَّارِكِ ، أَصْلُهُ اتِّبَاعُ الْهُوَى ، وَلِهَذَا الْمَعْنَى تَقْرِيرٌ فِي كِتَابِ الْاجْتِهَادِ بِحَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (١) .

وَلَا بُدَّ مِنْ أَخْذِ الْعِلْمِ عَنْ أَهْلِهِ ، فَلِذَلِكَ طَرِيقَانِ :

أَحَدُهُمَا : الْمُشَافَهَةُ ، وَهِيَ أَنْفَعُ الطَّرِيقَيْنِ وَأَسْلَمُهُمَا ؛ لِوَجْهَيْنِ :

الْأَوَّلُ : خَاصِيَّةُ جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ الْمُعَلِّمِ وَالْمُتَعَلِّمِ يَشْهَدُهَا كُلُّ مَنْ زَاوَلَ الْعِلْمَ وَالْعُلَمَاءُ ، فَكَمْ مِنْ مَسْأَلَةٍ يَقْرُؤُهَا الْمُتَعَلِّمُ فِي كِتَابٍ ، وَيَحْفَظُهَا ، وَيُرَدِّدُهَا عَلَى قَلْبِهِ

(١) الموافقات للشاطبي ج ١ / ٦٥ .

فَلَا يَفْهَمُهَا ؛ فَإِذَا أَلْقَاهَا إِلَيْهِ الْمُعَلِّمُ فَهَمَّهَا بَعْتَهُ، وَحَصَلَ لَهُ الْعِلْمُ بِهَا بِالْحَضَرَةِ، وَهَذَا الْفَهْمُ يَحْصُلُ إِمَّا بِأَمْرِ عَادِيٍّ مِنْ قَرَّائِنِ أَحْوَالٍ، وَإِضَاحِ مَوْضِعِ إِشْكَالٍ لَمْ يَخْطُرْ لِلْمُتَعَلِّمِ بِيَالٍ، وَقَدْ يَحْصُلُ بِأَمْرِ غَيْرِ مُعْتَادٍ، وَلَكِنْ بِأَمْرِ يَهْبُهُ اللَّهُ لِمُتَعَلِّمٍ عِنْدَ مُثُولِهِ بَيْنَ يَدَيِ الْمُعَلِّمِ، ظَاهِرِ الْفَقْرِ، بِأَدْيِ الْحَاجَةِ إِلَى مَا يُلْقَى إِلَيْهِ .

وَهَذَا لَيْسَ يُنْكَرُ؛ فَقَدْ نَبَّهَ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ الَّذِي جَاءَ: إِنَّ الصَّحَابَةَ أَنْكَرُوا أَنْفُسَهُمْ عِنْدَمَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ)، وَحَدِيثُ حَنْظَلَةَ الْأَسِيدِيِّ حِينَ شَكَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) أَنَّهُمْ إِذَا كَانُوا عِنْدَهُ وَفِي مَجْلِسِهِ كَانُوا عَلَى حَالَةٍ يَرْضَوْنَهَا، فَإِذَا فَارَقُوا مَجْلِسَهُ زَالَ ذَلِكَ عَنْهُمْ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) لَوْ أَنَّكُمْ تَكُونُونَ كَمَا تَكُونُونَ عِنْدِي؛ لَأَظَلَّتْكُمْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا .

وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: " وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ " ، وَهِيَ مِنْ فَوَائِدِ مُجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ ؛ إِذْ يُفْتَحُ لِلْمُتَعَلِّمِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مَا لَا يُفْتَحُ لَهُ دُونَهُمْ ، وَيَبْقَى ذَلِكَ النُّورُ لَهُمْ بِمِقْدَارِ مَا بَقُوا فِي مُتَابَعَةِ مُعَلِّمِهِمْ ، وَتَأْدِيبِهِمْ مَعَهُ ، وَافْتِدَائِهِمْ بِهِ ، فَهَذَا الطَّرِيقُ نَافِعٌ عَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ .

وَقَدْ كَانَ الْمُتَقَدِّمُونَ لَا يَكْتُبُ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ ، وَكَانُوا يَكْرَهُونَ ذَلِكَ ، وَقَدْ كَرِهَهُ مَالِكٌ؛ فَقِيلَ لَهُ: فَمَا نَصْنَعُ؟ قَالَ: نَحْفَظُونَ وَتَفْهَمُونَ حَتَّى تَسْتَنِيرَ قُلُوبُكُمْ ، ثُمَّ لَا نَحْتَاجُكَ إِلَى الْكِتَابَةِ ، وَحُكِّيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ كَرَاهِيَةُ الْكِتَابَةِ ، وَإِنَّمَا تَرَخَّصَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ عِنْدَمَا حَدَّثَ النَّسَيَانُ ، وَخِيفَ عَلَى الشَّرِيعَةِ الْإِنْدِرَاسُ .

الطَّرِيقُ الثَّانِي: مُطَالَعَةُ كُتُبِ الْمُصَنِّفِينَ ، وَمُدَوِّنِي الدَّوَاوِينَ ، وَهُوَ أَيْضًا نَافِعٌ فِي بَابِهِ ؛ بِشَرَطَيْنِ : الْأَوَّلُ : أَنْ يَحْصُلَ لَهُ مِنْ فَهْمِ مَقَاصِدِ ذَلِكَ الْعِلْمِ الْمَطْلُوبِ ، وَمَعْرِفَةِ اضْطِلَاحَاتِ أَهْلِهِ مَا يَتِمُّ لَهُ بِهِ النَّظَرُ فِي الْكُتُبِ ، وَذَلِكَ يَحْصُلُ بِالطَّرِيقِ الْأَوَّلِ مِنْ مُشَافَهَةِ الْعُلَمَاءِ أَوْ مِمَّا هُوَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ مَنْ قَالَ : " كَانَ الْعِلْمُ فِي صُدُورِ الرِّجَالِ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْكُتُبِ ، وَمَفَاتِحُهُ بِأَيْدِي الرِّجَالِ " ، وَالْكَتُبُ وَخَدَهَا لَا تُفِيدُ الطَّالِبَ مِنْهَا شَيْئًا دُونَ فَتْحِ الْعُلَمَاءِ ، وَهُوَ مُشَاهَدٌ مُعْتَادٌ . وَالشَّرْطُ الْآخَرُ : أَنْ يَتَحَرَّى كُتُبَ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ الْمُرَادِ ؛ فَإِنَّهُمْ أَقْعَدُ بِهِ مِنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ ، وَأَصْلُ ذَلِكَ التَّجَرُّبَةُ ، وَالْخَبَرُ . (١) .

قال الإمام الشافعي (رحمه الله) : " مَنْ تَفَقَّهَ مِنْ بَطُونِ الْكُتُبِ ضَيَّعَ

الأحكام (٢) .

وكان بعضهم يقول: " مِنْ أَعْظَمِ الْبَلِيَّةِ تَشْيِخُ الصَّحِيفَةِ " ، (٣) .

وقال الشيخ محمد العثيمين (رحمه الله) عن عبارة: [مَنْ كَانَ شَيْخَهُ

كِتَابَهُ فَخَطَّوهُ أَكْثَرَ مِنْ صَوَابِهِ] هَذَا لَيْسَ صَحِيحاً عَلَى إِطْلَاقِهِ ، وَلَا فَاسِداً عَلَى إِطْلَاقِهِ ، أَمَّا الْإِنْسَانُ الَّذِي يَأْخُذُ الْعِلْمَ مِنْ أَيِّ كِتَابٍ يَرَاهُ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَخْطِئُ

(١) الموافقات للشاطبي.

(٢) المجموع للنووي (١/٦٩) ، تَذَكُّرَةُ السَّامِعِ وَالْمَتَكَلِّمِ فِي أدبِ الْعَالَمِ وَالْمَتَعَلِّمِ لِلْقَاضِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ جَمَاعَةَ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٣٣ هـ ، ص ٨٤ ، أَنَيْسُ أَحْمَدُ كَرْزُونُ .

(٣) تَذَكُّرَةُ السَّامِعِ وَالْمَتَكَلِّمِ فِي أدبِ الْعَالَمِ وَالْمَتَعَلِّمِ لِلْقَاضِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ جَمَاعَةَ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٣٣ هـ ، ص ٨٤ ، أَنَيْسُ أَحْمَدُ كَرْزُونُ .

كثيراً، وأما الذي يعتمد في تعلمه على كتب من رجال معروفين بالثقة والأمانة والعلم فإن هذا لا يكسر خطؤه، بل قد يكون مصيباً في أكثر ما يقول. (١).

وقال الإمام ابن جماعة (رحمه الله): ينبغي لطالب العلم أن لا

يخالط إلا من يفيد أو يستفيد منه، فإن تعرض لصحبة من يضع عمره معه ولا يفيد ولا يستفيد منه، فليتلطف في قطع عشرته من أول الأمر قبل تمكنها، فإن الأمور إذا تمكنت عسرت إزالتها، فإن احتاج إلى من يصحبه فليكن صاحباً صالحاً ديناً تقياً ورعاً، ذكياً كثير الخير قليل الشر حسن الإدارة قليل المهاراة، إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه، وإن احتاج واساه وإن ضجر صبره. (٢).

○ **والشيخ محمد الملا (حفظه الله)** يقول في إحدى بياناته أن القرآن نزل على قلب النبي، فيقول: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾ (٤)، وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥).

(١) العلم، (ضمن مجموع فتاوى ورسائل الشيخ رحمه الله) (٢٦ / ١٩٧).

(٢) تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة.

(٣) سورة ابراهيم: من الآية ١ .

(٤) سورة الشعراء: الآيات من ١٩٢ : ١٩٤ .

(٥) سورة البقرة: من الآية ٩٧ .

(نَزَلَ ، أَنْزَلْنَاهُ ، نَزَّلَهُ) نظام نزل القرآن يختلف عن نظام نزول جميع الكتب، فجميع الكتب إما قراطيس، وإما صحف، وإما ألواح.

ما هو نظام القرآن؟ (نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ). أيهم أعظم نظام الألواح أم نظام القلوب؟. ومن قلب النبي إلى قلوب الذين آمنوا، فترية القلوب أرقى وأعلى عند الله، والذي في القلب يضيع؟ يحرق؟ يفسد؟ طبعاً لا.

ولذلك كل القرآن لتربية هذه الأمة.. لأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يربي هذه الأمة كما ربي أنبياءه، أعلى مستوى في التربية بالدعوة إلى الله. فالقرآن من البداية إلى النهاية لا يوجد فيه قصة عابد(١)، أو ذاكراً أو زاهداً، كل يبين الدعاة إليه، ما هو السبب، ليثبت به فؤادك.

الله أنزل القرآن لقيام الأمة على نيابة النبي ﷺ، لذلك فصل الله فيه حياة الأنبياء، لأن الله يريد تربيتك كترية الأنبياء، فالله ما ذكر عبادة الأنبياء، ما هو السبب؟ لأن الله نسخ جميع الشرائع، جميع الشرائع منسوخة، ولكن الله ما نسخ الجهد، الله بين في القرآن حياة خمساً وعشرين نبياً ورسولاً وفصلها بالتفصيل، هل ذكر الله عبادة نبي واحد؟ هل ذكر الله عز وجل عبادة النبي؟.

(١) أقول: إلا عابداً واحداً ذكره الله في الآيتين ١٥، ١٦ من سورة الحشر: (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ). وقد ذكر بعض أهل التفسير أنه برصيصا العابد، وذكروا له قصة.

فالقُرآن كتاب الدعوة: [ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ] (١)

كتاب الهداية، والله فصل فيه جهد الهداية (٢).

فضيلة الشيخ محمد عمر البالمبوري (رَحِمَهُ اللهُ)

يرغب في القيام بحلقات التعليم

(١) ولما ننصرف لبيوتنا لا نتصرف بهوانا، بل حلقات التعليم في البيوت.
(٢) ولإنبات شجرة الدين، بدأ رسول الله ﷺ في مكة المكرمة، وأول شيء بدأ به النبي ﷺ كلمة التوحيد لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فصدّه أهل مكة لأنهم عباد أصنام، ثم أنزل الله القرآن فبدأت حلقات التعليم، وكانت حلقات التعليم سرا في بعض البيوت، كما كان في بيت سعيد بن زيد وزوجته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب، وكنا يجلسان أمام خباب بن الأرت رَضِيَ اللهُ عَنْهُم يستمعون القرآن.

ويقول الشيخ محمد عمر (رَحِمَهُ اللهُ) مبيناً كيف ينمو الإيمان في القلوب:
إن الإيمان بهذه السنن الإلهية التي تمثل أهم عنصر من عقيدتنا، ينمو فينا بكثرة حلقات التعليم والمذاكرات، ويزيد هذا الإيمان رسوخاً كلما تدبرنا في كلام الله، وتركنا الاعتماد على المشاهدات والتجارب، ثم بتربية أنفسنا يومياً بالاعتماد على الله في كل أحوالنا مع وجود الأسباب وعدمها، ونكون مستعدين لترك هذه الأسباب إذا تحتم الأمر، أو جاءت ضرورة من ضروريات الدين.

(١) سورة البقرة - الآية ٢.

(٢) كتاب كيف تسبح في قلوب الخلق (من أقوال الشيخ محمد الملا) بقلم المؤلف.

نهتم بسماع فضائل كل عمل نقوم به لأن الفضائل هي موعود الله على الأعمال لهذا نهتم بتعليم الفضائل، العلم علماً علم اللسان وعلم القلب، علم اللسان هو معلومات، وعلم القلب هو الذي يدفع صاحبه للعمل، فنجتهد لنكتسب يقين العلم الإلهي وندعو الناس إليه، الأمة ضائعة وسط هذه الفنون الفانية، العلم حقيقة هو ما يريده الله متناً وما سواه فنون لا نمنع ولا ننكر تعلمها، تعلمها من الضروريات وحاجة وقتية ولكن لا نفتخر بها ونفهم أنّها علم.

فضيلة العالم الرباني

الشيخ يوسف الكاندهلوي (رحمه الله)

يفرق بين العلم والفن

❖ قال الشيخ (رحمه الله): إذا أراد الإنسان الاستفادة من علمه يلزمه أربعة أشياء:

الأول: [العلم الصحيح] علم القرآن والحديث: أما باقي العلوم فلا تسمى علوم بل تُسمى فنون، مثل الطب والهندسة... الخ.

والذي يتعلم العلوم العصرية فقط، يقع في المعاصي، ولكن إذا تعلم العلوم العصرية وخرج في سبيل الله وجالس الصالحين، ويتعلم الدين يستطيع أن يمشي في الدنيا على بصيرة، فكثير من الناس تعلموا في الجامعات العصرية، وخرجوا في سبيل الله، وتعلموا العلم الصحيح، فجاءت عندهم الخشية

والإنابة والورع والزهد، واتباع سنن الأنبياء عليهم السلام.

❖ **وقال الشيخ (رحمه الله):** العلم هو ما يوقفُ العبد على مراد الله تعالى منه وما سواه فنون وضروريات، لماذا؟ لأنَّ الفنون يتعلمها غير المسلمين كذلك، إذا كانت هذه الفنون كذلك علوماً فكل اليهود والنصارى الذين يتعلمونها من أطباء ومهندسين هم في طريقهم إلى الجنة، الحديث واضح قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "...وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ... رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١) .

○ فأنتم بأنفسكم أحكموا وافصلوا، العلم حقيقةً هو ما يريده الله منّا، العلم كله ملخص في أسئلة القبر الثلاث، العلم بالله وبدينه وبرسوله، نحن نريد عن طريق الدعوة أن نخرج الناس من الجهل، أنت تتعلم الطب والهندسة ولا تتعلم مراد الله منك، دكتور يفتخر على عالم حديث يقول : أنا عندي الطب وأنت ماذا عندك الحديث، انتبهوا، الأنبياء أخذوا العلم من الله فأقوامهم قالوا: ما هذا العلم الذي أتيت به؟ نحن عندنا علم الصناعة والتجارة والبناء والفلاحة، فالله أهلك هؤلاء الذين قابلوا بفنونهم علوم الأنبياء واستهزؤوا وسخروا من علوم الأنبياء فحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون، فأولاً نتيقن بأن فوزنا وصلاحنا هو في العلم الإلهي، نحن نرسل أبناءنا إلى المدرسة ليصيروا دكاترة ومهندسين ولما يرجعون مساءً الكل يشتغل معهم في إنجاز الدروس

(١) مشكاة المصابيح « كتاب العلم.

والواجبات والله كل هذا التعب لن يجدي نفعاً في القبر، نحن نقوم بالدعوة إلى العلم الإلهي حتى نتيقن به ونخرج من قلوبنا اليقين بهذه الفنون، قال لي أحدهم: أنا ذاهب إلى الصين لتعلم الطب الصيني، أما سمعت الحديث أطلبوا العلم ولو بالصين، انظروا إلى هذه الخدعة، حتى المثقفون من المسلمين واقعون في هذه الخدعة، العلم هو ما يريد الله تعالى منا، العلم هو طريق النبي ﷺ هذا طريق النجاة، عمر رضي الله عنه كان ملهماً وعنده علم، وكانت آيات الأحكام تنزل موافقة لرأيه، عنده علوم، فأراد أن يقرأ صحف موسى للزيادة في العلم، أكمل علم النبي وأراد أن يزيد علم موسى، جاء إلى النبي ﷺ فرحاً بما جاء به من علماء اليهود، فكم كان غضب النبي ﷺ لما رآه، فرمى عمر الصحف، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ عُمَرَ أَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّا نَسْمَعُ أَحَادِيثَ مِنَ الْيَهُودِ تُعْجِبُنَا أَفَتَرَى أَنْ نَكْتُبَ بَعْضَهَا؟ فَقَالَ: "أَمْتَهُوْكُمْ أَنْتُمْ كَمَا تَهَوَّكُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، وَلَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي (١).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخُطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ الْكُتُبِ قَالَ فَغَضِبَ وَقَالَ: "أَمْتَهُوْكُمْ (٢) فِيهَا يَا ابْنَ

(١) البيهقي في شعب الإيمان - رقم الحديث : ١٦٤ .

(٢) هوك: الأهووكُ الأحمقُ، وفيه بَقِيَّةٌ، وَالْإِسْمُ الْهُوكُ، وَقَدْ هَوَكَ هَوَاً. وَرَجُلٌ هَوَاكٌ وَمَتَهُوكٌ مُتَحِيرٌ؛ أَنْشَدَ ثَعْلَبٌ:

إِذَا تُرِكَ الْكَعْبِيُّ وَالْقَوْلُ سَادِرًا تَهَوَّكَ حَتَّى مَا يَكَادُ يَرِيعُ

الخطاب؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيِّضَاءَ نَقِيَّةً لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقِّ فِتْكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي- بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي " (١).

○ المصيبة اليوم هي أن المسلم ترك كل العلوم الإلهية وتمسك بالطب والهندسة وهذه الفنون، فكم سيكون غضب الله عليه، هل تفهمون كلامي؟ كم من الناس في هذه الخدعة، يظنون هذا علماً.

○ وقال الشيخ يوسف (رحمه الله): الشيء الذي يوجد يقينه في القلب هو الشيء الذي يتبعه الإنسان، لو كان غير أسئلة القبر علماً لكانت أكثر من ثلاث.

○ بسام الفضائل يأتي اليقين على موعودات الله تعالى.

○ نقرأ الحديث ثلاثاً والقارئ ينظر إلى الناس من حوله، بالوضوء والتوجه والاهتمام.

وَقَدْ هَوَّكَهْ غَيْرُهُ. وَالْأَهْوَكُ وَالْأَهْوَجُ وَاحِدٌ. وَالتَّهْوُكُ: السَّقُوطُ فِي هَوَّةٍ الرَّدَى. وَقَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ: يَعْنِي أَمْتَحِيرُونَ؟ وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَمْتَرَدَّدُونَ سَاقِطُونَ؟ وَإِنَّهُ لَمْتَهَوَّكٌ لِمَا هُوَ فِيهِ أَيْ يَرْكَبُ الذُّنُوبَ وَالْخَطَايَا. الْجَوْهَرِيُّ: التَّهْوُكُ مِثْلُ التَّهَوُّرِ، وَهُوَ الْوُقُوعُ فِي الشَّيْءِ بِقَلَّةٍ مُبَالَاةٍ وَغَيْرِ رَوِيَّةٍ. وَالتَّهْوُكُ: التَّحِيرُ. ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: الْأَهْكَاءُ: الْأَمْتَحِيرُونَ، وَهَآكَاهُ إِذَا اسْتَصْغَرَ عَقْلُهُ. وَالْمْتَهَوَّكُ: الَّذِي يَقَعُ فِي كُلِّ أَمْرٍ. وَفِي الْحَدِيثِ مِنْ طَرِيقٍ = آخَرٍ: أَنَّ عُمَرَ أَتَاهُ بِصَحِيفَةٍ أَخَذَهَا مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكِتَابِ فَغَضِبَ، وَقَالَ: أَمْتَهَوَّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ (لسان العرب لابن منظور «حرف الهاء» هوك).

(١) مسند أحمد بن حنبل - مسند العشرة المبشرين بالجنة - باقي مسند المكثرين من الصحابة ... رقم الحديث: ١٤٨٥٩ ، مصنف ابن أبي شيبة - رقم الحديث: ٢٥٨٣٤ .

الدعوة تكريم

○ ويقول الدكتور نعمان أبو الليل (١): التعليم تكريم للراغبين للحق .. والدعوة تكريم لأهل الباطل الغير راغبين لإيجاد وإنشاء وتقوية الرغبة في قلوبهم . فالله يعلم عناد النمروذ، وفرعنة فرعون، وجهل أبو جهل، وخبث قوم لوط، ورغم ذلك أرسل لهم الرسل والأنبياء والدعاة على نهجهم لدعوتهم إلى الله تعالى (٢).

فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله)

يرغب في نشر العلم

إن في شرك للعلم نشرًا لدين الله، فتكون من المجاهدين في سبيل الله؛ فالمجاهد في سبيل الله يفتح البلاد بلداً بلداً حتى ينشر فيها الدين، وأنت تفتح القلوب بالعلم حتى تنشر فيها شريعة الله عز وجل (٣) .

أقسام العلوم الإسلامية التي يجب تعلمها

إِحْدَاهُمَا : الْعِلْمُ بِاللَّهِ ، وَالثَّانِيَّةُ : الْعِلْمُ بِدِينِهِ .

فَأَمَّا الْعِلْمُ بِهِ سُبْحَانَهُ ، فَخَمْسُ مَرَاتِبَ : الْعِلْمُ بِذَاتِهِ ، وَصِفَاتِهِ ، وَأَفْعَالِهِ ، وَأَسْمَائِهِ ،

(١) من علماء الأردن (أستاذ التفسير وعلوم القرآن) .

(٢) وأنصح أحبائنا بقراءة كتاب الأنوار النعمانية في الدعوة الربانية من أقوال د .

نعمان أبو الليل بقلم/ محمد علي محمد إمام .

(٣) شرح دعاء القنوت لابن عثيمين .

وَتَنْزِيهِهِ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِهِ .

وَالْعِلْمُ بِدِينِهِ مَرَّتَانٍ :

إِحْدَاهُمَا : دِينُهُ الْأَمْرِيُّ الشَّرْعِيُّ ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الْمُوَصِّلُ إِلَيْهِ .

وَالثَّانِيَةُ : دِينُهُ الْجَزَائِيُّ ، الْمَتَضَمِّنُ ثَوَابَهُ وَعِقَابَهُ ، وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذَا الْعِلْمِ الْعِلْمُ

بِمَلَايِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ (١) . وَهُوَ مَعْرِفَةُ مَا لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِمْ بَعْدَ الْقُدُومِ عَلَيْهِ .

★ قال ابن القيم:

وَالْعِلْمُ أَقْسَامٌ ثَلَاثٌ مَا لَهَا مِنْ رَابِعٍ وَالْحَقُّ ذَوْتَيْنِ

عِلْمٌ بِأَوْصَافِ الْإِلَهِ وَفِعْلِهِ وَكَذَلِكَ الْأَسْمَاءُ لِلرَّحْمَنِ

وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ الَّذِي هُوَ دِينُهُ وَجَزَاؤُهُ يَوْمَ الْمَعَادِ الثَّانِي

وَالْكُلُّ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ الْمَبْعُوثِ بِالْفُرْقَانِ (٢)

وَاللَّهُ مَا قَالَ أَمْرٌ مُتَحَذِّقٌ بِسَوَاهُمَا إِلَّا مِنْ الْهَذْيَانِ (٣)

★ وَقَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْبَغَوِيُّ (رَحِمَهُ اللَّهُ): الْعُلُومُ الشَّرْعِيَّةُ قِسْمَانِ: عِلْمُ

الْأُصُولِ، وَعِلْمُ الْفُرُوعِ.

أَمَّا عِلْمُ الْأُصُولِ: فَهُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَالصِّفَاتِ،

وَتَصْدِيقِ الرُّسُلِ، فَعَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ مَعْرِفَتُهُ، وَلَا يَسَعُ فِيهِ التَّقْلِيدُ لِظُهُورِ آيَاتِهِ،

(١) مدارج السالكين _ فَصْلٌ فِي مَرَاتِبِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ عِلْمًا وَعَمَلًا.

(٢) فِي النُّسخَةِ الْخَطِيَّةِ : بِالْقُرْآنِ .

(٣) نُونِيَّةُ ابْنِ الْقَيْمِ _ أَقْسَامُ الْعِلْمِ .

وَوُضُوحِ دَلَالَتِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} (١)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} (٢).
وَأَمَّا عِلْمُ الْفُرُوعِ: فَهُوَ عِلْمُ الْفِقْهِ، وَمَعْرِفَةُ أَحْكَامِ الدِّينِ، فَيَنْقَسِمُ إِلَى فَرْضِ عَيْنٍ، وَفَرْضِ كِفَايَةٍ.

وَأَمَّا فَرْضُ الْعَيْنِ: فَمِثْلُ عِلْمِ الطَّهَّارَةِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ، فَعَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ مَعْرِفَتُهُ، قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» (٣).
وَكَذَلِكَ كُلُّ عِبَادَةٍ أَوْجَبَهَا الشَّرْعُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ، فَعَلَيْهِ مَعْرِفَةُ عِلْمِهَا، مِثْلُ عِلْمِ الزَّكَاةِ إِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ، وَعِلْمُ الْحَجِّ إِنْ وَجَبَ عَلَيْهِ.

- أقول: العلم الذي يتعلق بحياتك وتعمل به فهو فرض عين (٤).

وَأَمَّا فَرْضُ الْكِفَايَةِ، فَهُوَ أَنْ يَتَعَلَّمَ مَا يَبْلُغُ بِهِ رُتَبَةَ الاجْتِهَادِ، وَدَرَجَةَ الْفُتْيَا، فَإِذَا قَعَدَ أَهْلُ بَلَدٍ عَنْ تَعَلُّمِهِ، عَصَوْا جَمِيعًا، وَإِذَا قَامَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ بِتَعَلُّمِهِ، فَتَعَلَّمَ، سَقَطَ الْفَرَضُ عَنِ الْآخَرِينَ، وَعَلَيْهِمْ تَقْلِيدُهُ فِيمَا يَعْنُ لَهُمْ مِنَ الْحَوَادِثِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } (٥)(٦).

(١) سورة مُحَمَّد: الآية ١٩.

(٢) سورة فَصَلَتْ: الآية ٥٣.

(٣) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ، وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي (شُعَبِ الْإِيمَانِ) إِلَى قَوْلِهِ (مُسْلِمٍ). وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ مَتْنُهُ مَشْهُورٌ، وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ، وَقَدْ رُوِيَ مِنْ أَوْجِهٍ كُلِّهَا ضَعِيفٌ (مرقاة المفاتيح).

(٤) أقول: ... من كلام المؤلف/ محمد إمام.

(٥) سورة النحل - الآية ٤٣.

(٦) شرح السنة للبغوي - كتاب العلم.

*** العلوم الشرعية أربعة أقسام :**

الأول: علمُ التوحيد وما تتم به العقيدة، وهو علم الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

الثاني: علم الفرائض: وهو ما فرضه الله تعالى ، وما تصحُّ به العبادات .

الثالث: علم الفضائل: وهو فضائل الأعمال كالصلاة والزكاة والحج والصوم .

الرابع: علم المسائل: وهو الذي إذا قام به من يكفي سقط عن الباقي .

*** ويقول الشيخ إلياس (رحمه الله) : إن الحياة الإسلامية تحتوى على أربعة**

أقسام بعد الإيمان، وهى: العبادات، والمعاشرة، والمعيشة، والمعاملات، ولكل قسم علم خاص به.

القسم الأول: علم العبادات: ويدخل في علم العبادات الصلاة والصوم والحج والزكاة والذكر والتلاوة والدعاء وغيرها من العبادات الأساسية في الإسلام، إذ يجب على الإنسان الحصول على علم كل ما يجب أدائه، فالذي وجبت عليه الصلاة يجب عليه المعرفة بها، والذي يجب عليه الزكاة يجب أن يتعلم كل أمورها، والذي فرض عليه الحج يجب عليه معرفة جميع مناسكه، وهكذا الصوم حيث يجب على الصائم أيضا أن يعرف ما وجب عليه من أركانه وآدابه حتى يتمكن من إكمال هذه الفريضة بصورتها الصحيحة.

ومن هنا تأتى أهمية (الصلاة) بصورة خاصة أكثر من جميع العبادات،

حيث إنها أجلُّ العبادات وأول الأحكام الربانية على المسلم، فيجب على كل

واحد أن يتعلم أحكامها بتمامها في أول فرصة تتاح له بعد الإيمان بالله، سواء أكان رجلاً أو امرأة أو شاباً أو شيخاً أو ضعيفاً أو قوياً .

وينقسم علم العبادة إلى نوعين هما:

(أ) علم الفضائل: الشوق والرغبة للأعمال الصالحة.

(ب) علم المسائل: تصحيح العبادات.

فإن الفضائل هي روح الحياة الدينية وقوتها المحركة. أما المسائل فهي قواعدها وضوابطها وأحكامها والفرق بينهما هو نفس الفرق الذي نراه بين الروح والجسد (١).

- علم المسائل كالدواء .. أما علم الفضائل فهو مثل الغذاء.

- إن علم " المسائل والأحكام " وعلم " الفضائل " هذين النوعين نجدتهما في جميع العلوم الواجبة في كل مناحي الحياة، فعلم المسائل والأحكام واجب مقدم على علم الفضائل، لأن صحة أعمال العبادات ينحصر في علوم المسائل، أما علم الفضائل فهو مستحب، ولكنه لا يقل في أهميته حيث لا يرغب الشخص العادي في الحصول على علم المسائل ولا يشاق إليه إلا إذا تعرف على علم الفضائل (٢) .

(١) من كلام الشيخ إلياس (رحمه الله) انظر كتاب أهمية العلم والذكر في الإسلام ومدى

احتياج الإنسان لها ص ٤٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٣ .

وعلم الفضائل وعلم المسائل كلاهما نزل من مصدر واحد ولكن علم الفضائل نزل أولاً لتهيئة القلوب لتلقى علم المسائل حتى تنفذها أما إذا تعلمنا المسائل قبل الفضائل فالقلوب تكون غير مُهيئة لتنفيذ الأحكام.

- إن مذاكرة الفضائل له أهمية كبيرة حيثُ يبعثُ في النفس محبة الله ورسوله، وامتنال أمرهما.

- فلاهتمام بإقامة مجالس الاستماع إلى الفضائل أمر لا غنى عنه في حياة المسلم ، مهما بلغ من الكمال في العلم والعمل به لأن الفضائل تعتبر أقوى الدوافع للترغيب في القيام بمثل تلك الأعمال العظيمة التي تمنع الإنسان عن القيام بها جميع القوى الشيطانية المعادية للإسلام وأهله وتجعله بعيداً ومغترباً عن الإسلام بل كارها ومُكرِّها لكل ما ينتمي إليه (١).

قاعدة مفيدة ذكرها الإمام النووي في مقدمة كتابه الأذكار، قال (رحمه الله) : اعلم أنه ينبغي لمن بلغه شيء من فضائل الأعمال أن يعمل به ولو مرة واحدة ليكون من أهله، ولا ينبغي أن يتركه مطلقاً بل يأتي بما تيسر منه، لقول النبي (ﷺ) في الحديث: " إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ " (٢) (٣).

القسم الثاني: علم المعاشرة: المعاشرة هي طريق الحياة العائلية، ويجب على الفرد العلم بكيفية المعاشة مع أبويه وزوجته وأولاده وجيرانه وأقاربه،

(١) المرجع السابق.

(٢) رواه البخاري برقم (٧٢٨٨).

(٣) كتاب الأذكار للإمام للنووي.

وكيفية التعامل معهم، فإذا تعرف الإنسان على هذا النظام وكيفية مروره من تلك المراحل طبقاً لما أمر به النبي (ﷺ)، فإنه ينعم بأفضل ما يمكن له في حياته من الطمأنينة والقرب الإلهي، حيث يلزمه تعلم ما جاء في الكتاب والسنة المطهرة في هذا المجال .

القسم الثالث: علم المعاملة: والفرق بين (علم المعاشرة) و (علم المعاملة) هو أن الأول خاص بالعشيرة والأقربين، والثاني عام بين البشرية .

يأتي في (علم المعاملة) التعامل مع الأقربين وغيرهم، مثل كيفية معاملة الوالد لولده، والابن لأبيه، والمستأجر مع الأجير، والأجير مع المستأجر كما يدخل فيها إعطاء القروض الحسنة لمن يحتاج إليها، وكيفية أداء تلك القروض لأصحابها في موعدها، كما تأتي فيه جميع معاملات الإنسان مع الإنسان بالصدق والأمانة، والوفاء بالوعد والعهد .

وكتب الأحاديث زاخرة بتلك المعلومات القيمة موضحة النماذج الكاملة عن حياة الرسول (ﷺ)، فإن راجت تلك المعايير القيمة فلا يبقى في العالم ظالم أو مظلوم، ولا ترى السائل والمحتاج، بل يتجول صاحب المال بحثاً عن المحتاجين ليقضى حاجتهم فلا يجد.

ولذلك يجب على المرء أن يتعلم تلك الطرق ويقوم بإصلاح أعماله طبقاً لهذه الأوامر، حتى يعم هذا العمل ويلجأ أهل الأرض إلى المسلم حيث يأخذونه مرشداً ومعلماً لتعليمهم ما جاء به النبي الأمين من تعليمات لم تصل إليها

البشرية، رغم بذل كل الوسائل الممكنة من أجلها.

كان هذا هو الهدف الأسمى لاختيار (العلم) كجزء أول للمبدأ الثالث في منهج الدعوة والتبليغ، كي يصل المرء إلى علم كل ما يحتاجه في حياته ، ويعرف الحياة الإسلامية بمعنى الكلمة فيصوغ حياته طبقا لما جاء به النبي (ﷺ) وقدمه كنموذج بالقول والفعل، وأمر بالتمسك به وشرح أحكامه وفضائله ونهى عن تركه، موضحا كل ما فيه من وعد ووعد.

علم المعيشة: هو علم يحتوى على جميع الأعمال والجهود التي تبذل لكسب الحلال مثل: الزراعة والتجارة والتوظيف وغيرها من الأعمال التي يقوم بها الإنسان لكسب المادة.

وقد قدم لنا الرسول (ﷺ) نظاما كاملا في هذا المجال، مع تقديم نماذج التنفيذ والأساليب القيمة، ليتكون المجتمع الإسلامي الخالص، ويقوم كل واحد بكسب الحلال والمشروع، ولا يستطيع أحد أن يأكل حق الآخرين، ويعم الأمن والسلام الشامل العادل في البشرية كلها، ولتحقيق هذا الهدف الأسمى قضى الرسول (ﷺ) على الغبن والخداع والرشوة والظلم والكذب، كما قضى على البطالة والمجاعة، وظهرت البركات حيث عاش كل فرد - بالألفة والمحبة - في رخاء وسرور وأمان، وانعدم الخوف والخطر من المجتمع الإسلامي كأن لم يكن شيئا مذكورا .

وإذا وجب على المرء ألا يكسب غير الحلال فعليه أن يتعلم ما جاء به (الدين

الحنيف) في البيع والشراء وغيرها من الأمور اللازمة في التجارة والمعاملة حتى تصبح البلاد المسلمة آمنة مطمئنة يسودها الرخاء ويزول عنها البلاء، وتصبح نموذجا للشعوب الأخرى التي ترغب في الأخذ بتلك السبل الفريدة في هذا المجال(١).

فالعلم علمان:

- ١) علم الهدى: وهو علم الدين (ومعه نصره الله تبارك وتعالى).
 - ٢) علم الهوى: وهو علم الدنيا (وليس معه نصره الله).
- وعلم على اللسان: وهو حجة الله على خلقه وصاحبه محروم من نور العلم.
 - وعلم في القلب: وهو العلم النافع، وصاحبه الذي يعمل بعلمه وعنده تقوى وخشية وإنابة، واتبع السنة، فهو الذي قد تحصل على نور العلم.
- والذي عنده علم الكلام فقط فمثله كمثل الحمار يحمل أسفارا، ومثله كمثل الكلب.
- والجهل نوعان:
- ١) الذي يعلم الخطأ ويسير عليه فهو جاهل.
 - ٢) الذي لا يعلم الخطأ ويعمل به فهو جاهل أيضا.
- فكل أوربا في الجهل، لأنهم لا يعرفون الله وأسمائه وصفاته، وقدرته، رغم علوم الدنيا.

١) أهمية العلم والذكر في الاسلام للشيخ عبد الخالق ببرزاده ص ٢٣ .

الثاني: [اليقين الصحيح]: لا بد أن نتيقن أن الله يرزقنا بهذا العلم ويسعدنا به، فأصحاب النبي بهذا العلم تحصلوا على الرزق والعزة والكرامة، حتى نشروا الدين في أنحاء العالم .

ولكن الذي تعلم العلم (القرآن والحديث) بدون هذا اليقين، يضع قرآنه وحديثه، ويطلب الدنيا بالقرآن والعلم، مثل علماء بني إسرائيل اشتروا بعلمهم ثمنا قليلا، وطلبوا الدنيا فجاء في قلوبهم الطمع والحرص على الدنيا. وبدون هذا اليقين يحرم نور العلم ويكون علمه غير صحيح، لأن كل إنسان يمشي تحت يقينه، لذلك كثير من الناس يرسلون أولادهم لأوربا للعلم، فيتأثرون من فكرهم المادي الشيوعي ، وينسون دينهم بسبب نقص الإيمان عندهم من أجل ذلك قال عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: " لَقَدْ عَشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرٍ وَأَحَدُنَا يَرَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ (ﷺ) فَتَعَلَّمَ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا، وَأَمْرَهَا وَزَجَرَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ نُوقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا، كَمَا تَعَلَّمُونَ أَنْتُمْ الْيَوْمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ رَجُلًا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ، فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتَمَتِهِ، وَلَا يَدْرِي مَا أَمْرُهُ وَلَا زَجَرُهُ، وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهُ وَيَنْتُرَهُ نَشْرَ الدَّقْلِ " (١).

وَعَنْ جُنْدُبِ الْبَجَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ نَبِيِّنَا (ﷺ) فِتْيَانًا حَزَاوِرَةً

(١) رواه الطبراني في الأوسط، قال الحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين، ولا أعلم له علة ووافقه الذهبي أنظر : المستدرک على الصحيحين ٣٥/١.

فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَزَدَّادُ بِهِ إِيْمَانًا، فَإِنَّكُمْ
الْيَوْمَ تَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ. (١).

والإيمان هو اليقين والذي ليس عنده يقين على موعود الله فهو لا يضحى
بإاله ونفسه للدين، بل يفكر يكسب بعلمه الدنيا، ولكن الصحابة الكرام
أنفقوا أموالهم على هذا العلم فأكرمهم الله سبحانه وتعالى، وعوضهم وأغناهم
وأعطاهم الدنيا وهي راغمة.

بقدر اليقين تأتي عظمة العلم في القلب، وبسبب هذا اليقين تأتي القوة في
الأعمال، ولا يتأثر صاحب هذا اليقين بأصحاب العلوم العصرية، وتقدم هذه
العلوم ولا يسيل لعبه على أشياء الدنيا لحقارتها في قلبه، فيخرج من قلبه كيد
الدنيا وزخرفها لأن الله سبحانه وتعالى نور قلبه فهو يمشي بهذا النور، ولأن نور
العلم في القلب يجد صاحبه لذة تغنيه عن أشياء الدنيا الفانية .

الثالث: [الدعوة إلى علمه]: يجتهد بإاله ونفسه ويتحرك بالنصيحة والدعوة بين
الناس، كما يجتهد أهل الدنيا من أجل نشر علمهم (الميت) فهم ينشرون علمهم
الميت عن طريق النساء وإنشاء المستشفيات والجامعات، لكن علم الدين (حي) لا
يحتاج إلى من يحمله، ولكن الناس إذا لم يقوموا بالدعوة فهو يصبح مثل الماء الراكد،
فلا بد من الدعوة والحركة لنشر هذا الدين في العالم كله، كما حدث في عهد
الصحابة.

مزاج العلم السفر والحركة للدعوة، ولكن إذا جلسنا في مكاننا تأثرنا

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه والطبراني في الكبير بسند صحيح.

بالعلوم العصرية التي تدخل علينا بيوتنا.

عندنا القرآن والحديث والمساجد موجودة ولكن تأثرت قلوبنا بالعلوم العصرية فتركنا القرآن والحديث وافتخرنا بالعلوم العصرية، مثل الذي ترك جوهرة غالية الثمن وتمسك بشيء رخيص.

الرابع: [العمل]: الإنسان إذا تعلم علم الدين وعمل به يزداد هذا اليقين في القلب ويأتي عنده الشوق والرغبة لرضاء الله عز وجل فيتأثر به الناس وتكون في دعوته القوة، ولكن إذا تعلم علم الدين ولم يعمل به فلا يستفيد بعلمه أحد ولو كان عالماً (١).

العلم الإلهي

✽ يقول الشيخ سعيد أحمد (رحمه الله): مبينا ماهية العلم الإلهي فقال: هناك علمان:

- العلم الأول: الذي أنزله الله عز وجل من السماء إلى الأرض بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام وهو القرآن الكريم.
- والعلم الثاني (العلم المادي): جعله الله عز وجل بعقل الإنسان.. وهذا العلم فاني، لأن الله استخرجه بواسطة الإنسان والإنسان فاني.. والنفع بهذا العلم فاني.

(١) انتهى كلام الشيخ يوسف الكاندهلوي.

- استخرج الانسان الأشياء المادية الفانية مثل الحديد والذهب والفضة والبترول والمنجنيز والفوسفات من الأرض، والله عز وجل أعطى الإنسان هذه الأشياء بدون واسطة جبريل عليه السلام.
- والفوز والفلاح الأبدي قبل الموت وبعد الموت ليس بهذه الأشياء المادية.
- ولكن العلم الإلهي الذي به فوزنا وفلاحنا قبل الموت وبعد الموت الله عز وجل أنزله إلينا بواسطة جبريل عليه السلام، وهو القرآن كلام الله وكلام الله لا يفنى.
- العلم الإلهي: ينشئ في الإنسان اليقين والتوكل والصبر والشكر، والخوف من الله ، ومحبة الله.
- والعلم الإلهي: لصلاح الأعمال وأهمها الصلاة.
- والعلم الإلهي: لصلاح المعاملات والمعاملات والأخلاق ويجعل الألفة والمحبة بين الناس.
- والعلم الإلهي: ينشأ الإخلاص لله تعالى عند العبد.
- والعلم الإلهي: به يعرف العبد حقوق الخالق وحقوق المخلوقين عليه.
- والعلم الإلهي: به تأتي الراحة والطمأنينة والسعادة في حياة الناس.
- والعلم الإلهي: يجعل للعبد الراحة كذلك في القبر والحشر والميزان والصراط.
- والعلم الإلهي: يجعل الانسان في مجاورة ربه في الجنة.

- والعلم الإلهي: تعرف نتائجه، أما العلم المادي: فلا تعرف نتائجه، بل ربما يهلك به صاحبه كالذي يصنع الصاروخ ربما ينفجر عند انطلاقه فيدمر صاحبه (١).

أهمية تحصيل العلم الإلهي

• لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللَّهُ: هي رأس العلم وأفضلها وبقيّة العلوم تبعاً، والجهد عليها جهد أساسي (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) (٢).

الله سبحانه أنزل العلم الإلهي من أجل تكميل الإيمان وتكميل العبادات لأنه بكمال الإيمان والعبادات تكمل الأخلاق والمعاملات. العلم الإلهي معناه كيف نستفيد من خزائن الله مباشرة ولا نستفيد إلا إذا نظفت قلوبنا من أثر المخلوق.

إذا ربطنا حياتنا بالعلم الإلهي، يقودنا إلى الجنة والسعادة. كل العلوم تدرس من أجل الجهد والمشغولية ولا يطلب العلم للعلم إنما للعمل والجهد.

تعلم وتعليم الدين العملي حاجتنا ومسؤوليتنا. طلب العلم بالجهد والتضحية والصبر والتحمل والحركة والنقل يرسخ اليقين وتدخل أنواره في القلب فيزهد في الدنيا ويرغب في الآخرة ويزداد رحمة وتواضع ورشد. لكن طلب العلم من أجل الدنيا كلما زاد زاد الطمع والحرص على الدنيا.

(١) كتاب بصائر دعوية _ البصيرة الرابعة والعشرون ص ٥٦.

(٢) سورة محمد _ الآية ١٩.

جهد التعليم للراغبين موهبة خاصة. . وجهد الدعوة لغير الراغبين موهبة عامة: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١)، (وَلِتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (٢)، { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (٣).

قال موسى (عليه السلام): سأمضي حقبا أي: سنين عديدة من غير تحديد من أجل تعلم العلم.. والعمل بدون علم والعلم بدون عمل طريقان للنار. (٤).

الفروق

التي بيننا وبين الصحابة تجاه العلم الإلهي

الأول: كان عندهم اليقين علي العلم الإلهي (علم الكتاب والسنة) ونحن ليس عندنا اليقين علي العلم الإلهي.

الثاني: كانوا يجتهدون علي ثلاثة أشياء (الإيمان.. والعلم.. والعمل) وجهدنا اليوم علي العلم.. وقليل من الناس من يهتم بالعمل ففي الحديث: عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِذَا ظَهَرَ الْقَوْلُ، وَخُزِنَ الْعَمَلُ،

(١) سورة آل عمران – الآية ١١٠ .

(٢) سورة آل عمران – الآية ١٠٤ .

(٣) سورة يوسف – الآية ١٠٨ .

(٤) الأتوار النعمانية في الدعوة الربانية بقلم محمد علي محمد إمام.

وَأَتَتْكَ الْأَلْسُنُ (١)، وَتَبَاغَضَتِ الْقُلُوبُ، وَقَطَعَ كُلُّ ذِي رَحِمٍ رَحِمَهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ، فَأَصَمَّهُمْ، وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ " (٢).

وَعَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِذَا النَّاسُ أَظْهَرُوا الْعِلْمَ وَضَيَّعُوا الْعَمَلَ، وَتَحَابُّوا بِالْأَلْسُنِ وَتَبَاغَضُوا بِالْقُلُوبِ، وَتَقَاطَعُوا فِي الْأَرْحَامِ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ". ابن أبي الدنيا (٣).

وأما الإيمان فالكل مطمئن علي إيمانه إلا من رحم الله.

الثالث: كان عندهم العلم في كل شعب الحياة وفي كل الناس.. أما نحن فالعلم عندنا في طائفة خاصة، وبقية المسلمين لا يشعرون باحتياجهم إلي العلم، وأهل العلم لا يشعرون بالاحتياج للذهاب إليهم ليعلموهم، أو يشعروهم بضرورة العلم.

الرابع: كانوا يفهمون القرآن والسنة فهماً صحيحاً بمعنى أن من تعلم آية واحدة، فهو مسئول عن الدعوة، لما جاء في الحديث: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ " (٤).

(١) في رواية الطبراني في الأوسط: (وَأَخْتَلَفَتِ الْأَلْسُنُ) بدلا من: (وَأَتَتْكَ الْأَلْسُنُ).

(٢) مساوي الأخلاق للخرائطي « الجزء الثاني » باب ما جاء في ظهور النفاق وانتشاره - رقم الحديث (٣٠١)، المعجم الأوسط للطبراني - رقم الحديث (١٦٠٧)، المعجم الكبير للطبراني - رقم الحديث (٦٠٤١)، حلية الأولياء لأبي نعيم رقم الحديث (٣٥٣٤).

(٣) العقوبات لابن أبي الدنيا - رقم الحديث (١٠)، الإشاعة لأشراط الساعة - للبرزنجي.

(٤) صحيح البخاري، سنن الترمذي « كتاب العلم » باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل - رقم الحديث (٢٦٦٩).

ونحن نفهم، أن الدعوة لا تكون، إلا بعد تعلم الحقائق والدقائق.

الخامس: العلم كان عندهم في كبار السن لأن في أيديهم التغيير، ونحن عندنا في الأطفال فقط، والآباء لا يهتمون بتحصيل العلم.. وإذا أراد الولد أن يُغير ترتيب البيت فأبيه يقف أمامه.

السادس: العلم كان يُعلم لوجه الله تعالى، وفي زماننا يعلم بالمقابل والذي يُعلم بالمقابل لا يهتم بتربية من يُعلمه.. ولا يهتم بتغيير فكره وحياته.. فقط يعلمه اللفظ، فربما يعمل وربما لا يعمل، لأنه تعلم اللفظ وليس الحقيقة، فهذا الذي حفظ الألفاظ يستطيع أن يغير حياة الكبير بالطبع لا ؟ !.

السابع: كان العلم في زمانهم في المسجد، ويُنقل من المسجد إلى البيت.. ونحن عندنا العلم فقط في المدارس والمساجد، والبيوت خالية من التعلم إلا من رحم ربي (١).

حقيقة العلوم الإلهية وثمارها

في كل زمان الله تعالى يجعل النصر والعلو لأهل العلوم الإلهية على أهل العلوم المادية الإنسانية، كما نصر- سيدنا موسى (عليه السلام) بالعلم الإلهي على فرعون صاحب العلم المادي، وكما نصر سيدنا إبراهيم (عليه السلام) على النمرود، ونصر- أصحاب محمد (ﷺ) على كسرى وقيصر- أصحاب العلوم المادية الإنسانية.

(١) أجاب علي هذا السؤال فضيلة الشيخ / محمد عمر البالمبوري (رحمه الله).

ولكن اليوم مع إيماننا بعلومنا الإلهية إلا أننا مهزومون أمام أهل العلوم المادية الإنسانية، مع أن القرآن الذي بين أيدينا هو نفس القرآن الذي كان عند أسلافنا، لم ينقص منه حرف ولم يزد فيه حرف، وربنا وربهم واحد، ونبينا ونبيلهم واحد، وقبلتنا وقبلتهم واحدة، ولكن لماذا كانوا منصورين ونحن مهزومين؟ ولماذا كانوا في العزة ونحن في الذلة؟.

السبب في ذلك أنهم كانوا عندهم حقيقة العلوم الإلهية، ونحن عندنا اللفظ والصورة فقط، وأهل المادة في زمانهم كان عندهم حقيقة العلوم المادية، وهم كانوا عندهم حقيقة العلوم الإلهية، فالحقيقة مع الحقيقة كانت نصرته الله تعالى للحقيقة التي ارتضى لعباده، ونحن اليوم نقف بلفظ العلوم الإلهية وصورتها أمام حقيقة العلوم المادية، فمن ينتصر إذاً؟ .

فالحقيقة دائماً تغلب الصورة، فأسلافنا الصحابة _ رضي الله عنهم _ كانوا مثل الأسد الحقيقي، وأهل العلوم المادية كانوا مثل الفأر الحقيقي، فماذا يفعل الفأر الحقيقي أمام الأسد الحقيقي؟ إذا ليس هناك مقارنة بين الأسد والفأر.

ولكننا نحن اليوم مثل الأسد مصوراً على الورق أمام الفأر الحقيقي، فالفأر في هذه الحالة يخرق صورة الأسد ويأكلها، ولو كان شكله في الصورة مهيباً .

الله نصر الصحابة وكذلك في زماننا ينصرون إذا كانت قوة الإيمان في حياتنا. وقوة الإيمان: أن نُعظم الله ونكبره باللسان والقلب، هم كانوا يكبرون الله ويصغرون غيره، فأذل الله طواغيت زمانهم، في زمن الصحابة كانوا يكبرون

الله بألستهم وقلوبهم، وفي زماننا نكبر الله بألستنا ونعظم المادة في قلوبنا، جميع القوات الهدامة كبيت العنكبوت، والإنسان يقول لفظ الإيمان ولكن القلب ليس فيه حقيقة الإيمان، في زماننا على اللسان كلام التوحيد، ولكن توحيد القلب ضعيف جدا لأنه يعتمد على غير الله تعالى، والذي يكون في قلبه الإيمان والتوحيد لا يكون على لسانه فقط بل في قلبه، وهذا لا يكون إلا بالدعوة والتضحية .

إن حقيقة الإيمان وحقيقة الدين في حياة الأمة أعظم ثروة يجب أن يحرص عليها الإنسان، لأن بها معية الله تعالى .

فالإيمان الصحيح ليس ادعاء أجوف، ولا كلمة تردد على اللسان، فبنوا إسرائيل قالوا بألستهم: ﴿ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ * وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِّنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١﴾. فهنا هم طلبوا النجاة فقط، وما طلبوا العزة والنصرة، لم تكن لهم همم عالية .

إن حقيقة الإيمان ألا تجعل الله ندا ولا صنما ولا شريكا، فالصنم كان امتحان للمشركين، أما في زماننا هذا فالصنم هي مشاغل الدنيا وأسبابها التي ابتلينا بها، في الامتحان، لأن ذلك لا يعبد فيه المسلمون صنما، ولكن أسبابا يعتمدون عليها، ومشاغل قدموها على أمر الله فشاركوا الله مع غيره، أو اتخذوا أسبابهم ندا، واليقين لا يرسخ في القلب إلا بالدوام على المذاكرة، بأن نذكر الله بألستنا وفي قلوبنا ومع الناس، أما أن نذكر الله بألستنا ثم نكبر المادة بقلوبنا فهذا هو

(١) سورة يونس، الآيتان: ٨٥ - ٨٦.

الشرك، لكن الصحابة (رضي الله عنهم) صغروا المادة وعظموا الله فهابتهم الأُسْدُ.

قال تعالى: (وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ) (١) فسيدنا موسى وجههم لله، وهم هنا توكلوا ولكن باللفظ (فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا) (٢) ووعد الله ليس بالإيمان اللفظي، ولكن لابد من الإيمان الحقيقي (٣).

الباعث على امتثال الأمر

الباعث على امتثال الأمر هو الايمان بالله وليس العلم، والدليل على ذلك إبليس كان عنده العلم، وما امتثل الأمر، واليهود كان عندهم العلم، والله وصفهم: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (٤). ولذلك الصحابة تعلموا الإيمان قبل القرآن: فَعَن جُنْدِبِ البجلي رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ نَبِيِّنَا ﷺ فِتْيَانًا حَرَاوِرَةً فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَنَزَدَادُ بِهِ إِيمَانًا، فَإِنَّكُمْ الْيَوْمَ تَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ. (٥).

(١) سورة يونس، الآية ٨٤

(٢) سورة يونس، الآية ٨٦.

(٣) روائع العلامة محمد عمر البالمبوري بقلم المؤلف.

(٤) سورة الجمعة - الآية ٥.

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه والطبراني في الكبير بسند صحيح.

أما الأمة اليوم يتعلمون بطريق الخطأ يتعلمون القرآن قبل الإيمان، فيتعلم المسلم القرآن ويتبحر في علومه وتفسيره، ولكن عنده نقصان في التزكية والتربية فلا يستفيد منه، ولا يستطيع أن يقوم على الأوامر، مثال الإناء الغير نظيف ويوضع فيه العسل فلا يستفاد منه، ويصبح مثل علماء اليهود والنصارى ينصبون على الناس باسم الدين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيُصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (١).

قال ابن القيم (رحمه الله): أفضل ما اكتسبته النفوس وحصلته القلوب ونال بها العبد الرفعة في الدنيا والآخرة، هو العلم والإيمان، ولهذا قرن بينهما سبحانه في قوله: (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (٢)، وقوله تعالى: (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) (٣).

(١) سورة التوبة - الآية ٣٤.

(٢) سورة الروم - الآية ٥٦.

(٣) سورة المجادلة: من الآية ١١.

بصائر في آية

قال تعالى: (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

دَرَجَاتٍ) (١).

• البصيرة الأولى: قرَنَ اللهُ فِيهَا بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ.. وكذلك في السنة النبوية اقتران العلم والإيمان: فعَنْ يَزِيدَ بْنِ عُمَيْرَةَ؛ "أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قُلْنَا لَهُ: أَوْصِنَا. قَالَ: أَجْلِسُونِي، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ مَكَانَهُمَا مِنَ التَّمَسُّهِمَا وَجَدَهُمَا". قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، "وَاطْلُبُوا الْعِلْمَ عِنْدَ أَرْبَعَةٍ: عُومِرِ أَبِي الدَّرْدَاءِ، وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ" (٢).

وقال الشيخ يوسف (رحمه الله) : يقال اليوم: إن الإسلام لا يصلح عمليا في عصرنا، صحيح أن الذهن الذي تعود على الأخذ، كيف يقبل طريق العطاء، فإذا جعلتموه خاضعا لأهوائكم وأحوالكم، فلا يبقى ذلك الإسلام إسلاما حقيقيا، بل هو دين جديد من صياغتكُم.

أراد شخصا تصوير أسد على جسمه بالوشم، فلما بدأ الواشم الوشم شعر الشخص بوخزة الوشم، فقال للواشم: ماذا تعمل؟ قال: أضع ذَنْبَ للأسد،

(١) سورة المجادلة: من الآية ١١.

(٢) سنن الترمذي: مناقب عبد الله بن سلام [٣٨٠٤]. قال الألباني: صحيح

(المشكاة: [٦٢٣١]).

قال اترك الذَّنْبَ واصنع صورة الأسد بدون ذَنْبٍ، فترك الواشم الذَّنْبَ، وبدأ يصور من جسم الأسد عضواً آخر، فقال: ماذا تصنع؟ قال: الأذن، فقال له: اترك الأذن، أيلزم تصوير الأذن هكذا.

أيها الأخوة أنتم تعملون مع الإسلام، تريدون أن تحملوا صورته حسب ذوقكم وأحوالكم، كصورة ذلك الأسد، تريدون قطع ما لا يلائمكم، وحذف ما لا يناسبكم من الإسلام.

ويقول في موضع آخر وهو يشرح هذه النقطة شرحاً مستفيضاً: إن الأحكام الدينية التي يعمل بها المسلمون اليوم في أي شعبة من شعب الحياة هي الأحكام التي تؤثر في مصالح المسلمين المالية، أو تطلب منهم مجهود جسمي، فيصعب عليهم العمل بها، فيقضون حياتهم رغم إيمانهم واعتقادهم بالإسلام كدين يقون حياة تتنافى مع تعاليم دينهم.

عن جُنْدُبِ الْبَجَلِيِّ كُنَّا مَعَ نَبِيِّنَا - ﷺ - فِتْيَانًا حَزَاوِرَةً، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَزَادَ بِهِ إِيْمَانًا، فَإِنَّكُمْ الْيَوْمَ تَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ.

وكان ذلك السبب الأساسي لعاطفة الصحابة الكرام الإيمانية واحترامهم بالإسلام، ومحبتهم للرسول ﷺ، واعتنائهم بأحكام الله، وتمسكهم بشريعته، واعتصامهم بحبله، فإن العلم وحده لا يُغني إذ لم يقترن به الإيمان، ويُصبح هذا العلم المجرد عن الإيمان وبالا.

يجب في أول الأمر إخضاع الطبيعة للإسلام، ولا يتحقق ذلك إلا باليقين، بأن الله تعالى هو القادر المطلق، وله الحكم والأمر كله، ولا يستطيع أحد غيره، أن يضر وينفع، وأن الاضطراب والهدم والبناء، والفوز والفشل لا يأتي من الأشياء المادية والوسائل، بل بأمر الله تعالى وحكمه، وإن الله تعالى يحكم بالنجاح والسعادة إذا عدنا إلى طريق محمد ﷺ، وللسفر في هذا الطريق، يجب الحصول على ثروتين: اليقين بالله، واستحضاره في القلب، واليقين بأن الطريق لنزول رحمة الله ونصرته هو طريق محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (١).

-البصيرة الثانية: لماذا قال: {أَوْتُوا الْعِلْمَ} ولم يقل: علموا؟ .

قال فضيلة العالم الشيخ محمد متولي الشعراوي (رحمه الله): كأن العلم ليس كسباً؛ إنما إيتاء من عالم منك يعطيك. فإن قلت: أليس للعلماء دور في الاستدلال والنظر في الأدلة؟ نقول: نعم، لكن مَنْ نصب لهم هذه الأدلة؟ إذن، فالعلم عطاء من الله" (٢).

-البصيرة الثالثة: لماذا قدّم العلم على الإيمان؟ قال الفقيه الإمام القاضي رحمه الله: ذكر العلم يتضمن الإيمان ولا يصف الله بعلم من لم يعلم كل ما يوجب الإيمان، ثم ذكر الإيمان بعد ذلك تنبيهاً عليه وتشريفاً لأمره؛ فنبه على مكان الإيمان وخصه بالذكر تشريفاً (٣).

(١) كتاب الأمراء الثلاثة (إلياس، يوسف، إنعام الحسن) الجزء الثاني بقلم المؤلف.

(٢) تفسير الشعراوي؛ ص: [٧٢١٧].

(٣) المحرر الوجيز: ٢٦١/٥.

- البصيرة الرابعة: قال فيها ابن عباس رضي الله عنهما: يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الَّذِينَ لَمْ يُؤْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ (١) .. وهذا ما تحتاجه الأمة المسلمة.

- قال الرازي (رحمه الله): وَاعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ الدَّرَجَاتِ لِأَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ :
أَوَّلُهَا: لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ بَرٍّ: قال تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } (٢) .

وَالثَّانِيَةُ: لِلْمُجَاهِدِينَ: قال تعالى: { وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ } (٣).

وَالثَّلَاثَةُ: لِلصَّالِحِينَ: قال: { وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى } (٤).

الرَّابِعَةُ: لِلْعُلَمَاءِ: قال تعالى: { يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ } (٥)

(١) الدر المنثور: [٣٢٢/١٤]، المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي - رقم الحديث: ٢٤٣ .

(٢) سورة الأنفال من الآيتين: ٢-٤ .

(٣) سورة النساء من الآية ٩٥ .

(٤) سورة طه : الآية ٧٥ .

(٥) سورة المجادلة من الآية ١١ .

وَاللَّهُ فَضَّلَ أَهْلَ بَدْرِ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِدَرَجَاتٍ، وَفَضَّلَ
الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ بِدَرَجَاتٍ، وَفَضَّلَ الصَّالِحِينَ عَلَى هَؤُلَاءِ
بِدَرَجَاتٍ، ثُمَّ فَضَّلَ الْعُلَمَاءَ عَلَى جَمِيعِ الْأَصْنَافِ بِدَرَجَاتٍ، فَوَجَبَ أَنْ
يَكُونَ الْعُلَمَاءُ أَفْضَلَ النَّاسِ (١).

- قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ (رَحِمَهُ اللَّهُ): فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ } (٢). خَصَّ سُبْحَانَهُ رَفْعَهُ بِالْأَقْدَارِ
وَالدَّرَجَاتِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ؛ وَهُمْ الَّذِينَ اسْتَشْهَدَ بِهِمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
{ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ } (٣).

- وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَرَوْنَ مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ هُوَ الْحَقُّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: { وَيَرَى
الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ } (٤)، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ تَعَلُّمَ
الْحُجَّةِ وَالْقِيَامَ بِهَا يَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ يَرْفَعُهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: { نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ
نَشَاءُ } (٥)، قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: بِالْعِلْمِ.

فَرَفَعُ الدَّرَجَاتِ وَالْأَقْدَارِ عَلَى قَدْرِ مُعَامَلَةِ الْقُلُوبِ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ (٦).

(١) تفسير الرازي: [٤٠٠/٢].

(٢) سورة المجادلة من الآية ١١.

(٣) سورة آل عمران من الآية ١٨.

(٤) سورة سبأ من الآية ٦.

(٥) سورة الأنعام من الآية ٨٣.

(٦) مجموع الفتاوى: [٤٩/١٦].

وهؤلاء هم خلاصة الوجود ولبه، والمؤهلون للمراتب العالية، ولكن أكثر الناس غالطون في حقيقة مسمى العلم والإيمان، اللذين بهما السعادة والرفعة وفي حقيقتهما، حتى إن كل طائفة تظن أن ما معها من العلم والإيمان هو هذا الذي تنال به السعادة، وليس كذلك، بل أكثرهم ليس معهم إيمان ينجي ولا علم يرفع، بل قد سدوا على أنفسهم طرق العلم والإيمان اللذين جاء بهما رسول الله ﷺ ودعا إليهما الأمة، وكان عليهما هو وأصحابه من بعده وتابعوهم على منهاجهم وأثارهم .

والعلم وراء الكلام، كما قال حماد بن زيد: قلت لأيوب: العلم اليوم أكثر أو فيما تقدم؟ فقال: الكلام اليوم أكثر والعلم فيما تقدم أكثر.

ففرق هذا الراسخ بين العلم والكلام فالكتب كثيرة جدا والكلام والجدال والمقدرات الذهنية كثيرة والعلم بمعزل عن أكثرها، وهو ما جاء به الرسول عن الله، قال تعالى: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) (١)، وقال: (وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) (٢)، وقال في القرآن: (أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ) (٣) أي وفيه علمه (٤).

(١) سورة آل عمران: من الآية ٦١

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٠

(٣) سورة النساء: الآية ١٦٦

(٤) الفوائد لابن قيم الجوزية . ص ١٣٨ - ١٣٩ مع اختصار. مراجعة / محمد علي قطب. دار الدعوة.

وهذا ما أخبر عنه النبي ﷺ فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إِنَّكُمْ الْيَوْمَ فِي زَمَانٍ كَثِيرٍ عُلَمَاؤُهُ قَلِيلٌ خُطَبَاؤُهُ، مَنْ تَرَكَ عَشْرَ مَا يَعْرِفُ فَقَدْ هَوَى، وَيَأْتِي مِنْ بَعْدِ زَمَانٍ كَثِيرٍ خُطَبَاؤُهُ قَلِيلٌ عُلَمَاؤُهُ، مَنْ اسْتَمْسَكَ بِعَشْرِ مَا يَعْرِفُ فَقَدْ نَجَا " (١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: " إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ كَثِيرٍ فَقَهَاؤُهُ، - أي علماؤه - قَلِيلٌ خُطَبَاؤُهُ، قَلِيلٌ سُؤَالُهُ، كَثِيرٌ مُعْطُوهُ، الْعَمَلُ فِيهِ قَائِدٌ لِلْهُوَى، وَسَيَأْتِي مِنْ بَعْدِكُمْ زَمَانٌ قَلِيلٌ فَقَهَاؤُهُ، كَثِيرٌ خُطَبَاؤُهُ، كَثِيرٌ سُؤَالُهُ، قَلِيلٌ مُعْطُوهُ، الْهُوَى فِيهِ (٢).

وقد وضع حديث رواه ابن عبد البر حقيقة هامة، وهي اختفاء العلم على مستواه الرباني، وإن بقي في مستواه الظاهري (المعلومات) عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ يَوْمًا، فَقَالَ: " هَذَا أَوَانُ يُرْفَعُ الْعِلْمُ "، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ لَبِيدٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يُرْفَعُ الْعِلْمُ وَقَدْ أُثْبِتَ فِي الْكِتَابِ وَوَعْتَهُ الْقُلُوبُ ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنْ كُنْتُ لَأَحْسِبُكَ مِنْ أَفْقِهِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ " ثُمَّ ذَكَرَ ضَلَالَةَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، قَالَ: فَلَقِيتُ شَدَادَ بْنَ أَوْسٍ فَحَدَّثَنِي بِحَدِيثِ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، فَقَالَ: صَدَقَ عَوْفٌ أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَوَّلِ ذَلِكَ يُرْفَعُ ؟، قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: الْخُشُوعُ حَتَّى لَا تَرَى خَاشِعًا " (٣).

(١) صَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ فِي السُّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ بِرَقْمٍ : ٢٥١٠ .

(٢) الْأَدَبُ الْمَفْرَدُ، ص: [٢٧٥]، رَقْم: [٧٨٩].

(٣) الْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحِينَ: وَقَالَ الْحَاكِمُ هَذَا صَحِيحٌ وَقَدْ احْتَجَّ الشَّيْخَانِ بِجَمِيعِ رَوَاتِهِ، وَالشَّاهِدُ لِذَلِكَ فِيهِ شَدَادُ بْنُ أَوْسٍ فَقَدْ سَمِعَ جُبَيْرُ بْنُ نُفَيْرٍ الْحَدِيثَ مِنْهُمَا جَمِيعًا، وَمَنْ ثَالِثٌ

الطريقة النبوية للتعليم

★ قال الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): إن الحصول على علم الفضائل مستحب ولكن طلب علم المسائل فرض وواجب لذا وجب القيام على طلبها. ولكن تخصيص الحصول على علم المسائل بشكل فردى في منهج (التبليغ) وتخصيص التعرف على الفضائل بشكل جماعي في منهجنا هذا ، فله أسباب خاصة، وأهمها أنه لا خلاف في الفضائل ، أما المسائل فمعظمها مختلف فيها عند الأئمة ولذا فقد قلنا أنه قد لزم تعليم المسائل بصفة فردية حيث يتعلمها كل فرد عن علماء مذهبه - الفقهي - أما تعليم الفضائل فلا خلاف فيها حيث يلزم حصولها بالوسائل الجماعية. والله إنه لفهم عميق لكيفية التعلم.

وقال الشيخ (رحمه الله): إن طريقة التعليم والتربية العامة التي نحن نريد أن نعممها (أي بجهد الدعوة والتبليغ) هي الطريقة التي كانت سارية في عهد النبي (ﷺ) وبتلك الطريقة كان تعلم الدين وتعليمه، والطرق الأخرى التي جرت بعدها مثل التصنيف والتأليف وتعليم الكتب وغيرها، إنها أحدثها الضرورة، وأما الناس الآن ظنوا أنها هي الأصل ونسوا طريقة زمن الرسول (ﷺ) مع أنها هي الطريقة الأصلية، وأن التعليم والتربية بحيث تخصي

مِنَ الصَّحَابَةِ وَهُوَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ١ / ٣٨ رقم الحديث: ٣٠٨، ورواه ابن حبان وصححه الألباني في التعليقات الحسان.

وتشمل العامة لا تتمكن إلا بنفس تلك الطريقة. (١).

❖ الذي يجتهد على نهج النبوة؛ الله يفتح عليه أربعة علوم:

١. علم الشريعة: وهو علم الأحكام.
٢. علم الحقيقة: أي معرفة الحكمة من الأحكام والحكمة من الآيات القرآنية والآيات الكونية.
٣. علم الروحانيات: وهو اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل مع بصيرة في المغيبات.
٤. علم السياسيات: وهو معرفة الباطل أكثر من أهله (٢).

❖ ويقول الشيخ طارق جميل (حفظه الله): الصحابة كانوا من الراسخين في العلم.. علمهم عميق، وليس وسيع، إذا سُئِلَ أحدهم عن سنن الصلاة لا يجيب، ولكن يقول لك: أبين لك صلاة رسول الله. هـ.

❖ ويقول العلامة الشيخ أبو الحسن على الحسنى الندوي (رحمه الله): إن الشيخ محمد إلياس رحمه الله قد درس المنهج الفطري الذي اختير في الصدور الأولى من الإسلام بعناية تامة، واستمر في ذلك حتى آخر لحظات حياته، حيث عندما عجز عن القراءة والكتابة وصعب عليه الاستمرار في قراءة أحوال الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، بدأ يتابع الاستماع من الآخرين

(١) أهمية العلم والذكر في الإسلام للشيخ عبد الخالق بيرزاده.

(٢) من كلام الشيخ إلياس _ رحمه الله _.

بالمواظبة اليومية .

✽ ويقول الشيخ أبو الحسن الندوي (رحمه الله): إن الشيخ محمد إلياس بلغ القمة في دراسة حياة الصحابة وسيرتهم وأخلاقهم وخصائصهم وميزاتهم .. كما درس وتعمق في كل المناحي المختلفة من حياتهم بدقة بالغة ، وما رأيت أحدا مثله في هذا المجال إلى يومنا هذا، حيث كان كل همه وفكره هو إحياء منهج الصحابة رضوان الله عليهم للإصلاح في جميع مجالات الحياة وخاصة في (التعليم والذكر) .

✽ ويقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): إن الحاجة شديدة جدا في التمسك بالعلم والذكر بالقوة الشديدة، ولكن لا بد من فهم حقيقة العلم والذكر، وحقيقة الذكر هو عدم الغفلة، وتأدية الفرائض الدينية هي أعلى درجة الذكر، فلذا الانشغال في نصرة الدين والجد والاجتهاد في نشر الدين أعلى درجة الذكر بشرط أن يكون تأديتها بمراعاة أوامر الله ومواعيده.

وقال أيضا: إن أصل الذكر وأعلاه هو مراعاة أحكام الله تعالى في كل وقت حسب أحواله، وفي قوله: لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله إذا كان الرجل يراعي حدود الله ويمثل أوامر الله في تجارته وفي تعامله مع أولاده فهو من الذاكرين الله وإن كان مشغولاً في هذه المعاملات.

ويقول الشيخ سعيد أحمد (رحمه الله): احترام أهل العلم والذكر أمر في غاية الأهمية .. ونحن اليوم عدنا قدر هذا الشيء لعدم وجود الدعوة، وأصبح

العلم والذكر عملين بلا روح ، إن هذين الصفتين يضعان في الإنسان معنى ملكيا، ويمحوان منه معاني حيوانية وعواطف شيطانية.

فبهما تقام موازين الفناء والبقاء ، بشرط أن تنتشر الدعوة إلى أن يغدو كل فرد داعياً إلى دين الله في جميع أحواله وأوضاعه، متقيدا بأسلوبها ونظامها ،فالدين يحيا بعد التمسك بالدعوة وتعلمها.

❖ **ولقد سلك الشيخ محمد إلياس منهج التدرج:** في كل ما قرره من المبادئ الأساسية للدعوة إلى الله، لأنه اعتقد أن الإنسان إذا آمن بالله وتمكن يقين الكلمة الطيبة في قلبه، ثم أقر بالعبودية الكاملة وتذوقها بالصلاة اشتاق إلى معرفة الدين وتقوية إيمانه بذكر الله، وكلما إنهاك العبد في العلم والذكر زاد ارتباطه بالشرعة الغراء وقوى إيمانه ويقينه، فينشغل به تدريجيا حتى يصبح من مألوفة إتباع الحكم الشرعي في كل أعماله وشواغله، ولا يأتي بفعل إلا إذا تأكد من شرعيته والثواب عليه، فيكون مكسبه ومصرفه ومنامه ويقظته طبقا للشرعة المطهرة .

❖ **كما أكد الشيخ محمد إلياس:** أن الكمال الإنساني يقوم على أساس (العلم والذكر) بعد الإيمان والعبودية، ولا يمكن لأحد أن يصل إلى المثالية المنشودة إلا بالعلم والذكر، وإذا خلا أي فرد منهما فلن يتخلص من رجس الدنيا ولن يتنور قلبه.

فالواجب على كل مسلم ومسلمة أن ينال قدرا من العلم يؤهله لتأدية

واجباته وفرائضه طبقاً للشريعة المطهرة، ولا يدع نفسه تقنع بأن العلوم لا تُكتسب إلا في المعاهد والجامعات فحسب، بل عليه أن يتذكر الدين في بدء عهده حينما كان الصحابة رضى الله عنهم يتهافون على طلب الدين، ولم تكن لديهم جامعات أو معاهد، وإنما كان النبي (ﷺ) يعلمهم الكتاب والحكمة وهم يؤدون أعمالهم اليومية، وكانوا بدورهم يُعلمون الآخرين ما تعلموه، واتباعاً لهم يجب على المسلم أن يأخذ على نفسه تعلم ما تيسر له من الدين يومياً ، فيحضر إلى مجالس العلماء والصلحاء ويقتطف منهم زهرات الدين، ويقرأ الكتب الدينية، ويتعلم القرآن الكريم والحديث النبوي ويحاول الاطلاع على الأحكام الشرعية فيما يتعلق بمهنته وعلمه .

وهذا هو (المبدأ الثالث) لهذه الدعوة الإيمانية الذى يدعو إلى الاهتمام بذكر الله وكسب العلم الديني .

وعندما يواظب العبد على هذه المبادئ الثلاثة يجد نفسه تتجه إلى الصراط المستقيم ويشعر قلبه بحلاوة الإيمان، وتكون النتيجة أن يحبب الله إليه الإيمان ويزينه في قلبه، ويكره إليه الكفر والفسوق والعصيان فيبتعد عن الحياة الزائفة، ويشتاق إلى إتباع الدين في كل شيء .

ومن الواضح أن تعاليم الشيخ محمد إلياس الحكيم في طلب العلم والترغيب إليه مع مواظبة الذكر لا تعنى أنه قدم منهجاً مخالفاً للجامعات والمدارس والمعاهد العلمية كما فهم البعض من غير الدارسين لمنهجه أو بعض

المبتدعين الخرافيين القبوريين ممن أرادوا اتخاذها سلاحاً ضد هذه الدعوة الإيمانية الخالصة، بل إن هذا الترغيب يخص من لم يحصلوا على المعرفة الدينية لأى سبب كان، فشغلتهم المادة وكسب العيش، ووسوس إليهم الشيطان بأن الجهالة هي المكتوبة لهم من الأزل إلى الأبد.

إن المبدأ الثالث في منهج الشيخ محمد إلياس العملي في الدعوة والتبليغ يشتمل على أمرين، هما العلم والذكر، وكان يعتبرهما الشيخ رحمه الله كجناحي طائر لا يستطيع الطيران بدونهما.

وهكذا المسلم فإنه يستمد الطاقة الروحية من (كلمة التوحيد) ثم يجعل هذه الجوارح تابعة لهذه الروح الطاهرة بالصلاة ، فإذا نشأت الروح والقلب نشأة طيبة لزم لهما جناح العلم والذكر لقوة الطيران والصعود، حيث يعتبر العلم الجناح الأيمن والذكر الجناح الأيسر.

إن بيان أهمية العلم ومكانته العظيمة، واحتياج المسلمين إليه كأفراد وجماعات، كان من أهم الأمور التي ركز عليها الشيخ محمد إلياس في منهجه العملي للدعوة والتبليغ، وقد كثرت أقوال الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) في هذا المجال، منها قوله: العلم هو معرفة الشيء على حقيقته وعدم المعرفة هو الجهل، وهذه المعرفة تنقسم إلى قسمين: المعرفة الصحيحة (أي العلم الصحيح) والمعرفة الخطأ (أي العلم الخطأ) .

وتحصيل العلم الصحيح واجب على كل مسلم ومسلمة، كما أن هذا

الحصول له معيار خاص، وإذا لم يؤت به فهو باطل، وهذا المعيار هو التعرف على ذات الله وصفاته كما أراد الله أن يُعرف عباده، ومعرفة السبل إلى سعادة الدنيا والآخرة، والعلم الذى لا توجد فيه تلك الصفات لا يُعد من العلوم الصحيحة الواجبة على كل فرد.

وفى بيان اختيار الشيخ محمد إلیاس مبدأ (العلم والذكر) فى منهجه العملى للدعوة إلى الله یقول: إن سبب اختیار هذا المبدأ فى منهجنا هو أن المعرفة الأساسية بأحكام الدين أمر مهم للغاية فى حياة المسلم، ثم إن الدين الإسلامى لا یطلق على الصلاة والصوم فحسب، بل هو تغییر مجرى الحياة كلية طبقاً لأوامر الله، والإتباع الكامل لكل ما جاء به النبى (ﷺ)، والتمسك به فى جميع مجالات الحياة التى وردت فى الكتاب والسنة الشریفة مع ذکر أهميتها وفضائلها .

حيث إن الله سبحانه وتعالى قد جمع كل خزائن العلوم فى كتابه المجید وأعطاه الإنسان بفضلہ وكرمه ولطفه، ثم شرحتها السنة الشریفة، وهذا هو العلم الحقيقى، الذى يستحق الإرشاد إليه وما يخالف ذلك فهو الجهل المطلق . وهذه العلوم الإلهية الواردة فى الكتاب والسنة هي التى تضمن الرقى والتقدم الحقيقى للإنسان فى الحياة الدنيا، وبها ينعم الإنسان بالأمن والسلامة والعافية والمحبة والمودة، ويعيش مطمئناً فى حياته الدنيوية، كما ينعم بالفوز والمغفرة فى الحياة الآخرة.

وقد وضع الشيخ محمد إلياس هذه الحقيقة في منهجه بأساليب مختلفة عديدة يحاول إفهام جوهرها وأهميتها للجميع، فمثلا يقول: إن الله قد أنزل الدستور الكامل لمخلوقاته على النبي (ﷺ) وجمع فيه كل ما تحتاج إليه البشرية لصلاح هذه الحياة، وبين بالشرح طرق الوصول إلى كمالها، فإن لم يستطع الإنسان - لغفلته وانشغاله بديناه وكسبه ومعاشه - فهم مجرد ألفاظ القرآن الكريم، فعليه أن يندم على هذه الغفلة ويتوب ويحدد وقتا في كل يوم وليلة لتعلم القرآن الكريم، فإن الحصول على العلوم الأساسية واجب على الإنسان، فعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله (ﷺ): " طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ " (١)(٢).

والمُرَادُ بِالْعِلْمِ مَا لَا مَنَدُوحَةَ لِلْعَبْدِ مِنْ تَعَلُّمِهِ كَمَعْرِفَةِ الصَّانِعِ وَالْعِلْمِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَنُبُوَّةِ رَسُولِهِ وَكَيْفِيَّةِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ فَرَضٌ عَيْنٍ، وَأَمَّا بُلُوغُ رُتَبَةِ الاجْتِهَادِ وَالْفُتْيَا فَفَرَضٌ كِفَايَةٍ. قَالَ السَّيِّدُ: وَيُمْكِنُ أَنْ يَعْمَ الْعِلْمَ وَيُحْمَلَ الْكَلَامُ عَلَى الْمُبَالَغَةِ.

❖ واختُلفَ في هَذَا الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ فَرِيضَةٌ:

- قِيلَ: هُوَ عِلْمُ الْإِخْلَاصِ وَمَعْرِفَةُ آفَاتِ النَّفْسِ وَمَا يُفْسِدُ الْأَعْمَالَ لِأَنَّ الْإِخْلَاصَ مَأْمُورٌ بِهِ، فَصَارَ عِلْمُهُ فَرَضًا آخَرَ.

(١) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ، وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي (شُعَبِ الْإِيمَانِ) إِلَى قَوْلِهِ (مُسْلِمٍ). وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ مَتْنُهُ مَشْهُورٌ، وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ، وَقَدْ رُوِيَ مِنْ أَوْجِهٍ كُلِّهَا ضَعِيفٌ (مرقاة المفاتيح).
(٢) أهمية العلم والذكر في الاسلام للشيخ عبد الخالق ببرزاده.

- وَقِيلَ: مَعْرِفَةُ الْخَوَاطِرِ وَتَفْصِيلُهَا فَرِيضَةٌ لِأَنَّ الْخَوَاطِرَ هِيَ مَنْشَأُ الْفِعْلِ، وَبِذَلِكَ يُعْلَمُ الْفَرْقُ بَيْنَ لَمَّةِ الشَّيْطَانِ وَلَمَّةِ الْمَلِكِ.
- وَقِيلَ: هُوَ طَلَبُ عِلْمِ الْحَلَالِ حَيْثُ كَانَ أَكْلُ الْحَلَالِ وَاجِبًا.
- وَقِيلَ: عِلْمُ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَالنِّكَاحِ إِذَا أَرَادَ الدُّخُولَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا، وَقِيَامُ عِلْمِ الْفَرَائِضِ الْخُمْسِ.
- وَقِيلَ: هُوَ طَلَبُ عِلْمِ التَّوْحِيدِ بِالنَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ وَالنَّقْلِ .
- وَقِيلَ: هُوَ طَلَبُ عِلْمِ الْبَاطِنِ وَهُوَ مَا يَزْدَادُ بِهِ الْعَبْدُ يَقِينًا، وَهُوَ الَّذِي يُكْتَسَبُ بِصُحْبَةِ الصَّالِحِينَ وَالزُّهَادِ الْمُقَرَّبِينَ، فَهُمْ وَرَاثُ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.
- فَإِنْ قِيلَ: مَا الْفَرَضُ قَبْلَ الْفَرَضِ؟ فَقُلْ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْعَمَلِ.
- وَإِنْ قِيلَ: مَا الْفَرَضُ فِي الْفَرَضِ؟ فَقُلْ: الْإِخْلَاصُ فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ.
- وَإِنْ قِيلَ: مَا الْفَرَضُ بَعْدَ الْعَمَلِ؟ فَقُلْ: الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ (١).

★ وقال العلامة الداعية الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي (رحمه الله) في

مدى فرضية العلم على كل مسلم ومسلمة: إذا كان الإيمان بالله ورسوله وامتثال الأوامر الإلهية واتباع رسوله واجب أساسي على كل من يؤمن بالله ورسوله، فكيف يتم هذا الإيمان وهذا الامتثال والاتباع بدون العلم حين يكون الإيمان علما ومعرفة الله علما والرسالة علما والاتباع علما والإبلاغ علما؟، بل لم

(١) مرقاة المفاتيح - شرح مشكاة المصابيح.

تبدأ رحلة الإسلام إلا بالعلم، حيث يقول الله تعالى: { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي
خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ *
عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } (١).

فالسؤال الذي يفرض نفسه هنا، هو: ما هي العلوم التي فرضت على جميع
أفراد الأمة، وبدونها لا يمكن الوصول إلى السعادة المنشودة؟.

مصادر العلم الشرعي

- (١) الكتاب (القرآن الكريم).
 - (٢) السنة النبوية (صحيح البخاري، صحيح مسلم ، سنن أبي داود ، سنن
الترمذي، سنن ابن ماجه، سنن النسائي، صحيح ابن حبان ، مصنف عبد
الرازق، مصنف ابن أبي شيبة، مستدرک الحاكم.... إلخ.
 - (٣) إجماع الصحابة رضي الله عنهم.
- يقول الشيخ محمد عمر البالمبوري (رحمه الله): ومن أمهات العقائد
الإيمان بالكتب: والمراد منه أن يترسخ الإيمان واليقين علي العلوم الإلهية، ويخرج
اليقين من القلب علي العلوم الإنسانية والعصرية ، كل العلوم الإنسانية ظنية لا
تخلو من الشك، لأن أساسها علي التجريبات والمشاهدات، والتجريبات تتغير،

(١) سورة اقرأ - الآيات من ١ : ٥ .

والمشاهدات تُصيب وتخطئ، والعلوم الإلهية كلها يقينية لا ريب فيها ولا شك لأن أساسها علي موعودات الله (ﷻ)، قال تعالى :

{ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا } (١).

{ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا } (٢).

{ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ } (٣).

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ } (٤).

وفي العلوم الإنسانية: البحث عن تأثيرات الأشياء وقوة الأشياء.

وفي العلوم الإلهية: تأثيرات الأعمال، وقوة الأعمال، فمثلا تأثير التقوى:

الأول : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ (٥).

الثاني : ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٦).

الثالث : قال تعالى : { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا } (٧).

الرابع : قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (٨).

(١) سورة النساء - الآية ٨٧.

(٢) سورة النساء - الآية ١٢٢.

(٣) سورة التوبة - الآية ١١١.

(٤) سورة الرعد - الآية ٣١.

(٥) سورة الطلاق - الآية ٢.

(٦) سورة الطلاق - الآية ٣.

(٧) سورة الطلاق - الآية ٤.

(٨) سورة آل عمران - الآية ١٢٠.

الخامس : قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (١)
السادس: قال الله (ﷻ) ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢)، ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (٣) .

السابع: قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٤).

وكذلك تأثير التوكل على الله، وتأثير الصبر، والشكر، وتأثير الإيمان.

وكذلك قوة الأعمال، مثل: قوة الدعاء، وقوة الصدقة، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: "لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدٌ فَخَلَقَ الْجِبَالَ فَعَادَ بِهَا عَلَيْهَا فَاسْتَقَرَّتْ فَعَجَبَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ شِدَّةِ الْجِبَالِ قَالُوا يَا رَبِّ هَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْجِبَالِ قَالَ نَعَمْ الْحَدِيدُ قَالُوا يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْحَدِيدِ قَالَ نَعَمْ النَّارُ فَقَالُوا يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ النَّارِ قَالَ نَعَمْ الْمَاءُ قَالُوا يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْمَاءِ قَالَ نَعَمْ الرِّيحُ قَالُوا يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الرِّيحِ قَالَ نَعَمْ ابْنُ آدَمَ تَصَدَّقَ بِصِدْقَةٍ بِيَمِينِهِ يُخْفِيهَا مِنْ شِمَالِهِ" قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَّا نَعْرِفُهُ مَرْفُوعًا إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ (٥).

(١) سورة الأنفال - الآية ٢٩

(٢) سورة البقرة - الآية ١٩٤ .

(٣) سورة النحل - الآية ١٢٨

(٤) سورة الأعراف - الآية ٩٦ .

(٥) سنن الترمذي « كتاب تفسير القرآن » باب ومن سورة المعوذتين_ رقم الحديث (٣٣٦٩).

من العلوم الإنسانية تأثيرات الأشياء وقوة الأشياء، وهي غير يقينية، وفيها معرفة الاستفادة بالأشياء والأشياء محدودة وفانية، فالفائدة التي تحصل بها محدودة وفانية، بخلاف العلوم الإلهية، فإن معرفة الاستفادة بالأعمال من خزائن الله مباشرة، وخزائن الله غير محدودة، فمن تعلم الاستفادة بالأعمال يستفيد بها في الدنيا والآخرة، وفي العالم كله.

فالمطلوب إخراج من القلب التأثير بالعلوم الإنسانية، وإدخال التأثير بالعلوم الإلهية (القرآن والسنة)، كما كان الصحابة رضي الله عنهم يتأثرون بها.. والنجاح كل النجاح في تعلم العلوم الإلهية، والعمل بها، والدعوة إليها.

★ أهل العلوم الإلهية فيهم ثلاثة أشياء:

الأول: اليقين بها: كما قال الصحابة رضي الله عنهم: عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ) وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا (١).

وعَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، يَقُولُ: " لَقَدْ عَشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا، وَأَحَدْنَا يُؤْتَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ (ﷺ) فَتَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا، وَأَمْرَهَا وَزَجَرَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا، كَمَا تَعَلَّمُونَ أَنْتُمْ الْيَوْمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ رِجَالًا يُؤْتَى أَحَدُهُمْ

(١) سنن ابن ماجه « كتاب المقدمة » باب في الإيمان _ رقم الحديث (٦١).

الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ، فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مَا يَدْرِي مَا أَمْرُهُ وَلَا زَاجِرُهُ، وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهُ، فَيَشْرُهُ نَشْرَ الدَّقَلِ (١).

وَأَنَّ اللَّهَ (ﷻ) ذكر من صفات المؤمنين: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } (٢)، ولا يمكن زيادة الإيمان إلا باليقين عليها.

الثاني: العمل بها .

الثالث: الدعوة إليها .

وهذه الصفات الثلاثة كانت مشتركة في قراء الصحابة وعلمائهم مثل: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وعبد الله بن مسعود، وأبو هريرة رضي الله عنهم أجمعين.. فقد أخرج ابن سعد من طريق الواقدي: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ بْنُ النُّعْمَانِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: كَانَ عُمَرُ يَقُولُ حِينَ خَرَجَ مُعَاذٌ إِلَى الشَّامِ: لَقَدْ أَخْلَ خُرُوجُهُ بِالْمَدِينَةِ وَأَهْلِهَا فِي الْفَقْهِ، وَفِيمَا كَانَ يُفْتِيهِمْ بِهِ، وَلَقَدْ كُنْتُ كَلَّمْتُ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يَحْبِسَهُ لِحَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَأَبَى عَلَيَّ وَقَالَ: رَجُلٌ أَرَادَ وَجْهًا - يَعْنِي الشَّهَادَةَ - فَلَا أَحْبَسُهُ. قُلْتُ: إِنَّ الرَّجُلَ لِيُرْزَقَ الشَّهَادَةَ وَهُوَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ (٣).

(١) السنن الكبرى للبيهقي « كِتَابُ الْحَيْضِ » جُمَاعُ أَبْوَابِ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ وَالْإِقْبَالِ... « بَابُ الْبَيَانِ أَنَّهُ إِنَّمَا قِيلَ: يَوْمُهُمْ... رَقْمُ الْحَدِيثِ (٤٨٦٨) ، الْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحِينَ « كِتَابُ الْإِيمَانِ » كَيْفَ يَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ - رَقْمُ الْحَدِيثِ (١٠٨) .

(٢) سورة الأنفال - الآية ٢ .

(٣) حياة الصحابة - باب رغبة الصحابة رضي الله عنهم وشوقهم إلى الجهاد والنفر في سبيل الله ٤٣٥/١، سير أعلام النبلاء الصحابة رضوان الله عليهم « معاذ بن جبل. »

قال كعب بن مالك: وَكَانَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يُفْتِي بِالْمَدِينَةِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ. كذا في الكنز (١).

وأبي بن كعب (رضي الله عنه) كان أقرأ الصحابة (رضي الله عنه) فما غزا رسول الله (ﷺ) غزوة إلا وفيها أبي بن كعب .

فالدعوة إلى الله والخروج في سبيل الله (ﷻ) رأس كل شعب الدين .

الدين ينير مثل المصباح ووقوده الدعوة إلى الله .

إذا كانت الدعوة موجودة فتحي شعب الدين كلها، وإذا خرجت الدعوة

من الأمة فتخرج الروح من جميع شعب الدين (٢).

الفرق بين الدعوة والتعليم

▪ الدعوة: الجهد علي غير الطالبين لإنشاء طلب الدين فيهم علي منهاج النبوة.

▪ التعليم: للطالبين وغير الطالبين، والطالبين أكثر من غير الطالبين، فلذلك جهد الدعوة أهم من التعليم (٣).

(١) حياة الصحابة _ باب رغبة الصحابة رضي الله عنهم وشوقهم إلي الجهاد والنفر في سبيل الله ٤٣٥/١ .

(٢) روائع العلامة محمد عمر البالمبوري بقلم المؤلف .

(٣) المرجع السابق .

عمومية التعليم

وبيان كيفية تحصيل العلوم الشرعية

قال العلامة الداعية الشيخ محمد إلياس الكاندهلوى (رحمه الله) في عمومية التعليم ومدى احتياج المسلمين إليها: من المعلوم أن طلب العلم - طبقاً للمناهج المعاصرة - يخص كل من يلتحق بالمدارس والمعاهد والجامعات قديماً وحديثاً فقط ، ولكن هناك من لا يستطيع الالتحاق بتلك المدارس والجامعات المحددة المناهج العلمية - وخاصة إذا بلغ المرء السن الذى لا يتحمل فيه ذلك، أو لم تسمح له ظروفه المعيشية بذلك - فهل يقعد ملوماً محسوراً مكتوف الأيدي يائساً وبائساً ، لعدم حصوله على نعمة العلم الذى يعد من الواجبات الأساسية لحياته الدينية ؟، وهذا ما يُجرمه الإسلام، إذ لا يجوز في الدين الحنيف أن يقنط الإنسان من رحمة الله ويقعد مذموماً مخذولاً، بل يجب عليه أن يختار الطرق الأخرى التي تساعد على فهم الدين.

ومن أهم تلك الطرق:

(١) اختيار صحبة الصالحين المتقين من العلماء المتبعين للشرعية المطهرة والاستفادة من كلماتهم وصحبتهم وتعاليمهم، طبقاً لقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ }^(١).

(١) سورة التوبة - الآية ١١٩ .

وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ }^(١).

ويقول الشيخ محمد إلياس: فسمى أهل العلم بـ (أهل الذكر)، لأن علماء العلم الحقيقي هم العالمون الذاكرون الخاشعون، يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض، فالله لا يأمر بالتوجه إلى أهل العلم الذين لا يذكرون الخالق عند تفكيرهم في خلق الأشياء ، فإنهم حملة السوء والضلالة، ولذلك لا يُنتج علمهم إلا الشر والفساد، أما العلماء الذاكرون الخاشعون، فهم أهل العلوم الحقيقية، وحملة الأمانة الإلهية، وكل ما ينتج عن علمهم لا يؤدي إلا إلى الخير والسعادة، فاطلبوا منهم العلم وصاحبوهم، فأولئك هم المفلحون، فعلى طلبة العلم الذهاب إلى أهل العلم الذين يتصفون بصفة الذكر، ولم يأمر الله بالتوجه إلى أهل العلم الذين لا يذكرون الله ولا يخشونه، بل يعبدون المادة ويتبعون النفس والأهواء، ألا إنهم هم الظالمون.

٢) قراءة الكتب الخاصة التي تولد مشاعر الحب لدين الله ورسوله، وتؤدي إلى الإتيان الكامل، على أن تكون سهلة ومختصرة تجمع المسائل والأحكام الضرورية للحياة.

يقول الشيخ إلياس (رحمه الله): أما الكتب فهي بمنزلة المراجع والميزان، حيث إن المرء لو أخطأ في شيء فعليه أن يرجع إلى (الكتاب)، أو من

(١) سورة النحل - الآية ٤٣ .

يعلمونه .. أليس هذا هو معنى الآية المباركة: { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } (١) ؟.

ويقول: إن الكتب هي وسيلة هامة للاقتداء بالسلف الصالح، فيلزم الارتباط القوى بها، ولكن الكتب لن تنفع إذا لم تكن هناك التربية الحكيمة والتدريبات العملية المخلصة، تحت إشراف أهل العلم والتقوى .. ولذلك يلزم القيام بترتيب نظام قوى متين لتعليم عامة الناس وخواصهم، ليستفيد الجميع كل حسب احتياجه، ولا يبقى أحد يلقي ربه وهو لا يعرف دينه .

ومن أهم الأمور اللازمة لقراءة هذه الكتب هي:

١ - ألا تقرأ تلك الكتب للتسلية أو لجمع المعلومات فحسب بل تكون النية هي التعرف على أحكام الله وما يريده الله ورسوله منا بغرض الحصول على رضا الله تعالى .

٢ - لا تُقرأ كتب المؤلفين غير المعروفين في مجال العلوم الدينية، والعقيدة الصحيحة والسلوك الأخلاقي السوى، لأنه لا يجوز أخذ الدين عن أي شخص سوى المتخصصين فيه والعاملين به، وإلا فمن الممكن أن يضيع الإنسان كل ما تعلمه من الدين من قبل .

ويقول الشيخ محمد إلياس: إذا تيقن المرء أن ما اطلع عليه هو من أوامر الله فلا يتحایل في اتباعه، بل يقوم بالامتثال الكامل لتلك الأوامر سواء فهم

حكمتها أو لم يفهمها، لأن عقل الإنسان عاجز عن إدراك كل شيء، إلا ما أخبر به الخالق عز وجل من فضله وكرمه (١) .

ويقول العلامة الأستاذ سيد سليمان الندوي (٢) في مقدمة كتاب: الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية: إن الأمور الثلاثة التي فوضت للنبي ﷺ لأداء رسالته هي (تعليم القرآن) و (تعليم الحكمة) و (التزكية) وهي نفس الأمور التي فوضت إلى الأمة من حيث إنها فرض كفاية، ولهذا فقد التزم بها العلماء والصالحون قرناً بعد قرن وبذلوا فيها جهوداً مشكورة. هذه هي الجهود التي نرى أثرها في التمسك بإسلامنا حتى يومنا هذا، وهذه الأمور المباركة تجتمع في قوله تعالى : (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) (٣).

وقد جرت تلك السنة حتى عهد التابعين وتابعي التابعين، ثم فرق الناس بين العلم والتزكية ونتيجة لذلك أصبحت المدارس (مراكز تحصيل العلم)،

(١) كتاب (المنهج العملي للشيخ محمد إلياس) للشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله .

(٢) مفكراً إسلامياً عظيماً، اشتهر في مجال الخطابة والتدريس في العلوم الدينية، وله مؤلفات كثيرة نادرة، لا يزال يستفيد بها الناس في مجال العلم والدعوة والإرشاد، انظر كتاب داعية القرن العشرين الشيخ محمد إلياس الكاندهلوى بين المؤيدين والمعارضين للدكتور عبد الخالق بيرزاده .

(٣) سورة البقرة _ الآية ١٥١ .

وصارت الخانقاهات والتكايا (مراكز التربية والتزكية)، حتى جهل كل منهما بتخصص الآخر، فتجد المدارس الآن خالية من أعمال التربية والتزكية، وتجد الخانقاهات مليئة بالأعمال الخالية من العلم .

وقد أراد الشيخ محمد إلياس أن يجمع بين هذين الأمرين، كما كان في الصدر الأول في الإسلام، أي يجمع بين التعليم والتزكية حيث كان السلف متحلين بالعلم والعمل معا في وقت واحد، ولذا فقد صاروا شخصيات خالدة في تاريخ البشرية، لأنهم كانوا يُعلمون الكتاب والحكمة خلال الدرس، كما كانوا يقومون بالتدريب العملي والتزكية في نفس الفترة بترتيب يناسب التعليم والتدريب العملي معا، وبذلك كانت الأجيال تتحلّى بنور المعرفة والعمل بها في وقت واحد، وتظهر في المجتمع ساطعة بنور العلم، متحلية بالأخلاق الفاضلة، دءوبة في الأعمال الصالحة، سباهم في وجوههم من أثر السجود، قمة في العلم والعرفان، قدوة في العمل والإحساس .

وفي عهد النبي ﷺ كانت تأتي وفود القبائل لتقيم في المدينة المنورة بضعة أيام لتحصيل العلم ثم يرجعون إلى قبائلهم يعلمونهم ما تعلموه على يد النبي ﷺ كما كان أهل المدينة يعملون بأيديهم للكسب نهارا ويتعلمون ليلا على يد الرسول ﷺ ويذكرون الله بقية اليوم ، ثم يبعثون إلى غيرهم لإبلاغهم .

وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن اهتمام الجماعة - أمثال هؤلاء الصحابة - بالتعليم أمر هام من أمور التنظيم الجماعي ، كما تؤكد لنا هذه

الحقائق الثابتة أن تربية الجماعة - بمثل هذه التربية - لا تكون إلا بالمنهج المحدد والتربية الخاصة التي وضع أصولها النبي الخاتم ﷺ في حياته الطيبة.

أما عن الجماعات والأحزاب التي تنظم أمورها للوصول إلى الأهداف السياسية المحضة مثل السيطرة على الحكم وغيرها من المصالح المادية مستغلة اسم الإسلام بعيدة عن روحه وتربيته وعمله ودعوته، فيقول الشيخ محمد إلياس: إننا ما ابتعدنا عن طريق محمد ﷺ فحسب، بل ضللنا كل الضلال عن الصراط المستقيم، حيث لا يمكن أن يكون الحصول على مقاليد الحكم من أهداف المسلمين الصادقين، وليس معنى ذلك أن يتعد المسلم إنه عن ذلك، أو يفرض أخذ زمام الحكم، أو يفصل بين الدين والسياسة، بل إنه إذا جاءت مسئولية الحكم على عاتق المؤمنين الصادقين المتمسكين بهدى الرسول ﷺ الدائين في إعلاء كلمة الحق ونشر كل ما جاء به النبي ﷺ، فلا حرج في تحملها وأداء تلك الأمانة بكل صدق وإخلاص، شريطة ألا تسبب تلك المشاغل في الإبعاد عن الهدف المنشود وهو إعلاء كلمة الحق ونشر كل ما جاء به النبي ﷺ، فالوصول إلى السلطة والحكم ليس من أهدافنا - كمسلمين ودعاة الخير - أبداً، بل هدفنا هو التفاني في طريق محمد ﷺ، بالتضحية بالمال والنفس وكل ما يملكه المرء في حياته.

طريق عمومية التعليم الديني على مستوى عام وشامل:

يقول الشيخ محمد إلياس: ونشر التعاليم الإسلامية وتعميمها على

المستوى العام والشامل في أفراد الأمة طريقتان:

الطريقة الأولى : أن يقوم كل مسلم بترك جميع أشغاله المادية ، قاصدا الرجوع إلى حكمته الضالة وثروته الضائعة، ويجرد نفسه لطلب العلوم الدينية ومعارفها ونشرها في أرجاء العالم، ويخصص معظم أوقاته للقيام بذكر الله، ويتعد كل البعد عن الأمور المادية، وعن جميع العلاقات الدنيوية ابتعادا كليا، معتقدا بأن هذا هو الطريق الوحيد للوصول إلى المطلوب، وهذا أمر شاق وغير مطلوب، إذ إن فيه حرج {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} (١).

الطريقة الثانية: هي اختيار منهج الصحابة رضوان الله تعالى عنهم أجمعين في الحصول على تعاليم الدين الحنيف، وبذل كل الجهود الممكنة في إحيائها، وهذا هو أسهل طريق في مجال أداء فريضته الدين وأعلى معيار للوصول إلى الهدف المنشود، وهو الطريق المعقول والمطلوب والمقبول عند الله .

ويلخص هذا المنهج في أن يرتب المسلم أوقاته اليومية، بالتشاور مع المتخصصين في هذا المجال، ويخصص منها فترة قصيرة محدودة، ويتفرغ فيها من أعماله المادية تفرغا كاملا، ويستغلها استغلالا كاملا للوصول إلى هدفه، حيث يبذل كل ما في وسعه من جهود في تعلم أهم أمور الدين الحنيف ، وتعليمها للآخرين، وذلك وفقا للمنهج الفطري، الذي يقتضى البساطة والتدرج والمرحلية والصبر والجلد والإخلاص و... و... ويقضى تلك الأوقات

(١) سورة البقرة _ الآية ٢٨٦.

مع الأحباب الصالحين المخلصين الذين يجتمعون لنفس الهدف، تحت إشراف علماء الدين الصالحين المتدربين على هذه الأعمال التعليمية وعلى ذلك فيكون الترتيب كالاتي: أن يتعلم كل واحد على يد من هو أكبر منه علما وأكثر منه زهدا، من الأصحاب المتخصصين القائمين على هذه الأعمال المباركة، مع التدريب العملي على هذه التعاليم المطهرة .

ويستمر في الحصول عليها بكل إخلاصه، مستخدما جميع مشاعره وأحاسيسه، باذلا جهوده المتفانية في التدريبات العملية .. حتى ترسخ حقائقها في القلب والجوارح .

وبذلك يمكن لكل مسلم أن يتعلم أساس الدين، دون انقطاع الكسب المادي الحلال، ويتعرف على القيام بالعمل بها، فيتدرج ويترقى في التعليم والتدريب العملي بنفس الطريقة، حتى يشرح الله قلبه ويجعله من عباده المقربين، فيقوم بإبلاغ ما تعلمه وتدريب عليه إلى الآخرين، حتى يصدق عليه قوله عز وجل {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} (١).

فمثال هذا الخارج في سبيل الله، الذي يقضى مدة قصيرة في رحاب العلم والعمل، مثال السائح الذي يزور بلدا أجنبيا، يرى فيه كل شيء بالإعجاب الشديد، فيجتذب مؤثراتها، ويسرع في ترسيخ صورها في ذهنه بأسرع ما يمكن

له من الوقت، ويتمنى أن يقلد أهل البلد في أقوالهم وأعمالهم، كي يرجع إلى بلده ويشرح حقائق تلك الأشياء والأمور على أهل بلده وقومه الذين لم يروها بعد.

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي (رحمه الله) : إن جميع تلك الأمور التي

يشتمل عليها هذا المنهج العملي الأساسي للإصلاح الديني الشامل، جمعها

الشيخ محمد إلياس في (المبدأ السادس) الذي أطلق عليه اسم: (التبليغ)

- ويطلق عليه البعض (النفر في سبيل الله) أو (الخروج في سبيل الله)

- وذلك كي يفتح المجال العلمي لكل من يرغب في تعلم الدين دون أن يترك

أشغاله المادية بصفة نهائية، بل يرتب أوقاته بترتيب مناسب لكلا المجالين -

المادي والديني - فيشتغل في كسب العيش في المواعيد المخصصة له، ويتعلم

أمور دينه في الأوقات المخصصة لها، حيث يستفيد علما وعملا في الجو الصافي

النقي، ويستمر في ذلك حتى يصل إلى مرحلة يمكن له فيها القيام بدعوة

الآخرين إلى اختيار تلك الأساليب القيمة للحصول على علوم الدين، وأداء

الفريضة الواجبة عليهم من قبل الله سبحانه وتعالى، وهكذا يمكن تكوين

جماعة تُثبت للجميع إمكان الحصول على واجبات الدين، مع قضاء الحوائج

المادية للحياة ، فتدعو الجمع إلى الحصول على تلك الأمور الواجبة على كل

مسلم ومسلمة، حتى لا يبقى المجال لأحد أن يعتذر بأنه لا يستطيع القيام

بالتعلم بسبب المشاغل المادية أو غيرها، ويلقى ربه وهو جاهل بأمور دينه .

ويقول الشيخ أبو الحسن الندوي (رحمه الله) : إذا تمكن المسلمون

بالالتزام بهذا المنهج الذي قدمه الشيخ محمد إلياس لعمومية تعاليم الدين، فستفتح أبواب العلم للجميع دون تمييز للسن أو المستوى المادي، ويمكن لكل أفراد الأمة القيام للحصول على تعاليم الدين الأساسية، حيث يلتزم كل واحد بهذا الأمر في الأوقات والمواعيد المحددة له، مثلما يلتزم طلبة المدارس بمواعيدها المحددة للدراسة، أو يلتزم الإنسان العادي بأموره المادية، وبفضل هذا الترتيب بين الأمور المادية والدينية، وتقسيم الأوقات وتحديد المواعيد لكل منهما، والالتزام بتلك المواعيد بالجدية، يمكن لكل واحد أن يأخذ نصيبه من الدين، وبفضل إحياء منهج الصحابة - في مجال الحصول على أسس الدين علميا وعملا - يمكن للمة أن تعود إلى مجدها الأول، وتكون مجتمعا مثقفا راقيا يصلح لقيادة البشرية مرة أخرى.

- **ويقول الشيخ محمد عمر البالمبوري (رَحِمَهُ اللهُ):** ونحن! أحبابنا الكرام لا نتدخل في الفتوى بل نحول السائل إلى أهل العلم في بلده، ولا نتكلم في المسائل الخلافية فهي للعلماء فقط، ومع ذلك فمن الضروري أن ننبه على تحصيل العلم وطلبه للخارجين في سبيل الله تَعَالَى، ونصحح القرآن على علماء القراءات، ونلتزم بالأذكار التي ثبتت عن النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة، وندعو الناس إليها، ونفعلها بنفس كيفية النبي ﷺ في نفس أوقاتها.

- **وقال الشيخ محمد عمر البالمبوري (رَحِمَهُ اللهُ):** واجب الإنسان أن يتعلم الأحكام قبل أن يعمل في أي شغل، كما أن علم الأحكام فرض عليه قبل أن

يشتغل، فالإيمان فرض عليه قبل الامتثال لأمر الله تَعَالَى ، لأن الإنسان إذا كان يقينه ضعيفا فهو لا يمثل للأحكام .

- وقال الشيخ (رَحِمَهُ اللهُ): واجب الإنسان أن يتعلم الأحكام قبل أن يعمل في أي شغل ، كما أن علم الأحكام فرض عليه قبل أن يشتغل ، فالإيمان فرض عليه قبل الامتثال لأمر الله تَعَالَى، لأن الإنسان إذا كان يقينه ضعيفا فهو لا يمثل للأحكام .

- وقال الشيخ (رَحِمَهُ اللهُ): لا بد أن نعلم أن ثلاثة أشياء مهمة: الأول: العبادة ؛ على أية حال وفي أية وقت.

الثاني: علم الحلال والحرام ؛ قبل الشغل في كل شيء.

الثالث: تعلم وتقوية الإيمان الذي به يمثل أمر الله .

- وقال الشيخ (رَحِمَهُ اللهُ): الله تَعَالَى يجتبي من يشاء ويهدي إليه من ينيب، فعلينا أن نتعلم طريق الدعوة لأننا نساfer في العالم .

- وقال الشيخ (رَحِمَهُ اللهُ): نتعلم طريق النبي (ﷺ) قبل كل شيء، إذا جاء الزواج نتعلم ما هي سنة النبي (ﷺ)؟ إذا جاء المال نتعلم كيفية استعماله؟.

- وقال الشيخ (رَحِمَهُ اللهُ): وفرضية العلم على ثلاثة أقسام :

القسم الأول: فرض عين على جميع الأمة، وهو معرفة الفرائض من صلوات وصيام وحج.

القسم الثاني: فرض عين على بعض طبقات الأمة، مثل: علم الزكاة على الأغنياء الذين بلغ عندهم النصاب، وكذلك التجارة ومعرفة علم البيوع، وأحكام الحج لمن أراد الحج، إلى غير ذلك.

القسم الثالث: فرض كفاية إذا قام به أفراد الأمة سقط عن الباقي، مثل صلاة الجنازة وتجهيز وحفر القبور، فإذا مات شخص واحد أقل القليل أربعة أشخاص لسد فرض الكفاية، وإذا كثرت حالات الموت، فهل يكفي أربعة أشخاص لسد فرض الكفاية؟.

طرق التحصيل:

- ١ - مزاحمة العلماء الربانيين بالركب و نطلب منهم العلم النافع.
 - ٢ - نكثر من حلقات فضائل العلم النافع.
 - ٣ - ندعو الناس إلى تعلم علم الدين.
 - ٤ _ نسأل الله أن يعلمنا ويفهمنا العلم النافع.
- فنجالس العلماء الربانيين ونتعلم منهم العلم ونتربى على أيديهم، ونوقرهم ونحترمهم، قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ عَمْرُو البالمبوري (رَحِمَهُ اللهُ): يكون عدنا الاحترام لأساتذتنا في ديارنا، إذا رجعتم أنتم العرب فقولوا للعلماء العرب عندكم: نحن ذهبنا للهند والباكستان، وهناك يحترمونكم جدا، بسببكم أنتم العرب وبسبب أجدادكم الله من علينا بالإسلام، واجلسوا في حلقات التعليم واذكروا آداب السفر، واحكوا للعلماء عن أحوال بلادنا والدعوة والتشكيلات

الطويلة، وكيف فتح الله تعالى على الناس هنا بكم؟ وباللين والمحبة والإخلاص في المحبة الله يؤلف بينكم وبينهم.

في الخروج في سبيل الله التعلم ينقسم إلى قسمين

(١) **تعليم عملي:** بالمذاكرة: كالوضوء والصلاة والسنن والآداب وغيرها من أعمال هو الدين وهذا هدي النبي ﷺ في تعليم أصحابه رضي الله عنهم: ففي الوضوء: من حديث حُمران مولى عُثمانَ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعَا بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ فغَسَلَ كَفَّيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ مَضَمَضَ وَاسْتَنْشَرُ ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْمِرْفَقِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْكَعْبَيْنِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ غَسَلَ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " رواه مسلم (١).

وفي الصلاة: عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكٌ، أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عَشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدْ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا أَوْ قَدْ اشْتَقْنَا سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا، فَأَخْبَرَنَاهُ، قَالَ: " ازْجِعُوا إِلَى أَهْلِكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ

وَعَلَّمُوهُمْ وَمُرَّوهُمْ ، وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لَا أَحْفَظُهَا وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَدِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيُؤَمِّكُمْ أَكْبَرُكُمْ " . رواه البخاري .

وفي الحج: عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) رَمَى الْجُمُرَةَ يَوْمَ النَّحْرِ عَلَى رَاحِلَتِهِ، وَقَالَ: " لَتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ " رواه مسلم (١) .

٢) نظري (وينقسم قسمين):

- **تعليم جماعي:** تقيم الجماعة الخارجة في سبيل الله حلقة التعليم يوميا مع من يحضر من أهل المسجد أو الحي الخارجين فيه ولا تقل مدتها عن ساعتين.
- وكذلك حلقة تعليم يومية في البيت.
- وكذلك حلقة تعليم أسبوعية للنساء.
- **تعليم انفرادي:** وهذا يكون في وقت الفراغ الذي ليس فيه أعمال جماعية كتعلم القراءة أو شيء من الأذكار المسنونة أو الأحكام أو اللغة وغيرها بين شخص وآخر.
- **وفي المقام:** وهذا هو الأهم، لأن من مقاصد الخروج التشويق لطلب العلم.

(١) مشكاة المصابيح - كتاب المناسك - باب رمي الجمار ٨٠٥/٢ .

العلم نوعان

الأول: كسبي: ولا بد في تحصيله من المجاهدة والمثابرة والمذاكرة..

وفي سير السلف ما يدل على ذلك:

أولاً: المجاهدة والمثابرة في طلب العلم والتعلم:

١. قيل لبعض السلف: بما أدركت العلم؟ قال: بالمصباح والجلوس إلى

الصباح، وقيل لآخر: فقال: بالسفر والسهر والبكا في السحر.

٢. وقال الخطيب البغدادي: فضل المذاكرة، مذاكرة الليل.

٣. وقال الحافظ ابن كثير: وَقَدْ كَانَ الْبُخَارِيُّ يَسْتَيْقِظُ فِي اللَّيْلَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْ نَوْمِهِ

فَيُوقِدُ السَّرَاحَ ، وَيَكْتُبُ الْفَائِدَةَ تَمَرُّ بِخَاطِرِهِ ثُمَّ يُطْفِئُ سِرَاجَهُ ، ثُمَّ يَقُومُ مَرَّةً

أُخْرَى حَتَّى كَانَ يَتَعَدَّدُ ذَلِكَ مِنْهُ قَرِيبًا مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً . (١).

٤. وقيل لابن المبارك: إلى متى تطلب العلم؟ قَالَ : " حَتَّى الْمَمَاتِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

" (٢).

٥. وقال الإمام الشافعي (في الحديث) : عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن

الخطاب رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " إِنَّمَا الْأَعْمَالُ

بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ

(١) البداية والنهاية» سنة ست وخمسين ومائتين _ وَمِمَّنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ:

الْبُخَارِيُّ صَاحِبُ " الصَّحِيحِ " ..

(٢) جامع العلم لابن عبد البر.

إلى الله ورَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ". (١). هذا الحديث ثلث العلم ويدخل في سبعين باباً من ٦. وقال ابن أبي حاتم: سمعت المزي يقول: قيل للشافعي: كيف شهوتك في العلم؟ قال: أسمع بالحرف - يعني الكلمة - مما لم أسمع فتود أعضائي أن لها أسماعاً تتنعم بما تنعمت به الأذنان.

وقيل له: كيف حرصك على العلم؟! قال: حرص الجموع المتنوع في بلوغ لذته للمال. فقيل له: فكيف طلبك له؟! قال الشافعي: طلب المرأة المضلة ولدها ليس لها غيره.. هذا هو طلبي للعلم.

٧. ويقول الإمام أبو الفرج ابن الجوزي (رحمه الله): تأملت عجباً، وهو أن كل شيء نفيس خطير يطول طريقه، ويكثر التعب في تحصيله، فإن العلم لما كان أشرف الأشياء لم يحصل إلا بالتعب والسهر والتكرار وهجر اللذات والراحة.. ولا شك في أن العلم أشرف ما يحصل عليه الإنسان، وأشرف مأرب يتطلع إلى تحصيله، ومن ثم فلا يمكن أن ينال إلا بأشد التعب والجهد والسهر والتكرار وهجر اللذات والراحة، حتى قال بعض الفقهاء: بقيت سنين أشتهي الهريسة لا أقدر؛ لأن وقت بيعها وقت سماع الدرس.

٨. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: لَا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ

(١) رواه إماما المحدثين: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري في صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب المصنفة.

بِرَاحَةِ الْجِسْمِ.

٩. محمد بن سلام أحد شيوخ الإمام البخاري (رحمه الله) : كان في حال الطلب جالساً في مجلس الإملاء، فانكسر قلمه، فأمر أن ينادى: قلم بدينار. فتطارت إليه الأقلام.

١٠. يقول الإمام الشافعي (رحمه الله) : حق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه، والصبر على كل عارض دون طلبه، وإخلاص النية لله تعالى في إدراك علمه نصاً واستنباطاً، والرغبة إلى الله تعالى في العون عليه.

١١. والإمام ابن هشام النحوي صاحب كتاب (مغني اللبيب عن كتب الأعراب) و(قطر الندى وبل الصدى) يقول رحمه الله: ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل ومن لم يذل النفس في طلب العلا يسيراً يعيش دهرًا طويلاً أخا ذل فعلى المسافر أن يقطع السفر ويصل إلى البلد الذي يسافر إليه بلزوم الجادة وسير الليل، فإذا حاد المسافر عن الطريق ونام الليل كله فمتى يصل إلى مقصده؟! الجد بالجد والحرمان في الكسل فانصب تصب عن قريب غاية الأمل.

١٢. قال ابن الجنيد: ما طلب أحد شيئاً بجد وصدق إلا ناله، فإن لم ينله كله نال بعضه.

١٣. مجاهدة ابن عباس في طلب العلم :

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا شَابٌّ، قُلْتُ

لِشَابٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا فُلَانُ هَلُمَّ فَلَنَسْأَلَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَتَتَعَلَّمَ مِنْهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ كَثِيرٌ، قَالَ: الْعَجَبُ لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَتَرَى أَنَّ النَّاسَ يَحْتَاجُونَ إِلَيْكَ وَفِي الْأَرْضِ مَنْ تَرَى مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ ، قَالَ: فَتَرَكْتُ ذَلِكَ وَأَقْبَلْتُ عَلَى الْمُسْأَلَةِ وَتَتَبَعَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنْ كُنْتُ لَأَتِي الرَّجُلَ فِي الْحَدِيثِ يَبْلُغُنِي أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَجِدُهُ قَائِلًا فَأَتَوْسَدُ رِدَائِي عَلَى بَابِهِ (١) تُسْفِي الرِّيحَ عَلَى وَجْهِي (مِنَ التُّرَابِ) حَتَّى يَخْرُجَ ، فَإِذَا خَرَجَ قَالَ: يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَكَ؟ فَأَقُولُ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُ بِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: فَهَلَا بَعَثْتَ إِلَيَّ حَتَّى آتِيكَ، فَأَقُولُ: أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتِيكَ فَكَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ بَعْدَ ذَلِكَ يَرَانِي وَقَدْ ذَهَبَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاحْتَاجَ إِلَيَّ النَّاسُ فَيَقُولُ كُنْتُ أَعْقَلَ مِنِّي (٢).

وفي رواية الحاكم: فَعَاشَ هَذَا الرَّجُلُ الْأَنْصَارِيُّ حَتَّى رَأَى وَقَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ حَوْلِي يَسْأَلُونِي ، فَيَقُولُ : " هَذَا الْفَتَى كَانَ أَعْقَلَ مِنِّي " (٣).

وكان رضي الله عنه منذ صغره وهو في بيت رسول الله (ﷺ) وخالته ميمونه رضي الله عنها زوج رسول الله ويضع للرسول وضوئه والرسول (ﷺ) يتوضأ وعبد الله ينظر إلى وضوئه ثم في عهد أبي بكر ينظر إلى وضوئه وفي عهد

(١) أي أنام وقت الظهيرة .

(٢) الطبراني (١٠ / ١٠٩٥٢) وقال الهيثمي (٩ / ٢٧٧) رجاله رجال الصحيح ، وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١ / ٨٥) وابن سعد في الطبقات (٤ / ١٨٢).

(٣) المستدرک علی الصحیحین « کتاب العلم » الأصلُ فی طلبِ الحديثِ وتوفیرِ المُحدَثِ _ رقم الحديث: (٣٧٠) (١ / ١٠٦).

عمر أيضاً ينظر إلى وضوء عمر وفي زمن عثمان فكان ينظر إلى وضوئه، خمسة وعشرون سنة وهو ينظر إلى الوضوء، ولكن مع هذا يقول لعلي رضي الله عنه يا ابن عمي علمني وضوء رسول الله (ﷺ).

فكيف حرصه على التعلم فلذا واجب أن نتعلم في كل وقت، ونسأل الله أن يعلمنا فالمعلم الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى وأن الله سبحانه جعل الأسباب ليتعلم الإنسان فنحن نخرج لتعلم الجهد والأعمال والعبادات ونتوجه إلى الله فالله هو المعلم سبحانه وتعالى.

فتكون نيتنا دائماً نية التعلم سواء كنا قدماء أو جدد كل يوم ننوي أن نتعلم.

ثانياً: المذاكرة: نقوم بعد سماع (المحاضرة - الدرس - البيان) بالتحلق ومذاكرة ما سمعناه ، حتى يرسخ في قلوبنا .. وذلك ما يفعله مشايخنا بمراكز الدعوة، بعد البيان يقولون: كل جماعة يتحلقون ويتدارسون ما قلناه.

ونورد أدلة ذلك، من سيرة الصحابة والسلف الصالح:

عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كُنَّا قُعُودًا مَعَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَعَسَى أَنْ يَكُونَ قَالَ: سِتِّينَ رَجُلًا فَيَحَدِّثُنَا الْحَدِيثَ ثُمَّ يَدْخُلُ لِحَاجَتِهِ فَنَتَرَا جُعُهُ بَيْنَنَا: هَذَا ثُمَّ هَذَا، فَتَقُومُ كَأَنَّمَا زُرْعٌ فِي قُلُوبِنَا (١).

(١) مسند أبي يعلى الموصلي «بَقِيَّةُ مُسْنَدِ أَنَسٍ» يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رقم الحديث: ٣٩٨١.

وَعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَتَاهُ أَصْحَابُهُ قَالَ: تَدَارَسُوا (١) وَأَبْشَرُوا، وَزِيدُوا زَادَكُمْ اللَّهُ خَيْرًا وَأَحَبَّكُمْ وَأَحَبَّ مَنْ يُحِبُّكُمْ، رُدُّوا عَلَيْنَا الْمَسَائِلَ؛ فَإِنَّ أَجْرَ آخِرِهَا كَأَجْرِ أَوَّلِهَا، وَاخْلُطُوا حَدِيثَكُمْ بِالْإِسْتِغْفَارِ " رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَرَجَالُهُ مُوْتَقُونَ (٢).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ رِضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " تَزَاوَرُوا وَتَذَاكُرُوا هَذَا الْحَدِيثَ؛ فَإِنَّكُمْ إِلَّا تَفْعَلُوا يَدْرُسُ عِلْمُكُمْ " (٣).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: تَحَدَّثُوا فَإِنَّ الْحَدِيثَ يُهَيِّجُ الْحَدِيثَ (٤).

وَعَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: تَذَاكُرُوا الْحَدِيثَ؛ فَإِنَّ إِحْيَاءَهُ ذِكْرُهُ.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: تَذَاكُرُوا الْحَدِيثَ؛ فَإِنَّهُ يُهَيِّجُ بَعْضُهُ بَعْضًا (٥).

وَعَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَجَاءٍ: أَنَّهُ كَانَ يَأْتِي صَبِيَّانَ الْكِتَابِ فَيَعْرِضُ عَلَيْهِمَا حَدِيثَهُ كَيْ لَا يَنْسَاهُ (٦).

(١) التدارس قراءة بعضهم على بعض، تصحيحاً لألفاظه، أو كشفاً لمعانيه (مرقاة المفاتيح للقاري).

(٢) المعجم الكبير للطبراني «بَابُ الْفَاءِ» مِنْ اسْمِهِ فَضْلٌ «فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ» _ (رقم الحديث: ١٥١٨٣)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد «كتاب العلم» باب في مدارس العلم ومذاكرته _ رقم الحديث: ٧٣٥.

(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر «بَابُ جَامِعٍ فِي الْحَالِ الَّتِي يُسْأَلُ بِهَا» _ رقم الحديث: ٤٤٨.

(٤) المرجع السابق _ رقم الحديث: ٤٦٢.

(٥) المرجع السابق _ رقم الحديث: ٤٦٣.

(٦) المرجع السابق _ رقم الحديث: ٤٦٤.

وَعَنْ وَكِيعٍ، عَنْ عِيسَى بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ يَقُولُ: إِذَا سَمِعْتَ حَدِيثًا فَحَدِّثْ بِهِ حِينَ تَسْمَعُهُ، وَلَوْ أَنَّ تُحَدِّثَ بِهِ مَنْ لَا يَشْتَهِيهِ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ كَالْكِتَابِ فِي صَدْرِكَ (١).

وَحَدَّثَنَا ابْنُ فَضِيلٍ، عَنْ يَزِيدَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: إِحْيَاءُ الْحَدِيثِ مُذَاكِرَتُهُ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ كَمْ مِنْ حَدِيثٍ أَحْيَيْتَهُ فِي صَدْرِي (٢).

فهكذا كان السلف الصالح، يفرقون للمذاكرة، لتركيز الحفظ، وربما قضي بعضهم الليل في المذاكرة حتى الفجر .

ومن طريف ما يروي من حرصهم علي حفظ ما يسمعون في مجالس العلم ما رواه البيهقي في سننه قال: أَخْبَرَنِي يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الزُّهْرِيُّ، قَالَ: بَلَغَنِي عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، أَنَّهُ كَانَ يَبْتَغِي الْعِلْمَ مِنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَمَنْ غَيْرِهِ، فَيَأْتِي جَارِيَةً لَهُ وَهِيَ نَائِمَةٌ فَيُوقِظُهَا، فَيَقُولُ لَهَا: " اِسْمَعِي حَدَّثَنِي فُلَانٌ بِكَذَا، وَحَدَّثَنِي فُلَانٌ بِكَذَا "، فَتَقُولُ: مَا لِي وَمَا لِهَذَا الْحَدِيثِ ؟ فَيَقُولُ: " قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ لَا تَنْتَفِعِينَ بِهِ وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ الْآنَ فَأَرَدْتُ أَنْ أُسْتَذَكِرَهُ " (٣).

(١) المرجع السابق _ رقم الحديث: ٤٦٥.

(٢) المرجع السابق _ رقم الحديث: ٤٦٦.

(٣) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي « بَابُ مُذَاكِرَةِ الْعِلْمِ وَالْجُلُوسِ مَعَ أَهْلِهِ ... رَقْمُ الْحَدِيثِ: ٣٢٣، تاريخ دمشق لابن عساكر « حرف الميم » حرف الميم في أسماء آباء المحمدين « مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ... رَقْمُ الْحَدِيثِ: ٥٩٣٠٥

فالمذاكرة مع الأقران ومناظرتهم، من الشروط المعتبرة في التحصيل فقد قيل: (العلم غرس وماؤه درس)، لكن طلبا للشواب وإظهاراً للصواب.

- **العلم الكسبي:** هو العلم الدنيوي والديني وهي العلوم التي نتعلمها من الحياة، والعلوم التي توصل لها العلم الحديث وهي مازالت تكتشف إلى اليوم، لقولة تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١) أما العلم الديني فهو كامل: لا يوجد مجال لاكتشاف أمور دينية جديدة لقوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (٢).

الثاني: العلم الوهبي: هو هبة من الله لعبادة المتقين فطريقه لا يكون إلا بتقوى الله والعمل الصالح فقط، لقولة تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ (٣)، ويطلق عليه العلم (الْعِلْمُ اللَّدْنِي) لقولة تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنَ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٤).

وَالْعِلْمُ اللَّدْنِيُّ ثَمَرَةُ الْعِبَادَةِ وَالْمُتَابَعَةِ، وَالصِّدْقِ مَعَ اللَّهِ، وَالْإِخْلَاصِ لَهُ، وَبَذْلِ الْجُهْدِ فِي تَلْقِي الْعِلْمِ مِنْ مَشْكَاتِ رَسُولِهِ. وَكَمَالِ الْإِنْقِيَادِ لَهُ.

(١) سورة الإسراء - الآية ٨٥.

(٢) سورة المائدة - الآية ٣.

(٣) سورة البقرة - الآية ٢٨٢.

(٤) سورة الكهف - الآية ٦٥.

فَيَفْتَحُ لَهُ مِنْ فَهْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِأَمْرِ يُخَصُّهُ بِهِ ، كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَقَدْ سُئِلَ هَلْ خَصَّكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَيْءٍ دُونَ النَّاسِ ؟ - فَقَالَ : لَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ . إِلَّا فَهْمًا يُؤْتِيهِ اللَّهُ عَبْدًا فِي كِتَابِهِ (١).

فَهَذَا هُوَ الْعِلْمُ اللَّدُنِّيُّ الْحَقِيقِيُّ ، وَأَمَّا عِلْمٌ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَلَمْ يَتَقَيَّدْ بِهِمَا : فَهُوَ مِنْ لَدُنِ النَّفْسِ وَالْهَوَى ، وَالشَّيْطَانِ ، فَهُوَ لَدُنِّيٌّ . لَكِنْ مِنْ لَدُنْ مَنْ ؟ وَإِنَّمَا يُعْرَفُ كَوْنُ الْعِلْمِ لَدُنِّيًّا رَحْمَانِيًّا : بِمُؤَافَقَتِهِ لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ . فَالْعِلْمُ اللَّدُنِّيُّ نَوْعَانِ : لَدُنِّيٌّ رَحْمَانِيٌّ ، وَلَدُنِّيٌّ شَيْطَانِيٌّ بَطْنَاوِيٌّ . وَالْمَحْكُ : هُوَ الْوَحْيُ . وَلَا وَحْيٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢).

لَا تَحْسَبِ الْمُجْدَ تَمَرًا أَنْتَ أَكَلُهُ *** لَنْ تَبْلُغَ الْمُجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرَا

(١) عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ سَأَلْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِمَّا لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ وَقَالَ مَرَّةً مَا لَيْسَ عِنْدَ النَّاسِ فَقَالَ وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ مَا عِنْدَنَا إِلَّا مَا فِي الْقُرْآنِ إِلَّا فَهْمًا يُعْطَى رَجُلٌ فِي كِتَابِهِ وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ قُلْتُ وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ قَالَ الْعَقْلُ وَفِكَائُ الْأَسِيرِ وَأَنْ لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ (صحيح البخاري « كتاب الديات » باب العاقلة (٦٥٠٧).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين « فصل في منازل إياك نعبد » فصل منزلة العلم « درجات العلم » فصل الدرجة الثالثة علم لدني.

وجوب الجمع بين العلم والدعوة

طلب العلم على قسمين:

(١) فرض عين: على كل مسلم ومسلمة.

(٢) وفرض كفاية: إذا قام به مَنْ يكفي سقط الإثم عن الباقي؛ كعلم القضاء والإفتاء، وفرض العين هو الذي تحصل به معرفة الله (ﷻ) ومعرفة نبيه (ﷺ) ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، فمعرفة الله بأنه واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وأنه لا إله غيره، ولا رب سواه، وأنه - تعالى - يرانا ويسمعنا، ويعلم سرنا وعلايتنا، وأنه أمرنا ونهانا، وأنه يثيب الطائعين ويعاقب العاصين، والإيمان بالله يتضمن محبته وخوفه، ورجاءه وطاعته، بامثال أمره واجتناب نهيه.

ومعرفة نبيه محمد (ﷺ) بأنه عبد لا يُعبد، ورسول لا يُكذَّب، بل يُطاع ويُتَّبَع، شَرَفَهُ اللهُ بالعبودية والرسالة.

وأنه يجب علينا محبته وتصديقه، وامثال أمره واجتناب نهيه، ويجب علينا أن نعرف دين الإسلام بالأدلة من القرآن والسنة، ونعرف ما فيه من أوامر فنمثلها ونواهٍ فنجتنبها، وفي مقدمة ذلك القيام بأركان الإسلام الخمسة علماً وعملاً واعتقاداً ودعوة، وأصول الإيمان الستة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، ومعرفة الإحسان؛ وهو: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

فإذا عرفنا أولاً ربنا ونبيّنا وعرفنا دين الإسلام بالأدلة - وجب ثانياً علينا العمل بهذا العلم، وثالثاً يجب علينا الدعوة إلى الله (١)، ورابعاً يجب علينا أن نصبر على ما يصيبنا في ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ

(١) يقول الشيخ سعد هارون: ليس موضوع الدعوة زيادة المعلومات فقط، بل كيف يترجم هذا العلم في حياتنا إلى أعمال وصفات الخ قال الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) : ندعو إلى الكتب الإسلامية هذا ليس منهج الأنبياء (عليهم السلام) بل منهج الأنبياء هو أن نريهم صفات الإسلامية في حياتنا.

ويقول أيضاً: ومعلوم أن المعية نوعان :عامة لكل الخلق، معية ربوبية : أي أن الله خلق من عدم وتكفل بالإمداد والآيات قال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ (١).

والمعية الثانية: معية الإلوهية: وهي ثمرة العبودية لله تعالى وبعض الآيات: قال الله ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ ، وقال الله ﷻ : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾، وقال الله ﷻ : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ، وقال الله ﷻ : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ ، وقال الله ﷻ : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وقال الله ﷻ : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ، وقال الله ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ، وقال الله ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ .

ولذا أعمال الجهد سواء أثناء الخروج أو في المقام هي المجاهدة والتمارين على الأعمال، أي التربية وليس التنقيف فقط، بل العلم والعمل معاً مثل تربية الرسول ﷺ للصحابة رضي الله عنهم، إذن دعوة ينتج عنها إيمان، وبالإيمان نستطيع القيام بالأعمال، وبالأعمال نتحصل على الصفات، وبالصفات تكون معية الله معنا (تنوير الأفهام في جهد خير الأنام بقلم المؤلف).

وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿١﴾، فأقسم الله في هذه السورة الكريمة أن كلَّ إنسان خاسر، إلا مَنْ اتَّصَفَ بأربع صفات؛ وهي: الإيمان الصادق المُثْمِر للعمل الصالح وهو الخالص لله المُوَافِق لسنة نبيِّه، ثم التواصي بالحق؛ أي: بما أمر الله به ورسوله، والانتهاء عمَّا نهى عنه ورسوله، والتواصي بالصبر على طاعة الله، والصبر عمَّا حرَّم الله، والصبر على أقدار الله، فدَلَّت هذه السورة العظيمة سورة العصر قليلة الألفاظ كثيرة المعاني، دَلَّت على وجوب تعلُّم العلم النافع، والعمل به، والدعوة إليه، والصبر على الأذى فيه، ودَلَّت على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ذلك، وأن مَنْ فقد هذه العناصر الأربعة التي تضمَّنتها السورة أو فقد بعضها فقد خسر كما دَلَّت على ربح وفوز مَنْ اتَّصَفَ بها، ولهذا قال فيها الإمام الشافعي (رحمه الله): لو فكَّر الناس فيها لكفَّتْهُمْ.

ودَلَّت على وجوب جهاد النفس، وأنه أربع مراتب كما قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في "زاد المعاد في هدي خير العباد":
١- جهادها على تعلُّم الهدى ودين الحق، الذي لا صلاح لها في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين.

٢- أن يجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرَّد العلم بدون عمل إن لم يضرها لم ينفعها، فإن اليهود علماء ولم يعملوا بعلمهم فغضب الله عليهم،

(١) سورة العصر - الآيات من ١ : ٣.

والنصارى يعبدون الله على جهل وضلال؛ ولهذا شُرِعَ لنا في دعاء الفاتحة سؤال الهداية إلى الصراط المستقيم، وأن يجنبنا ربنا طريق اليهود والنصارى المغضوب عليهم والضالين.

٣- الثالث من جهاد النفس الذي دلَّت عليه سورة العصر جهادها على الدعوة إلى الله بقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾، وكما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(١)، وكما قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾^(٢).

فالدعوة إلى الله هي طريقة النبي (ﷺ) وهي طريقة الخلفاء الراشدين وأتباعهم إلى يوم القيامة، فواجب المتعلم أن يتعلم لينقذ نفسه وغيره من زمرة الجاهلين، وواجب العالم أن ينشر علمه في الناس؛ ليفوز بعظم الأجر، ويسلم من الإثم والوزر، ولئلا يقع في الكتمان؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾^(٣).

وقال (ﷺ): "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً....." ^(٤)، ودعا لمن بلغ: فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَلَبَّغَهُ كَمَا سَمِعَ فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَىٰ

(١) سورة المائدة - الآية ٢.

(٢) سورة يوسف - الآية ١٠٨.

(٣) سورة آل عمران - الآية ١٨٧.

(٤) رواه البخاري.

مَنْ سَامِعٌ " ، قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ " (١) ، وَقَالَ أَيْضًا :
 " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ
 أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ
 مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا (٢) .

وَفِي مُسْلِمٍ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ سَنَّ فِي
 الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ
 أُجُورِهِمْ شَيْئًا ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ
 بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا " .

وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِلَفْظٍ : " مَنْ سَنَّ سُنَّةً خَيْرٍ ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً شَرًّا لَا يَنْقُصُ

ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا " ، وَعَكَسَ ذَلِكَ مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ .

وَإِذَا لَمْ يَقُمْ الْعَالَمُ بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ بَعْلَمَهُ وَالِدَعْوَةُ إِلَيْهِ كَانَ مِنَ
 الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا يَنْفَعُهُ عِلْمُهُ ، وَلَا يَنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، فَعَنْ أَبِي
 هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعَهُ عِلْمُهُ " (٣) .

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه مسلم وغيره.

(٣) رواه الطبراني والبيهقي وابن عدي، وضعفه السيوطي والمنذري قال المناوي:
 وله أصل أصيل عند الحاكم في "المستدرک".

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ : " بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً ، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ " . رواه البخاري .

ولهذا ذكر الإمام النووي (رحمه الله) هذا الحديث في باب العلم، وهذا يدل على أن مقتضى العلم التبليغ.

قال الذهبي (رحمه الله): فَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِلْعَمَلِ كَسَرَهُ الْعِلْمُ وَبَكَى عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِلْمَدَارِسِ وَالْإِفْتَاءِ وَالْفَخْرِ وَالرِّيَاءِ ، تَحَامَقَ وَاخْتَالَ ، وَازْدَرَى بِالنَّاسِ ، وَأَهْلَكَهُ الْعُجْبُ ، وَمَقَتَّتْهُ الْأَنْفُسُ (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) (١) أَي : دَسَّسَهَا بِالْفُجُورِ وَالْمَعْصِيَةِ قَلِبَتْ فِيهِ السَّيِّئُ أَلْفًا . (٢).

وقال الشيخ محمد عمر البالمبوري (رحمه الله) : يجب الجمع بين العلم بالدين ونشره بين الناس، ومن قصر في أحدهما عوقب من الله تعالى عقابا شديدا، لمخالفته أمر ربه تبارك وتعالى، وأول عاقبة من الله تعالى علينا هي عودة بلاد الإسلام إلى بلاد كفر كما كانت، فهناك بلاد ما وراء النهر وبلاد الأندلس بعدما كانت منارة العلم والإسلام عاقبهم الله تعالى فسلب منهم هذه النعمة وذلك لتقصيرهم في واجب الدعوة، فبالدعوة يدخل الكافر في

(١) سورة الشمس الآيتان ٩ ، ١٠ .

(٢) سيرة أعلام النبلاء» الطبقة الرابعة والعشرون « ابن حزم.

الإسلام، وبغير الدعوة يخرج المسلم من الإسلام كما حدث في كثير من بلاد إفريقيا، نسأل الله تعالى السلامة.

وبقدر القيام بالدعوة إلى الله تعالى يأتي الدين في حياة المسلمين ، وألا تبتعد الدنيا عن الدين فتهلك، وأماننا مثال ذلك (بخارى وسمرقند والبصرة والأندلس) فهذه المدن كانت مراكز إشعاع الدين، ولكن بالعلم فقط بدون دعوة انقلب حكام المسلمون على العلماء فقتلوهم وذبحوهم وسجنوهم، وفرضوا عليهم الشيوعية والماركسية واختفى الدين، ولذلك بالدعوة الكل في الإيمان، لأن العلم فقط للطالبيين، أما الدعوة فهي تحقيق الطلب في غير الطالبيين .

ويجب عبادة الله تعالى على بصيرة في كل شيء بقدر المستطاع { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } (١).

الحذر من الوقوع في الترف

❖ على الداعي أن يحذر من الوقوع في الترف (والترف نوعين):

١) الترف المادي : وهو تحسين أسباب الحياة ويؤدي إلى الثاقل عن الجهد من صفات الأرض، والأرض فيها الثقل (الجبال - الحديد.. الخ) ولذا يقول الله ﷻ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

أَنَّا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿١﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ (٢).

(٢) **الترف الفكري (وهو الذي أقصده هنا) :** وهو تعلم العلم لغير العمل بل للكسب كما في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا اتُّخِذَ الْفَيْءُ دُولًا ، وَالْأَمَانَةُ مَغْنَمًا ، وَالزَّكَاةُ مَغْرَمًا ، وَتُعَلَّمَ لِغَيْرِ الدِّينِ ، وَأَطَاعَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ ، وَعَقَّ أُمَّهُ ، وَأَذْنَى صَدِيقَهُ ، وَأَقْصَى أَبَاهُ ، وَظَهَرَتِ الْأَصْوَاتُ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَسَادَ الْقَبِيلَةَ فَاسِقُهُمْ ، وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْذَلُهُمْ ، وَأَكْرَمَ الرَّجُلُ مَخَافَةَ شَرِّهِ ، وَظَهَرَتِ الْقَيْنَاتُ وَالْمُعَازِفُ ، وَشَرِبَتِ الْخُمُورُ ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا ، فَلْيَرْتَقِبُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيحًا حَمْرَاءَ وَزَلْزَلَةً وَخُسْفًا وَمَسْخًا وَقَذْفًا ، وَآيَاتٍ تَتَابَعُ كِنَظَامٍ بِأَلٍ قُطِعَ سِلْكُهُ فَتَتَابَعَ " (٣) ويسخر العلم للحياة الدنيا، والانصراف عن علوم الدين لعلوم الدنيا ، ويأتي الفساد ثم العذاب ثم هجوم الأعداء، ثم الاستبدال، قال تعالى ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (٤)(١). وهو أن يتعلم المبتدئ جملة من العلوم التي لا يعمل بها، ولا يستفاد

(١) سورة التوبة - الآية ٣٨ .

(٢) سورة الأعراف - الآية ١٧٦ .

(٣) سنن الترمذي « كتاب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » باب ما جاء في علامة (٢٢١١).

(٤) سورة محمد - الآية ٣٨ .

منها ، تجعل منه شخصاً نظرياً، فتؤدي الظاهرة عند توسعها إلى عيب كبير في صفوف الدعاة، إذ يتحول الداعية عندئذ إلى أشبه بباحث نظري يبحث في الكتب وحسب، فيفلسف الأحداث دون استيعاب، وبالتالي يحصل الفتور في العمل والضعف في الإيمان، وتصبح بضاعته مجموعة من الأحاديث النظرية والمجادلات، وتكون متعته في المباحث النظرية والمطالعة المجردة، دون تحمل عبء المشاكل، ومشقة المخالطة، ولو ظل على هذا لهان الأمر، بل قد يتحول الداعية – كما تشهد التجارب – إلى كاتب يبرر الانحراف، ويفلسف الأخطاء، ويدافع عن الفتن، وينقد العمل الجاد، بل وقد يكبر الأمر الصغير ويهون الشأن الكبير، وكل ذلك لأنه أسير تأملاته النظرية، وثقافته غير المتوازنة. (٢) .

هل لطلب العلم نهاية ؟

قَالَ صَالِحُ بْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ: رَأَى رَجُلٌ مَعَ أَبِي مُحَبَّرَةٍ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ هَذَا الْمُبْلَغَ وَأَنْتَ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ مَعِيَ الْمُحَبَّرَةُ إِلَى الْمُقْبَرَةِ (٣).
وقيل لعبد الله بن المبارك (رحمه الله): إلى متى تكتب العلم؟ قال: لعل الكلمة التي انتفع بها لم اكتبها بعد .

وهذا ابن عباس (حبر الأمة) منذُ صغره وهو في بيت النبوة، حيثُ أن

(١) من كتاب المنتقى من كلام أهل التبليغ والدعوة للمؤلف .

(٢) كتاب ربانية التعاليم لعادل الشويخ _ تحت عنوان عدم الوقوع في الترف الفكري.

(٣) الآداب الشرعية لابن مفلح.

رسول الله ابن عمه، وميمونة بنت الحارث زوج النبي خالته، يقول: ابن عباسٍ دَخَلَ النَّبِيُّ (ﷺ) الْخَلَاءَ فَوَضَعَتْ لَهُ وَضُوءًا " زَادَ مُسْلِمٌ. " فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ: مَنْ وَضَعَ هَذَا؟ فَأُخْبِرَ " وَلِمُسْلِمٍ: قَالُوا: ابْنُ عَبَّاسٍ، وَلِأَحْمَدَ وَابْنِ حِبَّانَ مِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْهُ: أَنَّ مَيْمُونَةَ هِيَ الَّتِي أَخْبَرَتْهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: " اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ " (١). وفي رواية: عن ابن عباسٍ قَالَ ضَمَّنِي رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَقَالَ: " اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ " (٢).

فيقدم الوضوء للنبي (ﷺ) وينظر إلي وضوئه، ثم في عهد أبي بكر ينظر إلي وضوئه، وفي عهد عمر أيضا ينظر إلي وضوئه، وفي زمن عثمان ينظر إلى وضوئه.. هكذا يا أحبابي يقدم رؤية الصحابة القدماء لوضوء النبي علي رؤيته، فربما يرى غيرك مالا تراه.

فنجتهد في طلب العلم ليلا نهارا، من المهد إلى اللحد، من المحبرة إلى المقبرة.

الفرق بين التعليم والتبليغ

التعليم للطالبين .. والتبليغ لغير الطالبين.

فمهمة التبليغ الجهد علي غير الطالبين حتى يتولد فيهم الطلب للدين .. ثم

تأتي مهمة التعليم (٣).

(١) صحيح البخاري _ كتاب الوضوء» بَابُ وَضْعِ الْمَاءِ عِنْدَ الْخَلَاءِ _ رقم الحديث (١٤٣).

(٢) صحيح البخاري _ كتاب العلم» بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ رقم الحديث (٧٥).

(٣) أهمية العلم والذكر في الإسلام ص- ٨٠ .

الفرق بين النظر والخبر

يقول الشيخ إلياس (رحمه الله): إن علمنا ما هو إلا الخداع، وعلم الله هو العلم الحقيقي. علمنا يقول: أن المال إذا صُرف في سبيل الله ينقص.. وعلم الله يقول إن المال إذا صُرف في سبيل الله يزيد.. قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ ^(١)، وقال تعالى: ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيدُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ ^(٢).

الفرق بين الداعي والعالم

- الداعي يرغب المعرضين عن الدين.
- والعالم يُعلم طالب العلم.
- الدعوة من كل الناس لكل الناس.
- العلم من العالم لكل الناس.
- الدعوة تولد الرغبة والشوق لأعمال الدين، فعند ذلك يطلب العلم لمعرفة كيفية العمل وليس للثقافة والمعرفة.

(١) سورة البقرة – الآية ٢٦١.

(٢) سورة البقرة – الآية ٢٧٦.

مقارنة

بين طالب العلم والمثقف

- (١) طالب العلم: يتعلم علماً، ثم يتقنه ثم يتبعه العمل ثم التبليغ.
والمثقف: يأخذ من كل علم شيئاً قليلاً، أي يتعلم ما تهواه نفسه، ثم لا يتبع العلم العمل.. وفي ذلك يقول ابن عبد البر في جامع بيان العلم، يقال: إذا أردت أن تكون عالماً فاقصد لفن من العلم، وإذا أردت أن تكون أديباً فخذ من كل شيء أحسنه.
- (٢) طالب العلم: في سبيل تحصيل العلم يجتهد، ويتحمل المشقة، ويصبر، حتى يتقن ما يتعلمه.
والمثقف: ربما يعتريه الفتور فيكسل، ويترك العلم، بل ينقطع عنه بالكلية.
- (٣) طالب العلم: يحرص على تعلم ما ينفعه في الدنيا والآخرة.
والمثقف: يتعلم ما ترتاح إليه نفسه.
- (٤) طالب العلم: يزيده العلم قرباً من الله.
والمثقف: الذي ابتعد عن الأصول وبدأ في قراءة الجرائد والصحف والروايات والمجلات، تجده لا يعرف من الأصل إلا اسمه فقط، لكن لا يعرف حقيقته، فيعلم مثلاً أن هناك أصل يسمى سد الذرائع فيتكلم فيه ولا يعلم

حقيقة هذا الأصل أو يقدم العرف على القرآن والسنة فيقول أنه من عادة البلد الفلاني شرب الخمر مثلاً فيجهل أن العرف يكون فاسداً إن كان مخالفاً للقرآن والسنة، يعني العناوين ولا يعلم المحتوى هذا هو المثقف يأخذ من كل كتاب جملة عرف معناها أم لا يعرفها فيبدأ في ترتيب هذا الكلام في مقاله فيتكلم في مقولة ويقول إنها حديث صحيح ! وتجدها مقولة لأحد العلماء !! ربما زادته الثقافة بعداً من الله.

- ٥) طالب العلم: يُضفي عليه العلم الرسوخ فيصبح من الراسخين في العلم.
أما المثقف: لا تُضفي إليه ثقافته بالرسوخ، بل بالتردد، وعدم الثقة .. وغالبا يتجراً علي الأحكام ويقول فيها برأيه ويفتي فيما لا علم له به.
- ٦) طالب العلم: يضفي عليه العلم البركة في (علمه .. رزقه .. زوجه .. ولده .. كل شيء في حياته).

المثقف: لا يتحصل علي شيء مما ذكرنا.. وربما يتحصل علي القليل.

وقد أوقعنا الثقافة في مشاكل كبيرة:

قال تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (١). وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ

(١) سورة آل عمران - الآية ١٩.

مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لِّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١﴾.

فاختلفوا علي علم وليس علي عمل وواقع حياة عملية.. ولذا حذرنا الله سبحانه وتعالى من العلم بدون العمل، لأن العلم بدون العمل ضلالة، قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢).

لما أصبح العلم ثقافة ما تعلم من أجل العمل به، ولكن للتثقف، فجاء الضلال والانحراف ثم الاختلاف ثم الفرقة، وقد حذرنا الله من ذلك، حتى لا نقع فيما وقع فيه غيرنا، فإذا تركنا ميدان الدعوة، ميدان الجهد وقعنا فيما وقع فيه غيرنا، ولذا جاءت الآية التي في الشورى بعد قوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ (٣).

(١) سورة الشورى - الآية ١٤ .

(٢) سورة الجاثية - الآية ٢٢ .

(٣) سورة الشورى - الآية ١٣ .

نتائج

الاستخدام الصحيح أو السيء للعلم الصحيح

يقول الشيخ إلياس (رحمه الله) : الاستخدام السيئ للعلم الصحيح يؤدي إلى الخراب والتدمير، بينما الاستخدام الصحيح للعلم الصحيح يؤدي إلى البناء والتعمير، واختار النبي ﷺ ثلاثة أمور مبدئية في مجال عمومية التعليم (اليقين الكامل بما عَلِمَهُ.. والقيام بالعمل الصحيح بما عرفه.. ونشر هذا اليقين الكامل والعمل الصحيح).

وهذه الخطوات المبدئية التي اختارها النبي ﷺ وتمسك بها الصحابة رضي الله عنهم، والتي أدت إلى القضاء علي وثنية العرب وأصنامهم، وكشف الستار عن ضلالة الروم والفرس، وكسر شوكتهم (١).

شبهة والرد عليها

للأسف الشديد أن بعض الناس قاموا بالعمل علي معارضة هذا المنهج الذي قدمه الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) لـ (عمومية التعليم) دون أن يحاولوا فهم مبادئه وأهدافه ووسائله وأساليبه.

فقال البعض إن الشيخ محمد إلياس يدعو كبار علماء الدين إلى ترك المساند العلمية والمناصب الرفيعة، وعقد حلقات التعليم في المساجد لعامة الناس لكي

(١) أهمية العلم والذكر في الإسلام ص ٩٣ .

يعلموهم مسائل الاستنجاء والوضوء والصلاة.

الرد علي هذه الشبهة: يقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) : إننا لا نريد أن يقوم مدرس (صحيح البخاري) بتدريس التحيات، بل نريد أن تكون أهمية (التحيات) _ تصحيح الصلاة _ عند الذي يُدرس (صحيح البخاري) حيثُ يهتم اهتماماً بالغاً، وإذا احتاج الناس إليه في تصحيحها أو تعليمها يجب عليه القيام بسد الحاجة بأي حال من الأحوال، لأن (التحيات) أيضاً من العلوم النبوية ، فلو أغفلها عالم من علماء الدن سيعتبر من غير المهتمين بالدين، وكيف يمكن للعلماء الصالحين أن يكونوا غير مهتمين بأساس الدين !!! .
فالمطلوب هو أن يكون تعليم (التحيات) (أي الصلاة) تحت إشراف مدرسي البخاري (١).

اقتران العلم بالذكر

يقول الشيخ إلياس (رحمه الله) : إن العلم بدون الذكر ظلمة، والذكر بدون العلم فتنة وفساد.
وإن هذه الحركة وهذا المنهج إذا تجردا عن العلم والذكر فلن يبقى إلا المادية البحتة، خالية من الروح الإيمانية.. فافهموا تلك الحقيقة وبلغوها إلى الآخرين (٢).

(١) المرجع السابق ص ٩٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٩٨ .

ويقول: إن العلم والذكر في حركتنا الإيمانية، كمثل الجناحين للطائر، ولا يستطيع الطيران بدونهما، ولا يمكن لهذه الحركة التقدم والوصول إلى الهدف المنشود بدون العلم والذكر، فإنهما الجناحان الحقيقيان لهذه الدعوة المباركة (١).

العلم المطلوب

قَالَ سَلْمَانُ حُذَيْفَةَ: " يَا أَخَا بَنِي عَبْسٍ، إِنَّ الْعِلْمَ كَثِيرٌ، وَالْعُمَرَ قَصِيرٌ، فَخُذْ مِنَ الْعِلْمِ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ دِينِكَ، وَدَعْ مَا سِوَاهُ، فَلَا تُعَانَهُ ". أخرجـه أبو نعيم في الحلية . (٢).

وأفـنـع العلم ما كان في القلب، فعن جابرٍ ، قال: قال رسول الله ﷺ: " الْعِلْمُ عِلْمَانِ: فَعِلْمٌ فِي الْقَلْبِ فَذَاكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَعِلْمٌ لِّلْسَانٍ فَبِئْسَ حُجَّةٌ لِلَّهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ (٣). ورواه الدارمي وإسناده صحيح عن الحسن (٤).

تعلم الإيمان والعلم والعمل

عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ حَدَّثَنَا أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ ثُمَّ حَدَّثَنَا

(١) المرجع السابق ص ١١٦ .

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم « سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ _ رقم الحديث: ٦٢٤ .

(٣) العلل المتناهية لابن الجوزي « كِتَابُ الْعِلْمِ » بَابُ الْعِلْمِ عِلْمَانِ _ رقم الحديث: ٨٦ .

(٤) مشكاة المصابيح كتاب العلم ٨٩/١ .

عَنْ رَفْعِ الْأَمَانَةِ قَالَ يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظَلُّ أَثَرَهَا مِثْلَ
الْوَكْتِ ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظَلُّ أَثَرَهَا مِثْلَ الْمَجْلِ كَجَمْرِ
دَخَرَجْتِهِ عَلَى رِجْلِكَ فَتَنْفَطِرَ فَتَرَاهُ مُتَتَبِّرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ ثُمَّ أَخَذَ حَصَى-
فَدَخَرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ حَتَّى
يُقَالَ إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ مَا أَجَلَدَهُ مَا أَظَرَفَهُ مَا أَعْقَلَهُ
وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أَبَالِي أَيْكُمْ
بَايَعْتُ لِمَنْ كَانَ مُسْلِمًا لِيُرِدَّنِي عَلَى دِينِهِ وَلَيْتَنِي كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لِيُرِدَّنِي عَلَى
سَاعِيهِ وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لِأُبَايَعَ مِنْكُمْ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا . متفق عليه (١)

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: لَقَدْ عَشْنَا بُرْهَةً مِنَ الدَّهْرِ وَإِنْ أَحَدَنَا يُؤْتَى الْإِيْمَانُ قَبْلَ
الْقُرْآنِ، وَفِي لَفْظٍ: إِنَّا كُنَّا صُدُورَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَكَانَ الرَّجُلُ مِنْ خِيَارِ أَصْحَابِ
رَسُولِ اللَّهِ وَصَالِحِيهِمْ مَا يُقِيمُ إِلَّا سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ شِبْهَ ذَلِكَ، وَكَانَ الْقُرْآنُ
ثَقِيلًا عَلَيْهِمْ وَرُزِقُوا عِلْمًا بِهِ وَعَمَلًا، وَإِنَّ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَخْفُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ حَتَّى
يَقْرَأَهُ الصَّبِيُّ وَالْعَجَمِيُّ لَا يَعْلَمُونَ مِنْهُ شَيْئًا، أَوْ قَالَ لَا يُسَلِّمُونَ مِنْهُ الشَّيْءَ (٢)

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة ، رقم (٦٤٩٧) ، ومسلم
«كتاب الإيمان » باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على
القلوب رقم ١٤٣ ، - سنن ابن ماجه - كتاب الفتن - باب ذهاب الأمانة - باب
ذهاب الأمانة رقم ٣٢٩٣ .

(٢) الفتاوى لشيخ الإسلام / ٦ / ٦٥٠ .

وَعَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيْمَانًا "رواه ابن ماجه (١) .

وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: " حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرَأُ مِنَّا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْرَأُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذَا مِنَ الْعَمَلِ وَالْعِلْمِ"، قَالَ: "فَعَلَّمْنَا الْعَمَلَ وَالْعِلْمَ". رواه أحمد (٢).

وعن عطاء بن السائب، أَنَّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيَّ، قَالَ: " إِنَّا أَخَذْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَنْ قَوْمٍ، أَخْبَرُونَا أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزُوهُنَّ إِلَى الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِيهِنَّ، فَكُنَّا نَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ بِهِ، وَإِنَّهُ سِيرَتُ الْقُرْآنَ بَعْدَنَا قَوْمٌ لَيَشْرَبُونَهُ شُرْبَ الْمَاءِ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، بَلْ لَا يُجَاوِزُ هَاهُنَا، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى الْحَقِّ " .. (٣).

لما سبقت التزكية الأوامر، ونزلت الأوامر، قالوا: سمعنا وأطعنا.

(١) سنن ابن ماجه « كتاب المقدمة » باب في الإيمان _ رقم الحديث (٦١).

(٢) كتاب حياة الصحابة _ كتاب الترغيب في العلم _ باب تعلم الإيمان والعلم والعمل معا ١٧٨/٣ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد « طَبَقَاتُ الْكُوفِيِّينَ » وَمِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ مِمَّنْ رَوَى عَنْ عَلِيٍّ ... « أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيُّ _ رقم الحديث: ٧٦٣٣.

التحذير من

الانشغال بكتب العلم وترك القرآن

فعن ميمون بن مهران قال: أتى عمر بن الخطاب رجل فقال: يا أمير المؤمنين! أصبت كتابا فيه كلام معجب، قال: أمن كتب الله؟ قلت: لا، فدعا بالدرّة، فجعل يضربه بها وقرأ ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِلِينَ﴾ (١)، ثم قال: إنما هلك من كان قبلكم بأنهم أقبلوا على كتب علمائهم وأسقفهم، وتركوا التوراة والإنجيل حتى درسوا وذهب ما فيها من العلم " كذا في الكنز (٢).

وأخرج عبد الرزاق في «المصنّف»، وابن الضريس عن إبراهيم النخعي قال: كَانَ بِالْكُوفَةِ رَجُلٌ يَطْلُبُ كُتُبَ دَانِيَالٍ وَذَلِكَ الضَّرْبُ فَجَاءَ فِيهِ كِتَابٌ مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنْ يُرْفَعَ إِلَيْهِ فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى عُمَرَ عَلَيْهِ الدَّرَّةُ ثُمَّ جَعَلَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ (الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) حَتَّى بَلَغَ (الْعَافِلِينَ) قَالَ: فَعَرَفْتُ مَا يُرِيدُ فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دَعْنِي، فَوَاللَّهِ لَا أَدْعُ عِنْدِي شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْكُتُبِ إِلَّا حَرَقْتُهُ، قَالَ فَتَرَكَهُ (٣).

(١) سورة يوسف الآيات من ١ : ٣ .

(٢) حياة الصحابة - كتاب الترغيب في العلم - باب الإنكار والتشديد علي من اشتغل في علم آخر ١٧٢/٣ .

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي.

وَعَنِ الضَّحَّاكِ أَنَّهُ قَالَ: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ تَكْثُرُ فِيهِ الْأَحَادِيثُ حَتَّى يَبْقَى الْمُصَحَّفُ عَلَيْهِ الْعُبَارُ لَا يَلْتَفَتُ إِلَيْهِ. (١).

واجب العلماء

يجب علي أهل العلم صيانة العلم وتعظيمه، وليعلم العالم أن ما أُوتيه من العلم، أعظم مما أُوتيه أهل الدنيا جميعا، وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: بَلَّغْنَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: لَوْ أَنَّ حَمَلَةَ الْقُرْآنِ أَخَذُوهُ بِحَقِّهِ وَمَا يَنْبَغِي لِأَحَبَّهُمُ اللَّهُ، وملائكته، والصالحون، ولها بهم الناس، وَلَكِنْ طَلَبُوا بِهِ الدُّنْيَا فَأَبْغَضَهُمُ اللَّهُ، وَهَانُوا عَلَى النَّاسِ. أخرجہ بن عبد البر في جامع بيان العلم (٢).

وَرَوَى عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ) (٣). قَالَ: قَوْمٌ وَصَفُوا الْحَقَّ وَالْعَدْلَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَخَالَفُوهُ إِلَى غَيْرِهِ. (٤).
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوا الْعِلْمَ وَوَضَعُوهُ عِنْدَ أَهْلِهِ، لَسَادُوا بِهِ أَهْلَ زَمَانِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ بَدَّلُوهُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا لِيَنَالُوا بِهِ مِنْ دُنْيَاهُمْ، فَهَانُوا عَلَيْهِمْ سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ - يَقُولُ: " مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا هَمَّ آخِرَتِهِ، كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي

(١) كتاب جامع بيان العلم - لابن عبد البر ٧٨/١ .

(٢) حياة الصحابة كتاب الترغيب في العلم - العلماء الربانيون وعلماء السوء ٢٧٣/٣ .

(٣) سورة الشعراء - الآية ٩٤ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي .

أَحْوَالِ الدُّنْيَا، لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَّتِهَا هَلَكَ . " رَوَاهُ ابْنُ
مَاجَهَ وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ (١) .

فإننا لله وإنا إليه راجعون، فقد ترك اليوم كثير من العلماء العمل فضيعوا
العلم، وسقطوا من عيون الناس، وذهبت هيبتهم.. نسأل الله ﷻ أن يردنا ويرد
علماءنا إلى دينه رداً جميلاً .

أقسام العلم

(١) علم [فرض عين علي جميع الأمة] :

أ- علم الإيمان:

- علم معرفة الله (فاعلم أنه لا إله إلا الله) .

- علم البعث والنشور والجنة والنار .

ب- معرفة الفرائض (صلاة، صوم، زكاة، حج) : فإذا جاء وقت الصلاة
وجب عليه تعلم الطهارة والصلاة، فإذا جاء رمضان وجب عليه تعلم الصيام،
فإن كان له مال وحال عليه الحول وجب عليه تعلم الزكاة، وإن جاء وقت الحج
وهو مستطيع وجب عليه تعلم مناسك الحج .

(٢) علم [فرض عين علي بعض طبقات الأمة] : مثل الزكاة: علي

الأغنياء الذي بلغ عندهم النصاب الشرعي لإخراج الزكاة، علم التجارة

(١) مشكاة المصابيح - كتاب العلم - رقم الحديث (٢٦٣) .

والبيوع: علي التجار، علم الحج: علي من أراد الحج (١).

(٣) علم دواء: الفقه ليعالج الأمور التي تواجه الأمة.

(٤) علم [فرض كفاية]: (إذا قام به البعض سقط عن الباقيين مثل):

صلاة الجنائز، وتشيع الميت إلى قبره، تجهيز وحفر القبر، فإذا مات إنسان،

(١) سئل الإمام المازري (رحمه الله) : عن قال أن قراءة العلم وحفظه أفضل من قراءة القرآن وحفظه، فأيهما أفضل؟ فأجاب: يتعين على كل واحد أن يعلم ما هو بصدده، فيجب على من يملك البقرات يعلم ما يلزمه من زكاتها، ومعرفة نصابها، وكذا من يملك الإبل والغنم والنقدين أو عروض التجارة، وكذا أصحاب الزرع والنخل، ويجب على التاجر أن يعلم ما يصلح من تجارته، وما يفسد منها، ويجب على الصراف أن يعلم أبواب الربا المتعلقة بالصرف، وكذا يجب على كل صانع أن يعرف ما هو متعلق بحرفته.

وكذا يجب على كل واحد من الزوجين معرفة ما يلزمه من حقوق الآخر، فيقوم به. وكذا الخباز والبناء والفلاح يلزمهم معرفة ما يلزمهم القيام به. وتعليم ذلك أكد من قراءة القرآن الزائد على الفاتحة، والضابط أن ما يتعين تعلمه مما الأنفس بصدده مدفوع إليه، فتعلمه فرض عين/ وما عدا ذلك من القرآن والأحكام الشرعية فتعلمها فرض كفاية.

ومعرفة الأحكام الشرعية أفضل لعموم الحاجة إليها في الفتاوي، والأقضية والولاية العامة، والخاصة.

ومصلحة القرآن مقصورة على القائم، وما عمت مصلحته ومستته الضرورة والحاجة إليه أفضل مما كانت مصلحته قاصرة على فاعله، ويؤيد هذا المنحى حديث ابن مسعود في الموطأ: " إنكم في ومان كثير قراؤه قليلى فقهاؤه، يحفظون القرآن ويضيعون أحكامه". [فتاوي المازري - تحقيق د. طاهر المعموري - الدار التونسية للنشر]

فيحتاج إلى أربعة أن يغسلوه ويكفنوه ويصلوا عليه، ثم يحملوه إلى المقابر ويدفنوه، وذلك لسد فرض الكفاية، فإذا فعلوا سقط عن الباقيين.. ولكن إذا كثر الموتى: هل يكفي أربعة؟ فإذا لم تحصل الكفاية فالأمة كلها آثمة.

ومن فروض الكفاية: علم المواريث والوصايا .. وعلم الطب .. الهندسة .. والحساب .. الفلك .. الصناعة .. الزراعة، والحياكة.

(٥) علم مباح: كالعلم بالأشعار التي لا سخف فيها، وتواريخ الأخبار.

(٦) علم حرام: علم السحر والكهانة .

من علامات العلم النافع

- (١) العمل به .
- (٢) كراهية التزكية، والمدح، والتكبر علي الغير.
- (٣) كلما ازداد علماً.. ازداد تواضعاً .
- (٤) الهرب من الشهرة.
- (٥) هجر دعوى العلم.
- (٦) إساءة الظن بالنفس.

رفع الصوت في المسجد:

س: هل يجوز رفع الصوت في حلقات التعليم في المسجد ؟

ج: نعم يجوز رفع الصوت في المسجد بتعليم العلم، إذا كان المسجد حلقة واحدة، أما إذا كان أكثر من حلقة في المسجد فلا يجب أن يشوش بعضهم علي

بعض.. فكان المسجد النبوي مدرسة لتعليم الإسلام، والقرآن، والحلال والحرام، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ مَرَّ بِسُوقِ الْمَدِينَةِ ، فَوَقَفَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: " يَا أَهْلَ السُّوقِ، مَا أَعْجَزَكُمُ " قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؟ قَالَ: " ذَاكَ مِيرَاثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُقْسَمُ، وَأَنْتُمْ هَاهُنَا لَا تَذْهَبُونَ فَتَأْخُذُونَ نَصِيبَكُمْ مِنْهُ " قَالُوا: وَأَيْنَ هُوَ ؟ قَالَ: " فِي الْمَسْجِدِ " فَخَرَجُوا سِرَاعًا إِلَى الْمَسْجِدِ، وَوَقَفَ أَبُو هُرَيْرَةَ لَهُمْ حَتَّى رَجَعُوا، فَقَالَ لَهُمْ: " مَا لَكُمْ ؟ " قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَقَدْ أَتَيْنَا الْمَسْجِدَ ، فَدَخَلْنَا، فَلَمْ نَرِ فِيهِ شَيْئًا يُقْسَمُ. فَقَالَ لَهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ : " أَمَا رَأَيْتُمْ فِي الْمَسْجِدِ أَحَدًا ؟ " قَالُوا: بَلَى، رَأَيْنَا قَوْمًا يُصَلُّونَ ، وَقَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، وَقَوْمًا يَتَذَكَّرُونَ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَيُحْكُمُ، فَذَاكَ مِيرَاثُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . رواه الطبراني بإسناد حسن . (١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَمَنْ يَسِّرْ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ . وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ . وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ

(١) المعجم الأوسط للطبراني « باب الألف » من اسمه أحمد « أحمد بن محمد بن صدقة _ رقم الحديث (١٤٥).

السَّكِينَةُ، وَعَشِيَّتُهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ . وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ . (١).

قال الإمام النووي (رحمه الله): وَيُلْحَقُ بِالْمَسْجِدِ فِي تَحْصِيلِ هَذِهِ الْفَضِيلَةِ الْاجْتِمَاعُ فِي مَدْرَسَةٍ وَرِبَاطٍ وَنَحْوَهُمَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى (٢) .

وقال أشهب: سئل مالك (رحمه الله): عن رفع الصوت في المسجد، في العلم وغيره قال: لا خير في ذلك العلم، ولا في غيره، ولقد أدركت الناس يعيرون ذلك علي من يكون في مجلسه، ومن كان يكون ذلك في مجلسه كان يعتذر منه، وأنا أكره ذلك ولا أرى فيه خيراً. رواه ابن عبد البر.

وأجاز بعض أصحاب مالك، كمحمد بن مسلم رفع الصوت فيه (أي المسجد) بالعلم وما يحتاج إليه الناس.

وقال الإمام الزركشي (رحمه الله): يُسْتَحَبُّ عَقْدُ حَلْقِ الْعِلْمِ فِي الْمَسْجِدِ، وَذَكَرَ الْمَوَاعِظَ وَالرَّقَائِقَ وَنَحْوَهَا، وَالْأَحَادِيثَ الصَّحِيحَةَ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ، قَالَهُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ الْمَهْذَبِ، وَنَقَلَ فِيهِ ابْنُ بَطَالٍ فِيهِ الْإِجْمَاعُ.

وقال الإمام النووي (رحمه الله): وَتَجُوزُ قِرَاءَةُ الْأَحَادِيثِ الْمَشْهُورَةِ وَالْمَغَازِي وَنَحْوَهَا مِمَّا لَيْسَ فِيهِ مَوْضِعٌ، وَلَا حَالًا يَتَحَمَلُهُ عَقُولُ الْعَوَامِ (١).

(١) مشكاة المصابيح - كتاب العلم ١/ ٧١ .

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج - النووي ٩/ ٦٣ .

(١) الزركشي في أعلام المساجد بأحكام المساجد ص ٣٢٨ .

الفرق بين المعلمين والمرسلين

المدرس يُعطي التلاميذ الدرس ثم يذهب .. أما المعلم فهو يعطي الدرس ويظل معهم قدوة لهم ، لينقلوا حياته .
يقول الشيخ أبو الحسن الندوي (رحمه الله) : إن المدارس والمعاهد تنقل العلم إلى أفراد – والأمة علي حالها – ولكن تحتاج إلى مشروع ينقل الأمة فضلا عن الأفراد إلى الدين والعلم.. وذلك هو الفرق بين المعلمين والمرسلين.. فإن المعلمين ينقلون العلم إلى الأفراد.. والأنبياء ينقلون الأمم إلى غايات العلم ولبابه.

وأن المشاريع التعليمية تقسم العلم بين الأمة قسمة ضيزى، فتجتمع كميات كبيرة من العلم عند أفراد، ويبقى سائر الناس كاهمج الرعاء ، فلو قسم هذا العلم علي الأمة لوسعهم .. وإنها كالربا يصبح به أفراد من الناس أصحاب ثروات كبيرة .. وسائر الناس لا يجدون كفافاً .

ثم إن الذين ليس لهم حظ في التعليم والدراسة وتقدم بهم العمر، لا ينتفعون بهذه المدارس، ولا يفسح وقتهم للتعلم فيها.. فلذا لابد من دعوة عامة إلى تعليم الدين بطريقة وجيزة سهله طبيعياً تشمل جميع طبقات الأمة، وهذا اهتدي إليه الشيخ إلياس رحمه الله بفراسته الإيمانية ونظره الثاقب وبمجاهدته في سبيل الدين لقول الله ﷻ ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ

لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾. وبدراسته العميقة النادرة لأصول الدين إلي مركز العلة في جسم هذه الحياة (٢).

مقارنة

بين فقه الدعوة وفقه التعليم

- قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ (٣).
- وقال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (٤).
- وُبعث ﷺ معلماً وداعياً.. ومن خلاله ﷺ تتكون شخصية الداعي، وشخصية المعلم.
- معلماً أصحابه الراغبين الطالبين.. وداعياً الرافضين المعاندين، مثل: أبي جهل وأبي لهب وغيرهم .
- فجهد التعليم علي الراغبين، وجهد الدعوة علي غير الراغبين.
- قال تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (٥).

(١) سورة العنكبوت - الآية ٦٩.

(٢) انظر من روائع أبي الحسن الندوي في الدعوة إلي الله - إعداد - المؤلف.

(٣) سورة الرحمن - الآيات من ١ : ٣ .

(٤) سورة الأنبياء - الآية ٧٩.

(٥) سورة إبراهيم - الآية ١ .

● والظلمات نوعين :

- ظلمة الشرك والكفر: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ

يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١).

- ظلمة المعصية: ولذلك أرسل موسى ﷺ لإخراج بني إسرائيل

من ظلمة المعاصي والفسق إلى نور الإيمان واليقين.

كانت بعثة موسى عليه السلام مزدوجة :

(١) للمسلمين (العصاة): وهم بني إسرائيل، قوم موسى ﷺ.

(٢) للكفار: فرعون وقومه.. ولذا قال موسى ﷺ لفرعون ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا

لِي فَاعْتَرِلُونِ﴾^(٢) لأنه عنده قومه وهما الأساس في الدعوة، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا

نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٣).

● فالدعوة ليست فقط للكفار، كما يقول بعض الناس ، فالله ﷻ أمر

موسى ﷺ وقومه: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ-

بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤).

● وفي زمن الرسول ﷺ لم يكن هناك مسلم تارك للصلاة، فكانت الدعوة

موجه فقط للكفار.. والتعليم للمسلمين.

(١) سورة لقمان - الآية ١٣ .

(٢) سورة الدخان - الآية ٢١ .

(٣) سورة نوح - الآية ١ .

(٤) سورة يونس - الآية ٨٧ .

● المعلم يجلس في مكانه دون أن يتحرك ويأتيه الناس، لأن العلم يؤتى إليه، وله المثوبة عند الله ﷻ، وهذا التعليم علي نهج النبوة.

● أما الداعي فيمشي ويتحرك علي الناس، فالنبي ﷺ ما قال لأبي جهل تعالى عندي وأعلمك وأفهمك، بل ذهب بنفسه ﷺ إليه ، بل ودار في الأسواق وعلي المنازل داعياً: ﴿ وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ (٢) أول كلمة اذهب (دليل الحركة).

وقال تعالى: ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٣) يمشي (دليل الحركة).

وقال تعالى: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ ﴾ (٤) وجاء (دليل الحركة).
وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٥) ائت (دليل الحركة).

فقدم الله ﷻ الوسيلة علي المقصد (اذهب.. وجاء من.. ائت) لبيان أهمية

(١) سورة الفرقان - الآية ٧.

(٢) سورة طه - الآية ٢٤ ، والنازعات ١٧.

(٣) سورة الأنعام - الآية ١٢٢.

(٤) سورة يس - الآية ٢٠ .

(٥) سورة الشعراء - الآية ١٠.

الوسيلة.

- مفتاح العلم حرك قلمك، ومفتاح الدعوة حرك قدمك.
- إذا ذهب المعلم للطلاب لكي يعلمهم، فقد أهان وظيفته، فهو دائماً في حالة العزة، ما يتعرض للأحوال التي تهزه، فهو دائماً في الاحترام.
- أما الداعي: فكثير من الأحوال تمر عليه بالسخرية والاستهزاء، قال تعالى:
﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (١).
- وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًّا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (٢).
- وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًّا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ (٣).
- وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْنَاهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (٤).
- فالداعي يتعرض للإهانة والاستهزاء، يقال عنه أنه: (مجنون، ساحر، كاهن، شاعر، كذاب).

(١) سورة الحجر - الآية ٦.

(٢) سورة الأنبياء - الآية ٣٦.

(٣) سورة الفرقان - الآية ٤١.

(٤) سورة غافر - الآية ٥.

● فأياها الداعي العظيم إذا لم يعرف لك المدعو حقك، فاعرف له حقه، واطلب
حقك من الله ﷻ، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * هُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا
تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١).

● الداعي إلى الله ﷻ يتعرض للأحوال من جهة البشر: (ضرب.. شتم..
سب.. طرد.. تخويف.. قتل) أحوال شتى للتربية، لأنه من أين يأتي: ﴿خُذِ
الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (٢).

● المعلم يأخذ عزته بحق ويؤجر (عزة شرعية)، ولكن ليس بصاحب الحظ
العظيم.. أما صاحب الحظ العظيم، فهو الداعي إلى الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ
أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلَا
تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ
كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾
(٣).

● جهد العلم على العقل، حتى يتنور العقل.. وجهد الدعوة على القلب حتى
يتنور القلب.. والمطلوب أولا إصلاح القلب بالدعوة.

(١) سورة يونس - الآيات من ٦٢ : ٦٥.

(٢) سورة لقمان - الآية ١٣ . سورة الأعراف - الآية ١٩٩ .

(٣) سورة فصلت - الآيات من ٣٣ : ٣٥ .

- التعليم جهد علي العقل لأن العقول متنوعة، ولذا حاجاتها مختلفة.. أما جهد الدعوة علي القلب ومتكرر لأن حاجة القلوب متماثلة.
- الدعوة لتوضيح الواضح.. والفتوى لتوضيح الغامض.
- قوة المعلم بالمعلومات، وقوة الداعي بالصفات التي تجذب الناس: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (١).
- وقال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٢) وما قال إنا وجدناه عالما، مع أن الأنبياء هم أعلم الناس، فمدحه بصفة الصبر.
- طالب علم راغب عنده قيام ليل وأحيانا معلمه ليس عنده قيام الليل، ففي قصة الأخدود: قال المعلم الراهب لتلميذه الغلام: أي نبي أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى! وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علي (٣) عندما اشتغل بالدعوة أصبح أفضل من معلمه، وبعد الدعوة تأتي المشاق علي الداعي (وإنك ستبتلى).
- في جهد الدعوة: ترغيب وترهيب.. إكرام.. دعاء بالليل.
- وفي جهد التعليم: المعلومات تتغير من يوم إلي يوم، ومنهاج التعليم يتغير ويتنوع.. أما منهاج الدعوة ثابت لا يتغير: قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ (١)، وقال

(١) سورة القلم – الآية ٤.

(٢) سورة ص – الآية ٤٤.

(٣) جزء من حديث رواه مسلم (كتاب رياض – الصالحين باب الصبر).

(١) سورة الأعراف – الآية ١٩٩.

تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْخُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ (٤)، وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (٥)، كل الآيات في الدعوة تأمر بالصبر (منهاج ثابت) .

● سيدنا نوح عليه السلام ظل يقول لقومه من أول يوم حتي هلاكهم: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ (٦)، لأن الجهد علي القلب ما يختلف أبدا.. البسمة سلاح كل داعي.

● صاحب يسن دعا إلي الله ﷻ وما قرأ آية ولا حديث.. لو كان أبو هريرة في مكة ما كان يتثنى له أن يروي حديثا واحدا.. ثروة الحديث النبوي، في ميدان التعليم بالمسجد النبوي.

● في التعليم يلزمنا ثروة الأحاديث.. وفي الدعوة يلزمنا أن نقوم بالخدمة

-
- (١) سورة النحل - الآية ١٢٧ .
 (٢) سورة طه - الآية ١٣٠ .
 (٣) سورة ص - الآية ١٧ .
 (٤) سورة ق - الآية ٣٩ .
 (٥) سورة المزمل - الآية ١٠ .
 (٦) سورة المزمل - الآية ١٠ .

والصفات والأخلاق الحسنة.. والذي لا يعرف قدرك اعرف قدره.. والذي لم يعطك حَقَّك فأعطه حقه واطلب حَقَّك من الله ﷻ (تكن داعيا).

● ليس في التعليم عواطف .. أما في الدعوة هموم ومشاعر وأحزان ودعاء ومتابعة علي الدوام.

● التعليم فيه شخصيتان: (معلم ، طالب علم) فالداعي يأخذ صفات الطالب وليس المعلم ، مثل: التودد والتواضع للمدعو، فيتودد لكل الناس بشتى الصور.

● كلام الدعوة يحتاجه الداعي والمدعو، أما المعلم فإنه لا يحتاج إلي علمه عكس الطالب.. ولكن الداعي يحتاج إلي كل كلمة يقولها.

● في التعليم لا ينشغل المعلم بالطالب.. وفي الدعوة ينشغل الداعي بالمدعو، حتى يمرنه علي القيام بالأعمال في جميع الأحوال.

● المعلم لا يفرض التعليم علي كل الناس، ولكنه مثل الصيدلي يصرف الدواء حسب طلب المريض.

● كل التعليمات في المدرسة للطالب، وليست للمعلم.. أما كل التعليمات في القرآن للداعي إلي الله ﷻ حتى يثبت علي دعوتهم أمام المشاكل التي تواجهه في الداخل والخارج.

● جهد التعليم : جهد خاص (مفتي .. مفسر... مجود) وهذه مواهب ليست متوفرة في كل الناس، ولذلك هي فرد كفاية (تعلم علم المسائل).

- جهد الدعوة: جهد الأمة كلها، فهو ميسر - للجميع، كل إنسان يُصبح داعية بأخلاقه وصفاته.
- تكون داعية كبيرا بالهمة، وتكون معلما كبيرا بالفطنة والكياسة والموهبة.
- فالأمة كلها مؤهلة للدعوة، وليست مؤهلة كلها للتعليم.
- يستطيع الإنسان أن يُصبح داعيا مثاليا بالفطرة، مثل صاحب يسن دعا بفطرته بدون أن يعلمه أو يوجهه أحد.. فالدعوة جهد فطري، والتعليم جهد كسبي.
- تأمل في سورة القمر تجد أن التيسير جاء بعد قصص الدعوة، وما جاء بعد التعلم، بعد ذكر قوم نوح: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (١) وبعد ذكر قوم عاد: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا﴾، وبعد ذكر قوم ثمود: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا﴾، وبعد ذكر قوم لوط: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا﴾، فقد يسر الله ﷻ الدعوة وفقه الدعوة.

الفرق

بين مؤمن يسن ومؤمن آل فرعون

• أن مؤمن يسن، قال لقومه: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (١) وما قال: (اتبعوني) لأنه مسلم جديد أسلم حديثاً، فليس عنده علم ولا منهج ولا بيئة، ولكن عنده دلالة علي غيره.

• أما مؤمن آل فرعون، فإنه مؤمن قديم، ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ * مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْشِىَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ * لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ * فَسْتَذَكِّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٢). ولذا قال: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ

(١) سورة يسن - الآية ٢٠.

(٢) سورة غافر - الآيات من ٣٨ : ٤٤.

كَذَابٌ ﴿١﴾.

● وأما مؤمن يسن : سجله الله ﷻ من كبار الدعوة مع قلة معلوماته، قال:

:﴿يَا قَوْمُ﴾ وكذلك الأنبياء تقول:﴿يَا قَوْمُ﴾.

● هناك فاصل زمني بين المعلم والطالب، فالمعلم دائما أكبر من الطالب..

لكن في الدعوة ليس هناك فاصل زمني بين رجل عنده ٤٠ سنة يوجه

الناس للشر ثم بعد الدعوة يهتدي، فيوجه الناس للهداية، فيستوي هو

والقديم الذي سبقه بالدعوة.

● الداعية دائما يتهم نفسه، فهذا كلیم الله موسی ﷺ يقول: ﴿ قَالَ رَبِّ

إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢).

● وهذا نبي الله يونس ﷺ : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُعَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ

نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ

الظَّالِمِينَ ﴾ (٣).

● وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو اللَّهَ غَفْرِي

خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي

(١) سورة غافر - الآية ٢٨.

(٢) سورة القصص - الآية ١٦.

(٣) سورة الأنبياء - الآية ٨٧.

هَزَلِي وَجِدِّي وَخَطَايَايَ وَعَمْدِي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي (١) .

• وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلَّمَنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي قَالَ قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (٢) .

• ليس هناك رسوب في الدعوة.. أما في التعليم يوجد قابلية للرسوب والنجاح.

• كل داعي معلم، وليس كل معلم داعي، ففي الحديث ، عَنْ الْقَاسِمِ ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتُ فِي الْبَحْرِ لَيَصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ. " رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ (٣) ، وكل فضائل التعليم يأخذها الداعية، حتى لو كان قليل العلم.

• الطب علم قضاء الحاجة، ويمكن أن تتعلمه من الكفار.. أما الدعوة علم القيام علي المقصد.

(١) صحيح البخاري _ كتاب الدعوات _ بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ _ رقم الحديث (٦٠٣٦) .

(٢) صحيح البخاري « كتاب الدعوات » بَابُ الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ _ رقم الحديث (٥٩٦٧) ، صحيح مسلم « كِتَابُ الذِّكْرِ وَالِدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ ... » بَابُ اسْتِحْبَابِ خَفْضِ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ _ رقم الحديث (٤٨٨٢) .

(٣) المرجع السابق - كتاب العلم ص ٤٧٩ .

- مهنة الطب ليست لتحقير المريض، ولكن رحمة له.. وليست الدعوة لتحقير الناس وتصنيفهم: هذا فاسق.. هذا مبتدع.. هذا كافر.. بالفطرة: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (١).
- العلماء مثل الذهب النادر.. والدعاة مثل الذهب الشائع.. وكل الأمة ذهب إذا قامت علي الدعوة.
- الداعي لا يطلب منزلة اجتماعية: ﴿وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٢).
- الداعية لا يطلب شهرة في زمانه، بل بعد موته ﴿وَأَجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ (٣) فالداعي الذي يطلب شهرة تسقط دعوته.
- المعلم له احترام الظاهر من الناس.. أما الداعي فربما ينظر إليه أنه أهل: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٤).
- إبليس (عليه لعنة الله) بفساد فطرته ندب نفسه لإفساد البشرية، وما كلفه أحد بذلك، وما سأل عن شرعية عمله.
- وصاحب يسن بجمال فطرته ندب نفسه لهداية البشرية، ما أحد كلفه، وما سأل عن شرعية عمله.. وكذلك الداعي بجمال فطرته يندب نفسه، ويضحى بنفسه وما له ومركزه وجاهه من أجل هداية الخلق.

(١) سورة يسن - الآية ٢٠.

(٢) سورة فصلت - الآية ٣٣.

(٣) سورة الشعراء - الآية ٨٤.

(٤) سورة فصلت - الآية ٣٥.

- الصحابة رضي الله عنهم ما سألوا الرسول ﷺ عن الدعوة أفرض كفاية أم فرض عين، بل دعوا إلى الله ﷻ بجمال فطرتهم.
- من السابق نفهم أنه إذا كانت الدعوة ثقيلة على المسلم، إذا فطرته تحتاج إلى طهارة لأنها ملوثة.. والدعوة الانفرادية تُظهر ذلك.
- إذا جاءت الصفات، تأتي الصفات.. بمعنى: أن الصفات تولد الصفات وتنشأها، فمؤمن يسن تأثر بصفات الدعاة، فأصبح داعية.
- الكفار نظروا إلى دنيا الأنبياء فلم يهتدوا، ولكن لو نظروا إلى صفاتهم لتغير الحال وقبلوا الهداية.
- بساطة الدعوة والداعي جعلت الناس ما يفهمون مقصد الدعوة: ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا * أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ (١).
- الداعي يغزو الدنيا كلها مثل: ربعي بن عامر يقول لرستم قائد الفرس: إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي- إلى موعود الله ﷻ، قالوا: وما موعود الله ؟ قال الجنة لمن مات على قتال من أبى

(١) سورة الفرقان - الآيتان ٧ ، ٨ .

والظفر لمن بقي ..!! (١) .

● الداعي مثل الغواصة تغوص في الماء ولا يدخل فيها الماء، فهو يغوص في أهل الباطل، ولا يدخل فيه الباطل.

● الداعي لا يعبأ بكيفية موته، ولكن كيف يحيا الدين ولو بسبب قطرات دمه، مثل: غلام الأخدود. (٢) .

أهمية علم الفضائل

★ هو أن تعرف مراد الله ﷻ منك في كل وقت.

★ الآن نجد العالم، ولكنه راسب في بر الوالدين، راسب في علاقته بجاره.. فمن هو العالم؟! هو الذي يعرف كيف يُرضى الله ﷻ في كل حال .

★ المرأة التي ذكر لرسول الله ﷺ كثرة صومها وصلاتها بالليل ولكنها تؤذى جيرانها النبي (ﷺ) قال عنها: هي في النار(٣).

★ الدرهم لا بد أن ننظر في أي شيء يوضع.. ماذا فعل سعيد بن عامر في عطاء عمر له ..؟ (٤).. أنفقته على الفقراء.. ادخره لوقت الشدائد.. ونحن الآن عندما تأتي الزيادة في المرتب نوسع في حياتنا الخاصة ولا ندخره لآخرتنا .

(١) البداية والنهاية لابن كثير.

(٢) من كتاب الأنوار النعمانية بقلم المؤلف _ الجزء الأول.

(٣) انظر الترغيب والترهيب - المنذري - ٣ / ٣٥٦ .

(٤) اقرأ قصة سعيد بن عامر في باب القدوة من هذا الكتاب .

★ لما جاء السائل لسيدنا عثمان ووجد الخلاف على زيت اللبنة وترك بيت عثمان ورجع لكن كيف عطاء عثمان له .

★ بسبب العلم ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (١) فهم يعرفون ماذا يُقدم وماذا يُؤخر .

★ عَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ قَالَ: كُنَّا بِمَدِينَةِ الرُّومِ فَأَخْرَجُوا إِلَيْنَا صَفًّا عَظِيمًا مِنَ الرُّومِ، فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صَفِّ الرُّومِ حَتَّى دَخَلَ فِيهِمْ، فَصَاحَ النَّاسُ وَقَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ! يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ! فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَتَأَوَّلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ هَذَا التَّأْوِيلَ، وَإِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِيْنَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، لَمَّا أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ، وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ سِرًّا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ الْإِسْلَامَ، وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَلَوْ أَقْمَنَّا فِي أَمْوَالِنَا فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ (يُرِدُّ عَلَيْنَا مَا قُلْنَا) وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) فَكَانَتْ التَّهْلُكَةُ الْإِقَامَةُ عَلَى الْأَمْوَالِ وَإِصْلَاحُهَا، وَتَرَكْنَا الْغَزْوَ. فَلَمْ يَزَلْ أَبُو أَيُّوبَ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى دُفِنَ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ. رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة".

★ الحركة على المعاش مقدمة .. صحيح ما ينفقه على عياله ولكن لو يطغى على مقصود حياتك، فيصبح مالك وولدك وزوجك عدو لك .. فانتبه !!.

★ الذين لم يخرجوا إلى تبوك وهم ثلاثة من أربعين ألف.. تاب الله ﷻ عليهم بعد خمسين يوم مشقة واعتزلهم الناس من أول يوم.. ويأتيهم الأمر باعتزال النساء بعد ذلك.. فالتاب عليهم من أي شيء؟! (١).

★ فالجولة دين.. وقراءة القرآن الكريم دين.. ولكن دين أعلى من دين.. ودين مقدم على دين.. فأنت تجلس مع أولادك دين.. ثم يجيء الضيف.. عندئذ تقوم تستقبل الضيف لأنه دين أعلى من دين.. وأنت مع الضيف سمعت عن حريق.. تقوم على الفور مع الضيف لإنقاذ الملهوف.. لأنه دين مقدم على دين.. لكل وقت عمل..!!

★ سيدنا أسامة رضي الله عنه عنده بستان نخل وأمه اشتت الجمار.. فقطع أحسن نخلة.. إنه يعرف كيف يشتري رضا الله ﷻ، فعن محمد بن سيرين، قال: بَلَغَتِ النَّخْلَةُ عَلَى عَهْدِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ، فَعَمَدَ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ إِلَى نَخْلَةٍ فَفَرَّهَا، وَأَخْرَجَ جُمَارَهَا فَأَطْعَمَهَا أُمَّهُ، فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟ وَأَنْتَ تَرَى النَّخْلَةَ قَدْ بَلَغَتْ أَلْفًا، فَقَالَ: "إِنَّ أُمَّي سَأَلْتَنِيهِ، وَلَا تَسْأَلْنِي شَيْئًا أَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهَا" (٢).

(١) انظر رياض الصالحين - باب التوبة .

(٢) المستدرک علی الصحیحین « کِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ... » وَمِنْ مَنَاقِبِ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ... « ذَكَرُ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ بِنِ حَارِثَةَ حَبَّ ... رَقْمُ الْحَدِيثِ: ٦٥٦٢، المعجم الكبير للطبراني » بَابُ : الألف « مَنْ اسْمُهُ أَسَامَةُ » أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ بِنِ حَارِثَةَ حَبَّ رَسُولٍ (٣٧٤).

★ جاء للجولة .. هل قام بالأعمال .. بالذكر ، بقيام الليل ..؟! ..
 ★ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ كَانَ رَجُلٌ لَا أَعْلَمُ رَجُلًا أَبْعَدَ مِنَ الْمَسْجِدِ مِنْهُ وَكَانَ لَا تُحْطِئُهُ صَلَاةٌ قَالَ فَقِيلَ لَهُ أَوْ قُلْتُ لَهُ لَوْ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا تَرْكَبُهُ فِي الظَّلَمَاءِ وَفِي الرَّمَضَاءِ قَالَ مَا يَسُرُّنِي أَنْ مَنَزِلِي إِلَى جَنْبِ الْمَسْجِدِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ " (١) .. هذا علمه !!!..

★ وَعَنْ عَطَاءٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّهُ كَانَ مُعْتَكِفًا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ : يَا فُلَانُ أَرَأَيْكَ مُكْتَبِبًا حَزِينًا ، قَالَ : نَعَمْ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ لِفُلَانٍ عَلَيَّ حَقٌّ ، لَا وَحُرْمَةِ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ مَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَفَلَا أَكَلَّمُهُ فِيكَ ، قَالَ : إِنْ أَحْبَبْتَ ، قَالَ : فَانْتَعَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : أَنْسَيْتَ مَا كُنْتَ فِيهِ ، قَالَ : لَا وَلَكِنِّي سَمِعْتُ صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْعَهْدُ بِهِ قَرِيبٌ فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ ، وَهُوَ يَقُولُ : " مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ وَبَلَغَ فِيهَا كَانَ خَيْرًا مِنْ اعْتِكَافِ عَشْرِ سِنِينَ ، وَمَنْ اعْتَكَفَ يَوْمًا ابْتِغَاءً وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ ثَلَاثَ خَنَادِقٍ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ . " (٢) . هذا علمه .

(١) صحيح مسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد - رقم ٦٦٣ .

(٢) حياة الصحابة - المشي في حاجة المسلم - ٢ / ٤٢٢ .

★ يقول الشيخ / طه عبد الستار: علم الفضائل ثابت في أذهانهم.. فكانوا علماء بنسبة مراد ربهم (١) .

كلمة العلامة الشيخ/ محمد يوسف الكاندهلوي

في حفل ختم صحيح البخاري

★ ألقى الشيخ يوسف (رحمه الله) كلمة في حفل أقيم لختم صحيح البخاري في إحدى المدارس، فقال: أيها الأخوة ختمتم صحيح البخاري، وحصلتم ما فيه من العلم، وعليكم الآن أن تجتهدوا على هذا العلم لأهداف ثلاثة:

- ١ _ إيجاد اليقين في نفوسكم حسب هذا العلم.
 - ٢ _ العمل طبقاً لهذا العلم.
 - ٣ _ نشر هذا العلم والعمل به في العالم كله.
- وقد بذل الجهد على العلم الذي جاء به محمد ﷺ للأهداف الثلاثة المذكورة في العصر الأول، فتغيرت خريطة العمل، واندثرت قوى الروم والفرس، وأصبحت حديث الماضي، وفي الزمن الآخر يتظاهر الدجال بقوته وسطوته، لا تقدر القوى الموجودة في العالم على مواجهتها، ولا تجعل أي وزن أمامها، فيظهر المهدي عليه السلام من الأرض، وينزل عيسى عليه السلام من السماء، وكلاهما يتبع طريقة محمد ﷺ، اتباعاً كاملاً، لا يحيد عنها قيد شعرة، ويجتهد ويجاهد

(١) انتهى من كتاب كلمات مضيئة للمؤلف .

حسب هذا العلم، فيهلك الله تعالى الدجال، ويقضي عليه، فإذا حدث ذلك الماضي وهي حقيقة لا تنكر، وسيحدث في المستقبل، وهو أمر حتمي، فكيف لا يمكن أن يحدث ذلك بين العصرين، فإن الجهد حسب هذا العلم يستطيع أن يحقق اليوم ما حققه بالأمس (١).

أهمية العلم والذكر

كتب الشيخ محمد يوسف (رحمه الله) في إحدى رسائله: إن العلم والذكر ساعدا هذا العمل، وكل نقص يحدث في هذين العنصرين، يؤدي إلى خلل في عمل الدعوة.

وكل عنصر من هذين العنصرين له أهمية وتأثير ودور في محله، ولا بد منه. ونحن في تقوية هذين العنصرين وتعزيزهما وتنميتها نحتاج إلى مراكز العلم ومراكز التربية النفسية، وإلى العلماء والصلحاء في كل وقت، لأنهم قدوة لنا وأسوة في هذين العنصرين، لأنهم يحملون علم النبوة، ويتحلون بجواهر النبوة، ويحملون هذا الكنز الثمين، ولا نستطيع أن نؤدي حق هذين العنصرين ونؤدي ما يعود إلينا من واجب، إلا إذا قمنا بواجبنا من التقدير والاحترام، والتبجيل والاكرام إزاءهم، ونخدمهم خدمة تليق بمكانتهم، ونعتبر سحبتهم والاستفادة من معارفهم وسيلة للصلاح، والعفاف والتقوى، ولذلك نعتبر من

(١) الأمراء الثلاثة (إلياس، يوسف، إنعام الحسن) الجزء الثاني بقلم المؤلف.

أهم مبادئ التبليغ زيارة العلماء والمشايخ والتماس دعواتهم، وإطلاعهم على نشاطات الدعوة والاستشارة منهم، والعمل برأيهم (١).

ويقول العلامة الشيخ أبو الحسن على الحسنى الندوي - رحمه الله - :
لقد تكررت مرارا وتكرارا كلمتا (العلم والذكر) في مبادئ تلك الحركة وأركانها، حيث اختارها الشيخ محمد إلياس كمبدأ من مبادئ دعوته لجميع المسلمين، ولكنه كان يقصد بهاذين الاصطلاحين معان خاصة، وبالذات عندما يهدف إلى عمومية التعليم في الأمة جمعاء ، حيث إنه واجب على كل مسلم ومسلمة .

ونظراً لأهمية (العلم والذكر) في دعوة الشيخ محمد إلياس الإصلاحية لإحياء الدين كله، فإننا نحتاج إلى شرح منهجه - رحمه الله - فيها، حتى يتبين لنا الهدف الأساسي له في اختيار هذه الصفة - صفة العلم والذكر - كصفة أساسية هامة لإصلاح النفس أولاً ثم لإصلاح المجتمع بأسره .

لقد عُرفت في الهند وفي العالم الإسلامي المعاني الاصطلاحية الخاصة بالذكر والعلم حيث نالتا المعرفة والشهرة في الأمة كلها، وذلك حيث خصصت للذكر كلمة (الأوراد) و (الأحزاب) و (الأدعية) و (الابتهالات) وغيرها مما هو معروف في هذا المجال ويعرفه العامة والخاصة، وكتب فيها كثيرون من علماء الدين، وغيرهم من مشايخ التربية والسلوك، وحدد كل واحد مسلكه في

(١) الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (حياته ومنهجه في الدعوة) ص ٥٤٨ تأليف الشيخ محمد الثاني الحسنى.

ذلك طبقا لقدرة فهمه في هذا المضمار، وفتح مركزا لنشر ما اختاره من الأوراد المسنونة أو ما حدد صيغتها وأساليب القيام بأدائها .
وكذلك فقد ألقت كتب خاصة للعلم وأنشأت مدارس ذات نظم خاصة يحتاج الإنسان للتعليم فيها إلى عدة سنوات .

وبذلك كله ضاقت دائرة الذكر، وانحصرت في مراكز التربية والسلوك الخاصة لها، كما ضاقت دائرة العلم، حيث انحصرت في المدارس والجامعات والمراكز العلمية، وبسبب استمرار هذه الظاهرة اعتقد العامة أن الحصول على العلم الصحيح أو الوصول إلى حقيقة الذكر الصحيح أصبح أمرا مستحيلا دون اللجوء إلى تلك المراكز، والخضوع الكامل لنظامها !!!

ومما لاشك فيه أنه لا يمكن فتح المدارس والمعاهد لجميع أفراد الأمة - كبارها وصغارها ، ذكورها وإناثها - كما لا يمكن للجميع أن يتفرغ كل واحد للالتحاق بتلك المدارس ويقضى المدة الطويلة من العمر فيها ! .

ورغم استحالة هذه الأمور، نرى أن فرضية الإسلام قائمة ودائمة في حكمها، والإسلام مُصر على أن يجعل المجتمع الإسلامي متعلما مثقفا، ورافضا لجميع الأمور التي تؤدي بالمسلمين إلى الجهل، أو الاغتراب عن العلم المفيد والعمل الصالح أو تبعدهم عن الله ورسوله ، فكيف السبيل إذن إلى تحقيق هذا الأمر؟ .

لقد عجزت جميع أجهزة التعليم الوضعية في تحقيق الهدف المنشود الحقيقي من التعليم والتعلم، بل أدت إلى الابتعاد عن الدين الحنيف، واستبعاد

الشعوب المسلمة للثقافة الغربية، حتى جندت أفرادها لمحاربة الإسلام ومن يقوم بنشر تعاليمه !.

ولم يكتف أنصار أعداء عمومية التعليم على ذلك، بل قاموا بإحداث نظام جديد - نظام ثنائية التعليم - (تعليم العلوم المادية وتعليم العلوم الدينية) ثم قاموا ببذل جميع الجهود في نشر التعاليم التي تؤدي إلى عبادة المادة وعداء الدين، كما قاموا بكل الوسائل والأساليب للقضاء على معنويات المراكز الدينية وتدميرها نهائياً .

هذه هي الأسباب الرئيسية التي وجهت علماء المسلمين إلى التفكير العميق لإنقاذ الأمة الإسلامية من غياهب الجهل والفساد، فقدم كل واحد منهم في مواجهة هذا التيار المدمر، ونجح من نجح منهم في الوصول إلى هدفه المنشود بقدر جهوده، وفاز من فاز في تحقيق أمانيه حسب خطته المطروحة وإمكانياته المحدودة، وفشل من فشل منهم، ولكن النتيجة النهائية كانت مؤسفة وغير مطمئنة، حيث ازدادت الفجوة بين الدين وأصحابه، وحدثت الثغرات الهائلة بين القول والعمل، وبقيت الدعايات الكاذبة، وانعدمت الجدية أو تغيرت المبادئ من أساسها، واختلفت الأهداف في جوهرها، فكثر الجهل وعم البلاء في البر والبحر .

ومن هنا نرى أهمية منهج الشيخ محمد إلياس رحمه الله في عمومية التعليم وأهمية التمسك بمبدأ (الذكر) واستمراره مع (التعليم والتعلم) ، وقد

أحدث الشيخ محمد إلياس انقلابا جزريا في إحياء هاتين الصفتين - العلم والذكر - حيث أعلن على الملأ أن التعليم للجميع وأقام مراكز صغيرة مستقرة متجولة ومتحولة دائمة متواجدة في كل مكان ، معتقدا بأن المراكز العلمية والتربوية العالية - يقصد بها المدارس والجامعات الدينية وغيرها - هي معاهد لاكتمال العلوم وتخصصاتها، والتي يستفيد منها خواص الأمة ذو الهمم العالية، فمن كان له رغبة في الحصول على علوم الدين فليجرد نفسه له ويلتحق بتلك المراكز كي يترقى في المراحل التعليمية أو التربوية، حتى يصل إلى الدرجات العالية من اكتمال الدراسة والتخصص، فيحصل على الشهادة العلمية، أو ينال شهادة المشيخة في الدعوة والإرشاد وعقد حلقات العلم وغيرها من الدرجات العالية في العلوم والتربية والإرشاد، أو يلتحق بالمدارس الحكومية وجامعاتها، ويحصل على الشهادات العالية في العلوم الطبيعية وغيرها .

ولكن لا يمكن القول بأن هذه الطرق والأساليب الخاصة تكفي وحدها لتعليم وتربية جميع أفراد الأمة، بل الحقيقة الواضحة أنها ليست لتعليم العامة من الأساس ، فنرى - مثلا - أن الأوساط التجارية وأصحاب الأعمال الشاقة والموظفين في جميع القطاعات العامة منها والخاصة، وأصحاب السلك الدبلوماسي وغيرهم من مختلف المستويات والأوساط لا يستطيعون الوصول إلى المدارس الدينية والجامعات الإسلامية، إذ أنها تختلف كل الاختلاف في

مبادئها وأساليبها ومناهجها وأهدافها في مجال عمومية التعليم، أو ما يسمعه الناس من شعار (التعليم للجميع) .

فلا يمكن لجميع أفراد الأمة الانتفاع بتلك المدارس الخاصة في وقت قليل ، حيث تحتاج المناهج التعليمية المعاصرة إلى وقت غير قصير .

وإذا افترضنا أن تلك المدارس والمعاهد استطاعت بإبداع مناهج قصيرة لجميع أفراد الأمة، يستحيل أن تسمح إمكانياتها المحدودة توفير جميع ما يحتاج أفراد الأمة في هذا المجال .

كما لن تتسع مبانيها ومساحاتها للقيام بتلك الأعمال الجبارة التي يحتاج إليها كل من يتنفس على وجه الأرض .

فهل يمكن الوصول إلى المقاصد السامية، أو الانتفاع بثمراتها على المستوى العام والشامل تحت ظل هذه المراكز العلمية والتربوية ، وفي وقت قصير ؟ .

إذ نرى السواد الأعظم من الأمة محرومين من هذين الركنين العظيمين الأساسيين (العلم والذكر) في حياتهم.. ولا يمكن التخلي عنهما بحال من الأحوال ، مهما تطور الزمن وتغيرت الظروف .

وبناء على ذلك نقول إن طريق الحصول على التعليم الصحيح والذكر الحقيقي لجميع أفراد الأمة ما هو إلا نفس الطريق الأصلي الفطري الذي كان في القرن الأول من الإسلام .

ويقول العلامة السنيغ / أبو الحسن علي الحسيني النوري (رحمه الله) : إن الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) قد درس المنهج الفطري الذي اختير في الصدور الأولى من الإسلام بعناية تامة، واستمر في ذلك حتى آخر لحظات حياته، حيث عندما عجز عن القراءة والكتابة وصعب عليه الاستمرار في قراءة أحوال الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، بدأ يتابع الاستماع من الآخرين بالمواظبة اليومية .

وقد أمر الشيخ محمد إلياس ابن أخيه، العلامة المحدث الشيخ محمد زكريا بن محمد يحيى بن محمد إسماعيل، بتأليف كتاب يجمع فيه سير الصحابة وأحوالهم، فقام الشيخ محمد زكريا بتأليف كتاب سماه (حكايات الصحابة) والذي طبع في أكثر من عشر لغات محلية وعالمية، وصار مرجعا لأصحاب الدعوة والتبليغ في البلاد الإسلامية، ومع أن الكتاب كان فريدا في موضوعه ومفيدا جدا في مجاله، ولكن لم يشف غليل الشيخ محمد إلياس، فأمر الشيخ محمد إلياس ابنه الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي بتأجيل تأليف كتاب (أماني الأحبار) والقيام بتأليف جديد في (حياة الصحابة) يجمع فيه جهودهم الجبارة التي بذلوها في شتى مجالات الدعوة والتبليغ ، بترتيب موضوعي نادر وفريد، مع ذكر الأساليب التي اختيرت في عصرهم المبارك، والوسائل التي استخدمت، والشدائد التي احتملت في سبيل نشر التعاليم الإلهية ، بالإضافة إلى وصف زهدهم وتقواهم، وانهماكهم في (ذكر الله)، وكيف كانوا (يذكرون)

اللَّهُ قَيَّامًا وَقُعودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ) في السراء والضراء، وكيف كانوا (يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) مقرين لله تعالى بقوله: { رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا }، مستغفرين الله بقوله: { سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } (١).

وقد جاء كتاب الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي في ثلاثة مجلدات، وسماه (حياة الصحابة)، وقد ترجم هذا الكتاب إلى عدة لغات محلية وعالمية.

ألا يدل كل ذلك على مدى رغبة الشيخ محمد إلياس وعنايته الخاصة بحياة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، والاستنتاج السليم من أعمالهم الطيبة وخبراتهم الجليلة في مجال التربية والتعليم وإصلاح مسيرة البشرية ومصيرها ؟ هذه هي الأسباب الحقيقية الثابتة التي جعلت الشيخ محمد إلياس يدرك تماما أنه لا يمكن الوصول إلى السعادة الكاملة إلا باتباع منهج الأنبياء والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

ومن هنا قام الشيخ محمد إلياس يؤكد للجميع أن البشرية لم تعرف طرق السعادة الكاملة إلا من حياة أصحاب الرسول ﷺ حيث تخرجوا على يد أستاذ البشرية جمعاء حاملين شهادة المنهج الفطري المطابق للغريزة البشرية ، الذي تقبله الفطرة وتميل إليه الجبلية .

ويقول الشيخ أبو الحسن الندوي: إن الشيخ محمد إلياس بلغ القمة في دراسة حياة الصحابة وسيرتهم وأخلاقهم وخصائصهم وميزاتهم . كما درس

(١) سورة البقرة - الآية ١٩١ .

وتعمق في كل المناحي المختلفة من حياتهم بدقة بالغة، وما رأيت أحدا مثله في هذا المجال إلى يومنا هذا، حيث كان كل همه وفكره هو إحياء منهج الصحابة رضوان الله عليهم للإصلاح في جميع مجالات الحياة وخاصة في (التعليم والذكر) .

ويقول الشيخ أبو الحسن الندوي (رحمه الله) : قد نجح الشيخ محمد إلياس في اختيار أساليب جديدة تؤدي إلى نفس النتائج المنشودة التي كانت من الأهداف الأساسية في دعوة الصحابة لتعليم الدين، حيث اعتقد بأنه لاشك أن (الكتب والمدارس) هي الأساس المعاصر للتعرف على العلوم الدينية والمادية، ولكن تحديد هذا الإطار المنهجي المدرسي المعاصر للتعرف على الدين، دون غيره أمر باطل، لأن هذا التحديد المرحلي المنهجي الوضعي في المدارس والمعاهد الدينية، ليس إلا اختراع القرون المتأخرة، يتغير ويتبدل طبقا لظروف كل زمان ومكان، ولا يضمن تحديده وتغييره الاستفادة المطلوبة في هذا المجال، فالخسر على ذلك دون غيره جعل معظم أفراد الأمة وطبقاتها محرومة من التعليم الأساسي، ومما لاشك فيه أن القلة القليلة استفادت وتمتعت بتلك النظم التعليمية الحديثة في المناهج النظرية والعقلية والنقلية.

ولكنها لم تمس المنهج العام الشامل الذي يمكن به تغطية كل ما يحتاج إليه كل مسلم ومسلمة .

فطريقة التعليم الأساسي للدين الحنيف التي يمكن الاستفادة بها لجميع أفراد الأمة على حد سواء، في وقت قصير، ودون معدات وأجهزة تتكلف البلايين

من النقود، هي الطريقة الفطرية التي استخدمها جميع الأنبياء مع المؤمنين بهم، واختارها النبي ﷺ لتعليم أصحابه، وهى الطريقة المثلى التي يمكن بها تعليم مبادئ الدين الحنيف ومقتضياتها الحقيقية .

وتلخص هذه الطريقة في أن يترك الإنسان أشغاله المادية لمدة قصيرة، ميسرة، محدودة ومعينة، ويبتعد عن كل ما حوله، ويتفرغ تفرغا كاملا في سبيل الحصول على معرفة أساس الدين الذي أوجبه الله عليه، ويختار الجو الذي يحيطه العلم والعمل ببساطة تامة، حيث يرافق فيها الناس الصالحين الذين اجتمعوا لنفس الهدف، ويشرف عليهم أصحاب العلم المتعلمين المتحلين بالزهد والورع والإخلاص، المتدربين في هذا المجال، وتكون هذه الصحبة والاختلاط والاجتماع، وبذل كل الجهود الممكنة والسعي إلى فهم الدين الحنيف ثم العمل به مباشرة، وعليه ألا يلتفت إلى أي شيء يصرفه - في تلك المدة - إلى غير ما هو فيه حتى يتمها، ويرجع إلى اهله حاملا ثروة قيمة من المعلومات الدينية النظرية الصحيحة، والنماذج العملية المفيدة، ويقوم بتعليمهم ما تعلم في هذه الفترة .

ومن المعلوم بداهة أن الإنسان إذا أراد تعلم لغة شعب من الشعوب، أو التعرف على ثقافته وتقاليده، فعليه اختيار صحبة علماء اللغة المدربين من أهلها، حتى يتمتع بالاختلاط والاحتكاك بهم بصورة طبيعية وفي مدة قصيرة.

هذا هو الطريق الذي نوضحه في مجال (عمومية تعليم الدين) لأن هناك بعض الأمور في ذلك التعليم الفطري وفروعه ومناحيه لا يمكن أن نكونها بمداد القلم،

لأنها أشكال وأحاسيس يتلقاها الإنسان مباشرة برؤيته ومشاعره وأحاسيسه الوجدانية ويفهمها في أقل وقت ممكن .

وبناء على ذلك فقد اعتقد الشيخ محمد إلياس رحمه الله بأن الدين روح متحركة وأن نقوش الكتب متجمدة، وحصول المتحرك من الجامد فقط ، مخالف لقانون الفطرة، فلزم التعليم الفطري المباشر مع التدريب العملي لوضع الأساس القيم، بالإضافة إلى الاستفادة بالكتب الأساسية في هذا المجال، ثم التدرج إلى الأعلى حسب المقدرة والتوفيق .

فالدين له أجزاء بعضها يتعلق بالقلب وبعضها بالجوارح والبعض الآخر يتعلق بالذهن فقط، فالأجزاء التي تتعلق بالجوارح لا تتم إلا بحركة الجوارح، وأمور القلب تنتقل من القلب إلى القلب، أما الأمور التي تتعلق بالذهن فلا شك أنها لا تُفهم إلا بقراءة الكتب أو الاستماع إليها .

ويقول الشيخ إلياس (رحمه الله): يختص كل عضو من أعضاء الجسد الإنساني بوظيفة خاصة، فالعين وظيفه النظر وهي مجبولة عليها ولا يمكن أن يستخدمها الإنسان للسمع، وكذلك الإحساس بما يجري خارج الإنسان هو وظيفة القلب .

أما وظيفة العقل هو تكوين ما يشعر به القلب، فالعقل تابع للقلب وإحساس القلب يتولد مما حوله من الأحوال والظروف، وتكوين الذهن يطلق عليه (العلم) ولا يمكن صحة هذا التكوين - أي حصول العلم الصحيح للعقل - إلا إذا صح إحساس القلب الذي لا يتولد بالكتب

الجامدة، بل يكون بالعلم بمعنى الكلمة، وأنا لا أعنى بذلك قطعاً أن تُغلق أو تُغفل المدارس والجامعات، فإنها لتكميل مراجعة العلوم وتخصصاتها، ولكن تلك المدارس والجامعات لا تفي بحاجة كافة الناس في مجال التعليم الأساسي الذي يجب على كل مسلم ومسلمة .

وجملة القول أن كل واحد من أفراد الأمة يحتاج إلى تحصيل ما فرضه الله عليه (من العلم) لأنه من المستحيل أن نجد أحداً لا يرغب في الوصول إلى السعادة الأبدية، كما لا نجد أحداً يتمنى الخلود في النار، بل كلنا يريد رضا الله سبحانه وتعالى، ولا يمكن الوصول إلى هذا الهدف إلا باتباع أوامر الله سبحانه وتعالى وأول الأمر بعد الإيمان هو التعرف على أساس الدين علماً وعملاً، ولن يتحقق ذلك إلا إذا تمسكنا بالمنهج الفطري المباشر في التعليم والتدريب العملي الذي يشتمل على أبسط الطرق الممكنة في المجالين: التعليم النظري، والتدريب العملي، دون الإهمال في واحد منهما، فمثلاً لو قرأ الإنسان علم السباحة أو لعب كرة القدم عشرين عاماً، ولم يتدرب في الإستاد الرياضي المخصص لذلك ولم يتمرن مع الآخرين في الميدان، أو لم ينزل الماء طوال حياته، فهل يتساوى مع من تدربوا عملياً على يد المتخصصين في لعب الكرة أو السباحة ؟.

إن الإنسان العادي لا يحتاج إلى قراءة المطولات في العلوم التي تبدأ وتنتهي بالمراحل الدراسية المحددة، لأنه ليس في حاجة إلى قراءة كتاب الكشف - في تفسير القرآن الكريم - أو التفسير الكبير أو الصحاح الستة في الحديث ليتبحر

في أصول الحديث، أو علوم الفقه أو المنطق أو علم الكلام أو غيرها من العلوم التي يحتاجها طلاب العقيدة والفلسفة، وكيف ذلك للإنسان العادي، حيث يصعب عليه ترك أشغاله لمدة قصيرة للحصول على ما وجب عليه من أمور الدين، وما الدافع الذي يجبره على قراءة تلك العلوم العالية ودراستها؟.

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي (رحمه الله): إن المنهج الذي قدمه الشيخ محمد إلياس في مجال (عمومية التعليم) له مكانة علمية خاصة، لا يمكن أن يرفضه أحد، وذلك لما قدمه الشيخ محمد إلياس من الاستدلالات العلمية البحتة، وأكد إفادته العلمية والدينية والاجتماعية بالوقائع الثابتة التي ذكرها من الصدر الأول للإسلام، كما استدل على فشل المتأخرين في الآونة الأخيرة نظرا لحاجتهم إلى بدء هذا الطريق الفطري من جديد حتى يصلوا إلى طريق السعادة، وينقذوا المجتمعات الإسلامية من الهلاك.

ويقول الشيخ أبو الحسن الندوي: إن الدراسة العميقة في هذا المجال العلمي، والتي بذل فيها الشيخ محمد إلياس جهوده، يجب أن يجعلها الدارسون وأهل العلم موضوع النظر والبحث والتحقيق، وأن يأتمر بها أهل العلم وأصحاب الدوائر العلمية، كما أنه يجب على مسئولي المدارس الدينية وأهل المناهج الفكرية دراسة هذا النظام الذي قدمه الشيخ محمد إلياس لعمومية التعليم الديني الذي أحدث ضجة في الأوساط العلمية، بعد تطبيقه وظهور نتائجه المذهلة في بعض مناطق شبه القارة الهندية الباكستانية.

وللأسف الشديد أن مبدأ (العلم والذكر) الذى كان من أهم المبادئ في منهج الشيخ محمد إلياس لم يلتفت إليه إلا القلة القليلة من الأخوة، كما لم يفهم مغزاه إلا البعض من القائمين الدائبين في بذل الجهود في إعلاء كلمة الحق، ولقد بذل الشيخ محمد إلياس أقصى جهوده لحث علماء الدين وحفزههم إلى هذه المهمة الأساسية، والتي استخدم فيها الأدلة العلمية إلى جانب المنطق المعقول فمثلا يقول: لا تنسوا تلك الحقيقة بأن العالم لا يمكن أن يرقى في مجال العلم بغير أن يُبلَّغ ما تعلمه من العلم إلى الآخرين الذين لم يعرفوا شيئا منه بعد، وخاصة الذين ابتعدوا عن العلم وبلغوا درجة الكفر، فإن الإبلاغ هو أصل الحقائق في استكمال علوم الدين، وأن هذا الإبلاغ واجب لمن يصل إلى حدود الكفر، أما الإبلاغ إلى الجهلة فهو علاج للمرض، ومن لا يرحم لا يُرحم.

ويقول الشيخ أبو الحسن الندوي: كان الشيخ محمد إلياس يعلم تمام العلم حقيقة هذا المرض، وكان يقول: بأن لكل زمان فتنة تخص أهله لأسباب شتى، وأن فتنة هذا العصر ومرضه هو القناعة بالحالة الدينية الراهنة، والركون إلى سلامتها، بحيث لا يشعر أحد بحاجته للقيام بالعمل أكثر مما هو فيه، وهو بعيد كلية عن القيام لإحياء سنة العمل وبذل جهوده فيها للآخرين، تلك هي الغفلة التي تسبب عنها البعد عن تعاليم الدين وعدم تعريفه لمعظم أفراد الأمة، إذ نجد الانهماك الشديد للحصول على المادة التي صار الناس غارقين فيها ولم تبق لديهم لمحة واحدة للحصول على معارف الدين الحنيف، وتلك المشاغل

المادية والعلاقات للحصول عليها إنما هي لأرباب من دون الله أصبحت أصناما جديدة لهذا العصر، فلم تترك أحدا يتجه ببصره إلى شيء سواها، ولن تتقبل المؤثرات التي لا تتوافق مع مصالحها.

يقول الشيخ محمد إلیاس: إن العلاقة الروحية بالتعليمات الدينية جزء هام في حياة المسلم، وليس الكسب المادي البحت والمأكّل والجهل من حياة المسلمين المخلصين، ولو كانت هذه الحالة الراهنة هي مطلب الإسلام ومقتضاه لكانت حياة الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - خالية من بذل الجهود في سبيل نشر الدين في أرجاء العالم، وهذا أمر مستحيل أن يكون المؤمن الصادق جاهلا مطلقا، أو عبدا لأهواء النفس الشيطانية، دون اتباع الدين الحنيف، كما لا يمكن أن يكون هدفه الأول والأخير كسب المادة فقط، وكيف يكون المؤمن مؤمنا وهو لا يتفرغ للحصول على أساس الدين الذي يؤمن به، ولا يبذل جهده قدر استطاعته في إبلاغه إلى من لم يبلغه بعد؟ فحياة المسلم لا تخلو من حركة وسعى وجهد عملي في سبيل التمسك بالدين وإبلاغه إلى الآخرين، وهذا لم ولن يتحقق إلا بالعلم والتربية السليمة في هذا المجال.

ثم يقول الشيخ محمد إلیاس: إن حياة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين كانت مشتملة على أربعة أمور أساسية، وهى التعليم، والذكر، والتبليغ لخدمة الدين، وكسب المعاش، أما الآن فقد حلت الرابعة مكان الثلاثة الأول فبقى المعاش والكسب فقط إذ غلبت عليهم مهام المعاش وحاصرهم بحيث لا يتفرغ المسلم إلا لكسب المادة فقط.

نصائح لطلبة العلم

• قال الذهبي (رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى): تَدْرِي مَا الْعِلْمُ النَّافِعُ؟ هُوَ مَا نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ، وَفَسَّرَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَوْلًا وَعَمَلًا، وَلَمْ يَأْتِ نَهْيٌ عَنْهُ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: « مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي » فَعَلَيْكَ يَا أَخِي بِتَدْبِيرِ كِتَابِ اللهِ وَبِإِدْمَانِ النَّظَرِ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَسُنَنِ النَّسَائِيِّ، وَرِيَاضِ النَّوَاوِيِّ وَأَذْكَارِهِ، تُفْلِحُ وَتَنْجَحَ، وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الْفَلَسَفَةِ وَوُضَائِفِ أَهْلِ الرِّيَاضَاتِ، وَجُوعِ الرُّهْبَانِ وَخِطَابِ طَيْشِ رُؤُوسِ أَصْحَابِ الْخَلَوَاتِ فَكُلُّ الْخَيْرِ فِي مُتَابَعَةِ الْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ. فَوَاغُوْثَاهُ بِاللَّهِ، اللَّهُمَّ اهْدِنَا إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ (١).

• قال ابن جماعة (رحمه الله): حُسْنُ النِّيَّةِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ بِأَنْ يَقْصِدَ بِهِ وَجْهَ اللهِ تَعَالَى، وَالْعَمَلُ بِهِ، وَإِحْيَاءُ الشَّرِيعَةِ، وَتَنْوِيرُ قَلْبِهِ، وَتَجَلِّيَةُ بَاطِنِهِ، وَالْقُرْبُ مِنَ اللهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالتَّعَرُّضُ لِمَا أَعَدَّ لِأَهْلِهِ مِنْ رِضْوَانِهِ وَعَظِيمِ فَضْلِهِ (٢).

• قال إبراهيم بن أدهم (رحمه الله): مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ خَالِصًا، يَنْفَعُ بِهِ عِبَادَ اللهِ، وَيَنْفَعُ نَفْسَهُ؛ كَانَ الْخُمُولُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ التَّطَاوُلِ، فَذَلِكَ الَّذِي يَزْدَادُ فِي نَفْسِهِ ذُلًّا، وَفِي الْعِبَادَةِ اجْتِهَادًا، وَمِنْ اللهِ خَوْفًا، وَإِلَيْهِ اشْتِيَاقًا، وَفِي النَّاسِ تَوَاضَعًا، لَا يُبَالِي

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي : ٤٣٠/١٩.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم، للكناني : ص ٦٩ - ٧٠.

عَلَى مَا أَمْسَى وَأَصْبَحَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا (١).

• قال أبو حازم (رحمه الله) : " لَا تَكُونُ عَالِمًا حَتَّى تَكُونَ فِيكَ ثَلَاثَ خِصَالٍ : لَا تَبْغِيَ عَلَى مَنْ فَوْقَكَ ، وَلَا تَحْقِرَ مَنْ دُونَكَ ، وَلَا تَأْخُذَ عَلَى عِلْمِكَ دُنْيَا (٢) .

• قال الإمام الحافظ أبو القاسم بن عساكر - رحمه الله تعالى - :
" إِعْلَمْ يَا أَخِي وَفَقَّنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ لِمَرْضَاتِهِ وَجَعَلَنَا مِمَّنْ يُخْشَاهُ وَيَتَّقِيهِ ، أَنْ لُحُومَ الْعُلَمَاءِ مَسْمُومَةٌ ، وَعَادَةُ اللَّهِ فِي هَتِكَ أَسْتَارِ مُتَفَصِّهِمْ مَعْلُومَةٌ وَأَنْ مَنْ أَطْلَقَ لِسَانَهُ فِي الْعُلَمَاءِ بِالثَّلْبِ بَلَاهُ اللَّهُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِمَوْتِ الْقَلْبِ (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (٣)(٤) .

• عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : " يَا حَمَلَةَ الْعِلْمِ اْعْمَلُوا بِهِ فَإِنَّمَا الْعَالَمُ مِنْ عَمَلٍ بِمَا عِلْمٌ فَوَافَقَ عَمَلُهُ عِلْمُهُ سَيَكُونُ أَقْوَامٌ يَحْمِلُونَ الْعِلْمَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ يُخَالِفُ عِلْمُهُمْ عَمَلُهُمْ ، وَتُخَالَفُ سَرِيرَتُهُمْ عَلَانِيَتُهُمْ يَجْلِسُونَ حَلَقًا حَلَقًا فَيُبَاهِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَغْضَبُ عَلَى جَلِيسِهِ إِذَا جَلَسَ إِلَى غَيْرِهِ وَيَدْعُهُ أَوْلَئِكَ لَا تَصْعَدُ أَعْمَالُهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ " (٥) .

(١) شعب الإيمان، للبيهقي: ٢/٢٨٨.

(٢) شعب الإيمان، للبيهقي: ٢/٢٨٨.

(٣) سورة النور : الآية ٦٣ .

(٤) المجموع، للنووي: ١/٥٨٩.

(٥) مجموعة رسائل الحافظ ابن رجب : ٨٥ .

- قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: "وَإِنَّمَا شَأْنُ الْمُحَدِّثِ الْيَوْمَ
الْإِعْتِنَاءُ بِالذَّوَابِ السَّتَةِ، وَمُسْنَدِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَسَنَنِ الْبَيْهَقِيِّ، وَضَبْطُ مُتُونِهَا
وَأَسَانِيدِهَا، ثُمَّ لَا يَنْتَفِعُ بِذَلِكَ حَتَّى يَتَّقِيَ رَبَّهُ، وَيُدِينَ بِالْحَدِيثِ، فَعَلَى عِلْمِ
الْحَدِيثِ وَعِلْمِئِهِ لِيَبْكُ مَنْ كَانَ بَاكِياً، فَقَدْ عَادَ الْإِسْلَامُ الْمُحْضُ غَرِيباً كَمَا بَدَأَ،
فَلَيْسَعَ امْرُؤٌ فِي فَكَائِكَ رَقَبَتِهِ مِنَ النَّارِ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . ثُمَّ الْعِلْمُ لَيْسَ
هُوَ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ، وَلَكِنَّهُ نُورٌ يَقْدِفُهُ اللَّهُ فِي الْقَلْبِ، وَشَرْطُهُ الْإِتْبَاعُ وَالْفِرَارُ مِنَ
الْهَوَى وَالْإِبْتِدَاعِ، وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ لِبَطَاعَتِهِ (١).
- عَنْ يُونُسَ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ شِهَابٍ: "يَا يُونُسُ! لَا تُكَاِبِرِ الْعِلْمَ، فَإِنَّ
الْعِلْمَ أَوْدِيَّةٌ فَأَتَيْهَا أَخَذْتَ فِيهِ قِطْعَ بِكَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَهُ، وَلَكِنْ خُذْهُ مَعَ الْإِيَّامِ
وَاللَّيَالِي، وَلَا تَأْخُذِ الْعِلْمَ جُمْلَةً، فَإِنَّ مَنْ رَامَ أَخْذَهُ جُمْلَةً ذَهَبَ عَنْهُ جُمْلَةً وَلَكِنْ
الشَّيْءُ بَعْدَ الشَّيْءِ مَعَ اللَّيَالِي وَالْإِيَّامِ (٢).
- عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ النَّضْرِ قَالَ: أَوَّلُ الْعِلْمِ الْإِسْتِيعَاءُ، ثُمَّ الْإِنْصَاتُ، ثُمَّ حِفْظُهُ،
ثُمَّ الْعَمَلُ بِهِ، ثُمَّ بَثُّهُ (٣).
- قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى: "أَذْرَكْتُ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ مِئَةَ وَعِشْرِينَ مِنْ
أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَحَدٌ يُسْأَلُ عَنْ حَدِيثٍ أَوْ فَتْوَى إِلَّا

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٣١٣/١٣.

(٢) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر: ٤٣١.

(٣) سير أعلام النبلاء، للذهبي: ١٥٧/٨.

وَدَّ أَنْ أَخَاهُ كَفَاهُ ذَلِكَ، ثُمَّ قَدْ آَلَ الْأَمْرُ إِلَى إِقْدَامِ أَقْوَامٍ يَدَّعُونَ الْعِلْمَ الْيَوْمَ، يُقَدِّمُونَ عَلَى الْجَوَابِ فِي مَسَائِلَ لَوْ عُرِضَتْ لِعَمْرٍ بِنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَجَمَعَ أَهْلَ بَدْرٍ وَاسْتَشَارَهُمْ" (١).

• وعن نَهْشَلُ بْنُ كَثِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ كَثِيرٍ، قَالَ: أَدْخَلَ الشَّافِعِيُّ يَوْمًا إِلَى بَعْضِ حُجَرِ هَارُونَ الرَّشِيدِ لِيَسْتَأْذِنَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَعَهُ سِرَاجُ الْخَادِمِ، فَأَقْعَدَهُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ الصَّمَدِ مُؤَدِّبِ أَوْلَادِ الرَّشِيدِ، فَقَالَ سِرَاجُ لِلشَّافِعِيِّ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ هَؤُلَاءِ أَوْلَادُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ مُؤَدِّبُهُمْ، فَلَوْ أَوْصَيْتَهُ بِهِمْ، فَأَقْبَلَ الشَّافِعِيُّ عَلَى أَبِي عَبْدِ الصَّمَدِ، فَقَالَ لَهُ: "لِيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَبْدَأُ بِهِ مِنْ إِصْلَاحِ أَوْلَادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِصْلَاحُ نَفْسِكَ، فَإِنَّ أَعْيُنَهُمْ مَعْقُودَةٌ بِعَيْنِكَ، فَالْحَسَنُ عِنْدَهُمْ مَا تَسْتَحْسِنُهُ وَالْقَبِيحُ عِنْدَهُمْ مَا تَرَكْتَهُ، عَلَّمَهُمْ كِتَابَ اللَّهِ، وَلَا تُكْرِهُهُمْ عَلَيْهِ فَيَمْلُوهُ، وَلَا تَتْرُكُهُمْ مِنْهُ فَيَهْجُرُوهُ، ثُمَّ رَوَّاهُمْ مِنَ الشَّعْرِ أَعْفَهُ، وَمَنْ الْحَدِيثِ أَشْرَفَهُ، وَلَا تُخْرِجْنَهُمْ مِنْ عِلْمٍ إِلَى غَيْرِهِ حَتَّى يُحْكِمُوهُ، فَإِنَّ أَرْدِحَامَ الْكَلَامِ فِي السَّمْعِ مَضَلَّةٌ لِلْفَهْمِ" (٢).

• وقيل: مَنْ دَخَلَ فِي الْعِلْمِ وَحْدَهُ، خَرَجَ وَحْدَهُ (٣).

• وقيل: علي طالب العلم الثبات والتثبيت، فَإِنْ مَنْ ثَبَتَ نَبَتَ.

• وقيل: وَمَنْ تَزَيَّنَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ شَأْنُهُ اللَّهُ. (١).

(١) شرح السنة للبخاري: ٣٠٥/١.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم «الإمام الشافعي» - رقم الحديث: ١٣٨٩٠.

(٣) الجواهر والدرر" للسخاوي (٥٨/١).

- وقيل: لمحمد بن الحسن الشيباني (رحمه الله) : أَلَا صَنَّفْتَ فِي الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ شَيْئًا ؟ ، فَقَالَ : صَنَّفْتُ كِتَابَ الْبُيُوعِ (٢) (يعني الزاهد من يتحرز عن الشبهات والمكروهات في التجارات وكذلك سائر المعاملات والحرف) .
- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل ، قَالَ : أُخْبِرْتُ عَنْ ابْنِ السَّمَاكِ ، قَالَ : قَالَ ذُرٌّ لِأَبِيهِ عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ : " مَا بَالُ الْمُتَكَلِّمِينَ يَتَكَلَّمُونَ فَلَا يَبْكِي أَحَدٌ ، فَإِذَا تَكَلَّمَتِ سُمِعَ الْبُكَاءُ مِنْ هَاهُنَا ، وَهَاهُنَا ؟ ، فَقَالَ : " يَا بُنَيَّ ، لَيْسَتْ النَّائِحَةُ الْمُسْتَأْجَرَةُ ، كَالنَّائِحَةِ الثَّكَلَى " (٣) .
- وقيل لأحد "الفقهاء" لماذا صُنِفَ بابُ "الجهاد" في آخر الكتاب؟ فقال: لكي لا يتكلمَ عن الجهاد من لا يُحْسِنُ "الطهارة".
- وفي كتاب الغزلة للخطابي: الغزلة من غير عَيْنِ الْعِلْمِ زَلَّةٌ، ومن غير زَايِ الزُّهْدِ عِلَّةٌ.
- إذا استصعب عليك تحصيل علم فالجأ إلى الله بالدعاء: وكان شيخ الإسلام ابن تيمية إذا استشكلت عليه مسألة دعا فقال: "اللهم يا معلم

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين « كتاب عمر في القضاء وشرحه » فصل إخلاص النية لله تعالى « فصل : [الْمُتَزَيِّنُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ وَعُقُوبَتُهُ] .

(٢) المبسوط لمحمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي _ دار المعرفة _ سنة النشر: ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .

(٣) القصاص والمذكرين لابن الجوزي « الباب التاسع في ذكر سادات القصاص ... » ذكر المذكرين من أهل الكوفة « ومنهم عمر بن ذر » رقم الحديث: ١٠١ ، وكتاب المجالسة للدينوري (٧٣٦) .

- إبراهيم علمني ، ويا مفهم سليمان فهمني " فيزول الإشكال.
- قال موسى بن أيوب: سألت يوسف بن أسباط : عند حذيفة المرعشي: أكان مع حذيفة المرعشي علم ؟ ، فقال: العلم الأكبر، فقلت: ما العلم الأكبر؟ فقال: العلم الأكبر خوف الله عز وجل. (١).
 - قال تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (٢). وقال تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٣). حتى يظل العبد مفتقراً إلى مولاه.
 - قيل: اخذز أن تكون (أبا شبر) : فقد قيل : العلم ثلاثة أشبار، من دخل في الشبر الأول؛ تكبر؛ ومن دخل في الشبر الثاني؛ تواضع، ومن دخل في الشبر الثالث؛ علم أنه ما يعلم (٤).
 - قال الذهبي - رحمه الله - : [فإن من طلب العلم للآخرة : كسره علمه ، وخشع قلبه ، واستكانت نفسه ، وكان على نفسه بالمرصاد] (٥).
 - العلم سؤال وجواب ، ومن ثم قيل : السؤال نصف العلم.
 - قال أبو الدرداء (رضي الله عنه): " مَنْ رَأَى الْغُدُوَّ وَالرَّوَّاحَ إِلَى الْعِلْمِ لَيْسَ بِجَهَادٍ

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٧٦/٥ .

(٢) سورة طه - الآية ١١٤ .

(٣) سورة الإسراء - الآية ٨٥ .

(٤) تذكرة السامع والمتكلم ص ٦٥ .

(٥) كتاب الكبائر للذهبي .

فَقَدْ نَقَصَ عَقْلُهُ وَرَأْيُهُ " (١).

- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ذَلَّلْتُ طَالِبًا لَطَلَبِ الْعِلْمِ، فَعَزَزْتُ مَطْلُوبًا " (٢).
- عَنْ مُغِيرَةَ قَالَ: قِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ كَيْفَ أَصَبْتَ هَذَا الْعِلْمَ؟ قَالَ: بِلِسَانٍ سَوُولٍ، وَقَلْبٍ عَقُولٍ.

• قَالَ أَبُو عُمَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ (رَحِمَهُ اللَّهُ): " وَمَنْ أَدَبَ الْعَالِمَ تَرَكَ الدَّعْوَى لِمَا لَا يُحْسِنُهُ، وَتَرَكَ الْفَخْرَ بِمَا يُحْسِنُهُ، إِلَّا أَنْ يُضْطَرَّ إِلَى ذَلِكَ كَمَا اضْطُرَّ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قَالَ: {اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ} (٣) وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِحَضْرَتِهِ مَنْ يَعْرِفُ حَقَّهُ فَيُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ فِيهِ وَيُعْطِيهِ بِقِسْطِهِ، وَرَأَى هُوَ أَنَّ ذَلِكَ الْمُقْعَدَ لَا يَقْعُدُهُ غَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ وَقْتِهِ إِلَّا قَصَرَ عَمَّا يَجِبُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْقِيَامِ بِهِ مِنْ حُقُوقِهِ فَلَمْ يَسْغُهُ إِلَّا السَّعْيُ فِي ظُهُورِ الْحَقِّ بِمَا أَمْكَنَهُ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَجَائِزٌ لِلْعَالِمِ حِينَئِذٍ الثَّنَاءُ عَلَى نَفْسِهِ وَالتَّنْبِيهُ عَلَى مَوْضِعِهِ، فَيَكُونُ حِينَئِذٍ تَحَدَّثَ بِنِعْمَةِ رَبِّهِ عِنْدَهُ عَلَى وَجْهِ الشُّكْرِ لَهَا، اهـ.

- حَكَى عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّهُ قَالَ: أَضْعَفُ الْعِلْمِ الرَّؤْيَةِ، يَعْنِي أَنْ يَقُولَ رَأَيْتُ فُلَانًا يَعْمَلُ كَذَا، وَلَعَلَّهُ فَعَلَهُ سَاهِيًا، قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: الْعِلْمُ عِلْمُ الرَّوَايَةِ، يَعْنِي أَنْ يَقُولَ: رَأَيْتُ فُلَانًا يَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا؛ إِذْ لَعَلَّهُ قَدْ فَعَلَهُ سَاهِيًا،

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر «تفضيل العلماء على الشهداء» _ رقم الحديث: ١٢٤.

(٢) أخرجه الدينوري في [المجالسة وجواهر العلم ٤ / ٤٣٩].

(٣) سورة يوسف: الآية ٥٥.

وَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ: لَا تَنْظُرْ إِلَى عَمَلِ الْفَقِيهِ، وَلَكِنْ سَلُهُ يَصْدُقُكَ (١).

- قال مُعَاذُ بْنُ الْمُثَنَّى أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: سَمِعْتُ وَكِيعًا (رَمَهُ اللَّهُ)، يَقُولُ: مَنْ اسْتَفْهَمَ وَهُوَ يَفْهَمُ، فَهُوَ طَرَفٌ مِنَ الرِّيَاءِ (٢).

• الرياء في طلب العلم له علامات فاحذرها؛ فمنها:

١. أن تحب المدح والثناء على الأعمال التي تمارسها في طلب العلم.

٢. محبة الظهور أمام الناس لأنك تتميز بطلب العلم.

٣. التكبر على الناس وأن ترى نفسك بعين الكمال.

٤. كراهية النصيحة والتوجيه.

• قال الحافظ ابن رجب (رَمَهُ اللَّهُ): منه علامات أهل العلم النافع:

أنهم لا يرون لأنفسهم حالا ولا مقاما، ويكرهون بقلوبهم التزكية والمدح، ولا يتكبرون على أحد (٣).

• العلم خزان، تفتحها المسألة.

• من أدب العلم: ألا يجيب الرجل عما يُسأل عنه غيره.

• قال الشيخ الخطيب: وَمِنْ الْأَدَبِ إِذَا رَوَى الْمُحَدِّثُ حَدِيثًا، فَعَرَضَ

لِلطَّالِبِ فِي خِلَالِهِ شَيْءٌ أَرَادَ السُّؤَالَ عَنْهُ، أَنْ لَا يَسْأَلَ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ، بَلْ

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين» تغيير الفتوى واختلافها الشريعة مبنية على مصالح العباد [دليل تحريم الحيل].

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب» بَابُ أَدَبِ السَّمَاعِ _ رقم الحديث: ٣٤٣.

(٣) فضل علم السلف على الخلف ص ٥٤.

يَصْبِرُ حَتَّى يُنْهِيَ الرَّاوي حَدِيثَهُ ، ثُمَّ يَسْأَلُ عَمَّا عَرَضَ لَهُ (١).

• قال الفقيه السمرقندي (رحمه الله) : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكْسِرَ الْعُجْبَ فَعَلَيْهِ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ :

أَوَّلُهَا : أَنْ يَرَى التَّوْفِيقَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِذَا رَأَى التَّوْفِيقَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنَّهُ يَشْتَغِلُ بِالشُّكْرِ ، وَلَا يُعْجَبُ بِنَفْسِهِ .

وَالثَّانِي : أَنْ يَنْظُرَ إِلَى النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِ ، فَإِذَا نَظَرَ فِي نِعَمَائِهِ اشْتَغَلَ بِالشُّكْرِ عَلَيْهَا ، وَاسْتَقَلَّ عَمَلُهُ ، وَلَا يُعْجَبُ بِهِ .

وَالثَّالِثُ : أَنْ يَخَافَ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ مِنْهُ ، فَإِذَا اشْتَغَلَ بِخَوْفِ الْقَبُولِ ، لَا يُعْجَبُ بِنَفْسِهِ .

وَالرَّابِعُ : أَنْ يَنْظُرَ فِي ذُنُوبِهِ الَّتِي أَذْنَبَ ، قَبْلَ ذَلِكَ ، فَإِذَا خَافَ أَنْ تَرْجَحَ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ فَقَدْ قَلَّ عُجْبُهُ ، وَكَيْفَ يُعْجَبُ الْمُرءُ بِعَلْمِهِ ، وَلَا يَدْرِي مَاذَا يَخْرُجُ مِنْ كِتَابِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّمَا يَتَبَيَّنُ عُجْبُهُ وَسُرُورُهُ بَعْدَ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ (٢) .

• ذنوب الخلوات فإنها تؤدي إلى الانتكاسات، واعلم أن طاعة الخلوات طريق للثبات حتى الممات.

• عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَاشِمٍ الطُّوسِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ وَكِيعًا ، يَقُولُ : كُنَّا نَسْتَعِينُ عَلَى حِفْظِ الْحَدِيثِ بِالْعَمَلِ بِهِ وَكُنَّا نَسْتَعِينُ عَلَى طَلَبِهِ بِالصَّوْمِ (١) .

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب « بَابُ أَدَبِ السُّؤَالِ لِلْمُحَدِّثِ _ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْأَلَ الرَّاوي عَنْهُ مِنْ أَحَادِيثِهِ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ ... رقم الحديث: ٣٩٣ .

(٢) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين لسمرقندي ... « بَابُ : الْعُجْبِ .

(١) الجامع في بيان العلم و فضله لابن عبد البر بَابُ جَامِعِ الْقَوْلِ فِي الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ (٨١٦) ، سبعة مجالس أملها أبو طاهر المخلص « الْمَجْلِسُ الثَّالِثُ - رقم الحديث: ٤٧ .

• ينبغي لطالب العلم أن لا يدع فنا من العلوم المحموده، ولا نوعا من أنواعها إلا وينظر فيه نظراً يطلع به على مقصده وغايته، ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه، وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه، وتطرف من البقية، فإن العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض، ويستفيد منه في الحال، الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله، فإن الناس أعداء ما جهلوا قال تعالى: (وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ).

• مَنْ جَدَّ وَجَدَ، وَمَنْ زَرَعَ حَصَدَ، وَمَنْ سَهَرَ لَيْسَ كَمَنْ رَقَدَ، والفضائل تحتاج لوثبة أسد.

• قال ابن الجوزي (رحمه الله): فالله الله عليكم بملاحة سير السلف، ومطالعة تصانيفهم وأخبارهم فلاستكثار من مطالعة كتبهم رؤية لهم، قال: وليكثر من المطالعة فإنه يرى من علوم القوم وعلو هممهم ما يشحذ خاطره ويحرك عزيمته للجد. (١).

• ليكن حُزنك على علمٍ قد قرع سمعك وثبتت عليك به الحجة ولم تعمل به ، أولى من حزنك على علمٍ لم تسمعه، فلعلك لو قُدِّر لك سماعه كانت الحجة عليك أولى (٢).

• قال ابن أبي حاتم (رحمه الله): وَعَلَامَةُ أَهْلِ الْبِدْعِ الْوَقِيعَةُ فِي أَهْلِ الْأَثَرِ (١).

(١) بتصرف من صيد الخاطر.

(٢) كتاب الفوائد المنثورة من الأقوال الماثورة ١.

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم هبة الله ابن الحسن بن منصور الطبري.

- إذا تعجبت من جهل غيرك، فتذكر أن جهلك فيما بينك وبين ربك ﷻ أكثر وأكثر. (١).
 - قَالَ الشَّافِعِيُّ : مَا نَظَرْتُ أَحَدًا ، فَأَخْبَيْتُ أَنْ يُحْطَى ، وَمَا فِي قَلْبِي مِنْ عِلْمٍ ، إِلَّا وَدِدْتُ أَنَّهُ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ ، وَلَا يُنْسَبُ إِلَيَّ (٢).
 - قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ (رَمَهُ اللَّهُ) : عَظَّمُوا أَقْدَارَكُمْ بِالتَّغَافُلِ (٣).
 - عَنْ مِسْعَرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ الْأَعْلَى التَّيْمِيَّ يَقُولُ : " مَنْ أُوتِيَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَا يُبْكِيهِ ، لَخَلِيقٌ أَنْ لَا يَكُونَ أُوتِيَ عِلْمًا يَنْفَعُهُ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَعَتَ الْعُلَمَاءَ ثُمَّ قَرَأَ " إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝ إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ((٤) (٥).
 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَثَلُ عِلْمٍ لَا يُنْتَفَعُ بِهِ ، كَمَثَلِ كَنْزٍ لَا يُنْفَقُ مِنْهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (١).
 - قَالَ أَيُّوبُ السَّخْتْيَانِي : يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يَضَعَ الرَّمَادَ عَلَى رَأْسِهِ ؛ تَوَاضَعًا لِلَّهِ عَزَّ
-
- (١) فوائد من كتاب الفوائد المنثورة من الأقوال المأثورة ١ .
- (٢) آداب الشافعي ومناقبه لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧-).
- (٣) البصائر والذخائر _ المؤلف: أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو ٤٠٠هـ)
- المحقق: د/ وداد القاضي. (المكتبة الشاملة)
- (٤) سورة الإسراء _ من الآيات ١٠٧ : ١٠٩ .
- (٥) أخلاق العلماء للأجري.
- (١) سنن الدارمي « بَابُ الْبَلَاغِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ ... رقم الحديث: ٥٥٧.

وَجَلَّ (١).

• قال الخطيب البغدادي: وَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ طَلِبَةُ الْحَدِيثِ أَكْمَلَ النَّاسِ أَدَبًا، وَأَشَدَّ الْخُلُقِ تَوَاضُعًا، وَأَعْظَمَهُمْ نَزَاهَةً وَتَدَيُّنًا، وَأَقْلَهُمْ طَيْشًا وَغَضَبًا، لِدَوَامِ قَرَعِ أَسْمَاعِهِمْ بِالْأَخْبَارِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى مَحَاسِنِ أَخْلَاقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَدَابِهِ، وَسِيرَةِ السَّلَفِ الْأَخْيَارِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَطَرَائِقِ الْمُحَدِّثِينَ، وَمَآثِرِ الْمَاضِينَ، فَيَأْخُذُوا بِأَجْمَلِهَا وَأَحْسَنِهَا، وَيَصْدِفُوا عَنْ أَرْذَلِهَا وَأَذْوَنِهَا. (٢).

• قَالَ أَبُو زَكْرِيَّا الْعَنْبَرِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: عِلْمٌ بِلَا أَدَبٍ كَنَارٍ بِلَا حَطَبٍ، وَأَدَبٌ بِلَا عِلْمٍ كَرُوحٍ بِلَا جِسْمٍ، وَإِنَّمَا شَبَّهْتُ الْعِلْمَ بِالنَّارِ لِمَا رَوَيْنَا عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ أَنَّهُ قَالَ: مَا وَجَدْتُ لِلْعِلْمِ شَبْهًا إِلَّا النَّارَ، نَقْتَسِ مِنْهَا وَلَا نَنْتَقِصُ عَنْهَا.

• ليس من الأدب: أن تجيب مَنْ لا يسألك، أو تسأل من لا يجيبك، أو تحدث مَنْ لا ينصت لك.

• ومن سوء الأدب في المجالسة: أن تقطع على جليسك حديثه، أو تبدره إلى تمام ما ابتدأ به منه خبراً كان أو شعراً، تُتم له البيت الذي بدأ به، تريه أنك أحفظ له منه، فهذا غاية في سوء المجالسة، بل يجب أن تصغى إليه كأنك لم تسمعه قط إلا منه.

• وانتظر وقتك في الكلام، وفرصة لا يتحدث فيها غيرك، فلا تحشر نفسك في

(١) المجالسة وجواهر العلم للدينوري « رقم الحديث: ٣١٥٧.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) للخطيب البغدادي.

زمرة المحشورين المدفوعين على الكلام، ولا تقطع سبيل غيرك أو حديث غيرك، فالحشمة والأدب هما في احترام مبادرة الآخرين والسمع لهم وانتظار استيفاء دورهم، وإلا كنت من المتطفلين، وأكبر مقت عند الناس أن تتصرف بما يضيق على الآخرين، وأن تتسابق في حقل التحدث وطلب المصالح.

• افرح بما لا تنطق به من الخطأ، مثل فرحك بما لم تسكت عنه من الصواب، واشكر الله تعالى على هذا وذاك.

• يقول الإمام البرهاري (رحمه الله): مثل أصحاب البدع مثل العقارب، يدفنون رؤوسهم وأيديهم في التراب، ويخرجون أذنانهم، فإذا تمكنوا لدغوا؟ وكذلك أهل البدع، هم مختفون بين الناس فإذا تمكنوا بلغوا ما أرادوا، ومن أقواله النافعة: المجالسة للمناصرة فتح باب الفائدة، والمجالسة للمناظرة، غلق باب الفائدة. (١).

• لا خير في جواب قبل فهم.

• قال ابن سعدي (رحمه الله): وينبغي للمتعلم أن يحسن الأدب مع معلمه، ويحمد الله إذ يسر له من يعلمه من جهله، ويحيه من موته ويوقظه من سنته، ويتنزه الفرصة كل وقت في الأخذ عنه، ويكثر من الدعاء له حاضراً وغائباً " اهـ .

• قال الإمام أبو حنيفة (رحمه الله): مَا صَلَّيْتُ صَلَاةً بَعْدَ حَمَّادُ بْنُ مُسْلِمٍ

الْكُوفِيُّ - شَيْخُ الْإِمَامِ - إِلَّا اسْتَغْفَرْتُ لَهُ مَعَ وَالِدَيَّ مَاتَ سَنَةً مِائَةً وَعِشْرِينَ (١) ..

- وقال يحيى القطان (رحمه الله): أنا أدعو الله للشافعي حتى في صلاتي.
- وقال الإمام أحمد (رحمه الله): " ما بُتُّ منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي ، وأستغفر له ".

• شكى بعضهم لعارف كثرة خواطر الشيطان فقال : طلق بنته يهجر زيارتك ؛ وهي الدنيا ، تريد أن يقطع رحمه لأجلك ؟ قال هو يأتي لمن لا دنيا عنده، قال: إن لم تكن عنده فهو خاطب لها، ومن خطب بنت رجل فتح باب مودته وإن لم يدخل بها !! .

- ينبغي للعالم أن يورث جلساءه من بعده " لا أدري " حتى يكون ذلك أصلاً في أيديهم يفرعون إليه.

• قال أبو الفرج ابن الجوزي عن شيخه أبي البركات: كنت أقرأ الحديث عليه، وهو يبكي ، فاستفدت ببكائه، أكثر من استفادتي بروايته.

• قال الأعمش (رحمه الله): كانوا يتعلمون من الفقيه كل شيء حتى لباسه ونعليه.

- العلم ميت وإحياءه الطلب، فإذا حييَ بالطلب فهو ضعيف قُوَّتُهُ الدرس، فإذا قويَ بالدرس، فهو محتجب، وإظهاره بالمناظرة، فإذا ظهر بالمناظرة، فهو عقيم؛ نتاجه العمل.

(١) رد المحتار على الدر المختار (ابن عابدين).

• عن الامام مالك أنه بلغه أن لقمان الحكيم أوصى ابنه فقال: يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك؛ فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة، كما يحيي الله الأرض الميتة بوابل السماء.

• العلم إذا لم يستعمل ولم يذكر به، كان كالمسك إذا طال مكثه في الوعاء ذهب ريحه؛ وكالبئر تُحفر فتجري فيها عين؛ فإن حصل له طريق حتى ينتشر- صار نهراً، وكثر ونفع وعاش به الحيوان، وإن حبس وترك قل نفعه وربما غار، فكذاك العلم إذا لم يذكر به ولم يبحث عنه.

• كنّا صاغر قوم، ثم نحن اليوم كبارهم، وإنكم صاغر قوم وستكونون كباراً، فتعلموا العلم تسودوا به قومكم ويحتاجوا إليكم.

• قال ابن عبد البر (رحمه الله): جماع الخير كله تقوى الله عز وجل، واعتزال شرور الناس، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، ومن طلب العلم لله فالقليل يكفيه، ومن طلبه للناس، فحوائج الناس كثيرة، وأزين الحلي على العالم التقوى، وحقيق على من جالس عالماً، أن ينظر إليه بعين الإجلال، وينصت له عند المقال، وأن تكون مراجعته له تفهما لا تعنتاً، وبقدر إجلال الطالب للعالم، ينتفع بما يفيد من علمه .

• من آداب المعلم: أن يربي الناس بصغار العلم قبل كباره.

• أدب الاستماع: سكون الجوارح، وغضُّ البصر، والإصغاء بالسمع، وحضور العقل، والعزم على العمل.

- ثلاث يُصَفِّين لك ودَّ أخيك: أن تُسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحبِّ أسماؤه إليه.
- قال سعيد بن جبیر (رحمه الله): لا يزال الرجل عالماً ما تعلم، فإذا ترك العلم وظن أنه قد استغنى واكتفى بما عنده، فهو أجهل ما يكون.
- قال ابن عيينه (رحمه الله): إذا كان نهاري نهار سفيه، وليلي ليل جاهل، فما أصنع بالعلم الذي كتبتُه؟
- طالب العلم بين الصدق والكذب: لم يكن الكذب يوماً من صفات طلبه العلم، ألم تعلم أن الكذب يورث فقد الثقة من القلوب، وذهاب العلم، وعدم التصديق ولو صدقت.
- قال الأوزاعي (رحمه الله): تعلم الصدق قبل أن تتعلم العلم.
- وقال الدارمي (رحمه الله): ساد إسحاق بن راهويه أهل المشرق والمغرب بصدقه.
- وقال الإمام مالك (رحمه الله): لا يؤخذ العلم عن أربعة.... ومن يكذب في حديث الناس، وإن كنت لا أتهمه في الحديث.
- عَنِ الزُّهْرِيِّ (رحمه الله)، قَالَ: كَانَ يُضْطَادُّ الْعِلْمُ بِالْمَسَاءَلَةِ كَمَا يُضْطَادُّ الْوَحْشُ. (١).
- عَنِ الزُّهْرِيِّ (رحمه الله)، قَالَ: إِنَّ لِلْعِلْمِ غَوَائِلَ، فَمِنْ غَوَائِلِهِ أَنْ يُتْرَكَ

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء « من الطبقة الأولى من التابعين » الزهري « أول من دون أخباره في نشر العلم ومحبته للعلم.

الْعَالَمُ حَتَّى يَذْهَبَ بِعِلْمِهِ ، وَمِنْ غَوَائِلِهِ النَّسْيَانُ ، وَمِنْ غَوَائِلِهِ الْكَذِبُ فِيهِ وَهُوَ أَشَدُّ غَوَائِلِهِ . (١) .

• وعن الزُّهْرِيِّ (رحمه الله) يَقُولُ : الْعِلْمُ ذِكْرٌ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا الذُّكُورُ مِنَ الرِّجَالِ (٢) .

• عَنِ ابْنِ شَهَابٍ الزُّهْرِيِّ (رحمه الله) ، قَالَ : الْعِلْمُ خَزَائِنٌ وَتَفْتَحُهَا الْمَسَائِلُ . (٣) .

• قَالَ ابْنُ عَوْنٍ (رحمه الله) : ثَلَاثَةٌ أَحْبَبَنِّي لِوِلَايَتِي : هَذَا الْقُرْآنُ يَتَدَبَّرُهُ الرَّجُلُ وَيَتَفَكَّرُ فِيهِ ؛ فَيُوشِكُ أَنْ يَقَعَ عَلَى عِلْمٍ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهُ ، وَهَذِهِ السُّنَّةُ يَتَطَلَّبُهَا وَيَسْأَلُ عَنْهَا ، وَيَذَرُ النَّاسَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ .

• قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ (رحمه الله) : إِذَا سَمِعْتَ أَحَدًا يَقَعُ فِي غَيْرِهِ ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ إِنَّمَا يَقُولُ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ .

• قَالَ الثَّوْرِيُّ رحمه الله : إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَنَا الرِّخْصَةُ مِنْ ثِقَةٍ ، فَأَمَّا التَّشْدِيدُ فَيُحْسِنُهُ كُلُّ أَحَدٍ .

• الْجَهْلُ جَهْلَانٌ : جَهْلُ الْعِلْمِ ، وَجَهْلُ الْعَمَلِ .. فَرُبَّ عَالِمٍ لَا يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ فَهُوَ جَاهِلٌ بِلِ مِنَ أَجْهَلِ النَّاسِ ، فَقَدْ أَجْمَعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَنْ عَصَى - اللَّهُ فَهُوَ جَاهِلٌ ، أَوْ أَنَّ كُلَّ مَا عَصَى اللَّهُ بِهِ فَهُوَ جَهَالَةٌ .

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

• من أدب السؤال: ما إذا قال له الشيخ: أفهمت ؟ فلا يقل: نعم ، حتى يتضح له المقصود إيضاحاً جلياً، لئلا يكذب، ويفوته الفهم، ولا يستحي من قوله: لم أفهم؛ لأن في استثباته يحصل له مصالح عاجلة وآجلة فمن العاجلة حفظه المسألة وسلامته من كذب ونفاق ؛ بإظهاره فهم ما لم يكن فهمه، ومن الآجلة: ثبوت الصواب في قلبه دائماً، واعتياده هذه الطريقة المرضية، والأخلاق المرضية.

• عن الخليل بن أحمد (رحمه الله): منزلة الجهل، بين الحياء والأنفة.

• كان بعض المتقدمين من طلاب العلم إذا ذهب إلى معلمه تصدق بشيء، وقال: اللهم استر عيب معلمي عني، ولا تذهب بركة علمه مني.

• إياك إذا حصل الجواب من الشيخ أن تقول: لكن الشيخ فلان قال لي: كذا، وقال كذا، فإن هذا وهنٌ في الأدب، وضرب لأهل العلم بعضهم ببعض، فاحذر هذا، وإن كنت لابد فاعلاً فكن واضحاً في السؤال، وقل: ما رأيك في الفتوى بكذا، ولا تسمّ أحداً، لذا قيل: سل تفقهاً لا تعتتاً.

• ومن أدب طالب العلم أن لا يشارك أحداً من الجماعة في حديثه، ولا سيما الشيخ، فقد قال بعض الحكماء: من الأدب أن لا يشارك الرجل في حديثه، وإن كان أعلم به منه، وأنشد الخطيب رحمه الله في هذا :

• ولا تشارك في الحديث أهله ... وإن عرفت فرعه وأصله.

• قال الحسن (رحمه الله): لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ،

ويجري في العمل مجرى السفهاء.

- عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، بَلَغَهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : لَيْسَ مِنْ عَالِمٍ وَلَا شَرِيفٍ وَلَا ذِي فَضْلٍ إِلَّا وَفِيهِ عَيْبٌ ، وَلَكِنْ مَنْ كَانَ فَضْلُهُ أَكْثَرَ مِنْ نَقْصِهِ ذَهَبَ نَقْصُهُ لِفَضْلِهِ كَمَا أَنَّ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ نَقْصَانُهُ ذَهَبَ فَضْلُهُ (١).
- وَقَالَ غَيْرُهُ : لَا يَسْلَمُ الْعَالِمُ مِنَ الْخُطَا ، فَمَنْ أَخْطَأَ قَلِيلًا وَأَصَابَ كَثِيرًا فَهُوَ عَالِمٌ ، وَمَنْ أَصَابَ قَلِيلًا وَأَخْطَأَ كَثِيرًا فَهُوَ جَاهِلٌ " (٢).
- وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : لَا يُؤْخَذُ الْعِلْمُ عَنْ أَرْبَعَةٍ : سَفِيهِ مُعْلِنِ السَّفَهَةِ ، وَصَاحِبِ هَوًى يَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهِ ، وَرَجُلٍ مَعْرُوفٍ بِالْكَذِبِ فِي أَحَادِيثِ النَّاسِ وَإِنْ كَانَ لَا يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَجُلٍ لَهُ فَضْلٌ وَصَلَحٌ لَا يَعْرِفُ مَا يُحَدِّثُ بِهِ (٣).
- يَقُولُ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ (رَمَاهُ اللَّهُ) : وَنُحِبُّ السُّنَّةَ وَأَهْلَهَا ، وَنُحِبُّ الْعَالِمَ عَلَى مَا فِيهِ مِنَ الْإِتِّبَاعِ وَالصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ ، وَلَا نُحِبُّ مَا ابْتَدَعَ فِيهِ بِتَأْوِيلٍ سَائِغٍ ، وَإِنَّمَا الْعِبْرَةُ بِكَثْرَةِ الْمُحَاسِنِ (١).
- قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : إِنْ أَقْوَامًا ابْتَغَوْا الْعِبَادَةَ وَأَضَاعُوا الْعِلْمَ ، فَخَرَجُوا

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر» بَابُ مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى فَقِيهًا .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

(١) سير أعلام النبلاء (٤٦/٢٠).

على أمة محمد ﷺ بأسيا فهم، ولو ابتغوا العلم لحجزهم عن ذلك. (١).

• عن أبي حيان التيمي (رحمه الله) قال: العلماء ثلاثة :

١. عالم بالله وبأمر الله ، وعالم بالله وليس بعالم بأمر الله ، وعالم بأمر الله وليس بعالم بالله.

٢. فأما العالم بالله وبأمره، فذلك الخائف لله، العالم بسنته وحدوده وفرائضه.

٣. وأما العالم بالله وليس العالم بأمر الله، فذلك الخائف لله، وليس بعالم بسنته ولا حدوده ولا فرائضه.

وأما العالم بأمر الله وليس بعالم بالله، فذلك العالم بسنته وحدوده وفرائضه وليس بخائف له.

• يجلس إلى العالم ثلاثة:

(١) رجل يأخذ كل ما يسمع فذلك حاطب ليل.

(٢) ورجل لا يحفظ شيئاً وهو جليس العالم.

(٣) ورجل ينتقي وهو خيرهم.

• قال ابن عباس رضي الله عنهما: (جليسي عليّ ثلاث: أن أرمقه بطرفي إذا أقبل، وأوسع له إذا جلس، وأصغي له إذا حدّث).

• ينبغي للإنسان أن لا يقبل بحديثه على من لا يقبل عليه، فقد قيل إن نشاط المتكلم بقدر إقبال السامع، ويتعين عليه أن يحدث المستمع على قدر عقله، ولا

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم.

يبتدع كلاماً لا يليق بالمجلس فقد قيل: لكل مقام مقال، وخير القول ما وافق الحال.

• مَنْ جَاءَكَ بِالْحَقِّ فَاقْبَلْ مِنْهُ وَإِنْ كَانَ بَعِيداً بَغِيضاً وَمَنْ جَاءَكَ بِالْبَاطِلِ فَارُدَّهُ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ قَرِيباً حَبِيباً.

• وَقَالَ أَبُو حَفْصٍ لِأَبِي عُمَانَ النَّيْسَابُورِيِّ: إِذَا جَلَسْتَ لِلنَّاسِ فَكُنْ وَاعِظًا لِقَلْبِكَ وَنَفْسِكَ . وَلَا يَعْزَنَّكَ اجْتِمَاعُهُمْ عَلَيْكَ . فَإِنَّهُمْ يُرَاقِبُونَ ظَاهِرَكَ . وَاللَّهُ يُرَاقِبُ بَاطِنَكَ . (١).

• عليك أن لا تعجب برأيك وتطير به؛ بل الواجب عليك أن تعرض ما رأيته على أكابر العلماء في زمانك؛ فإن وافقوك فالحمد لله؛ وإن نهوك وحذروك وزجروك عن هذا الرأي فامثل، وهذا عين الأدب، وخلاف ذلك مكمّن العطب، وسوء الأدب.

• قال لقمان لابنه: لا تجادل العلماء فتهون عليهم ويرفضوك، ولا تجادل السفهاء فيجهلوا عليك ويشتموك، ولكن اصبر نفسك لمن هو فوقك في العلم ولمن هو دونك.

• قال ابن القيم (رحمه الله): أعلى الهمم في طلب العلم: طلب علم الكتاب والسنة والفهم عن الله ورسوله نفس المراد وعلم حدود المنزل، وأخس همم طلاب العلم: قصر همته على تتبع شواذ المسائل وما لم ينزل ولا هو

(١) مدارج السالكين لابن القيم.

واقع، أو كانت همته معرفة الاختلاف وتتبع أقوال الناس وليس له همة إلى معرفة الصحيح من تلك الأقوال، وقُلَّ أن ينتفع واحد من هؤلاء بعلمه، وأعلى الهمم في باب الإرادة، أن تكون الهمة متعلقة بمحبة الله، والوقوف مع مراده الديني الأمري، واسفلها أن تكون الهمة واقفة مع مراد صاحبها من الله، فهو إنما يعبد له مراده منه لا لمراد الله منه، فالأول يريد الله ويريد مراده، والثاني يريد من الله، وهو فارغ عن إرادته".

- لا تلازم بين قول الجمهور وبين الحق والصواب، فقد يكون الحق معهم - وهذا الأكثر في المسائل العلمية - وقد يكون الحق في جانب غيرهم، والمنصف دائماً يبحث عن الدليل، فما نصره الدليل اتبعه، وإن كان القائل به قليلاً، وما لم يرد فيه دليل أو كان دليله ضعيفاً تركه، وإن كان الأكثرون على القول به.
- احذر أن تتكلم في غير فنك وتخصصك، فمن تكلم في غير فنه أتى بالعجائب.

- الحق يعرف بدلائله لا بقائله، والحق مقبول وإن أتى به المخالف، والباطل مردود وإن أتى به الموافق.

- سئل ابن المسيب (رحمه الله) عن شيء فقال: اختلف فيه أصحاب رسول الله ﷺ، ولا أرى لي معهم قولاً. قال ابن عبد البر معلقاً عليه: "معناه ليس له أن يأتي بقول يخالفهم به".

- قال يحيى بن كثير (رحمه الله): لا يستطاع طلب العلم براحة الجسم.

• لذا قيل: أيها المتعلم إنك إن لم تصبر على تعب العلم، صبرت على شقاء الجهل.

• قال عمر بن عبد العزيز (رحمه الله): من لم يعد كلامه من عمله،

كثرت خطاياه، ومن عمل بغير علم، كان ما يفسد أكثر مما يصلح.

• قال الشوكاني (رحمه الله): والمتحري لدينه في اشتغاله بعيوب نفسه ما

يشغله عن نشر مثالب الأموات، وسب من لا يدري كيف حاله عند باري

البريات، ولا ريب أن تمزيق عرض من قديم على ما قَدَّم، وجثا بين يدي من هو

بها تكنه الضمائر أعلم - مع عدم ما يحمل على ذلك: من جرح، أو نحوه - أحموقة

لا تقع لمتيقظ، ولا يصاب بمثلها متدين بمذهب، ونسأل الله السلامة

بالحسنات، ويتضاعف عند وبيل عقابها الحسرات، اللهم اغفر لنا تفلتات

اللسان والقلم في هذه الشعاب والهضاب، وجنبنا عن سلوك هذه المسالك التي

هي في الحقيقة مهالك ذوي الألباب). النيل ١٢٣/٤.

• عن إبراهيم البكاء، يَقُولُ: سَمِعْتُ مَعْرُوفًا الْكَرْخِيَّ، (رحمه الله)

يَقُولُ: " إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ الْعَمَلِ ، وَأَغْلَقَ عَنْهُ بَابَ

الْجَدَلِ ، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ شَرًّا أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَ الْعَمَلِ وَفَتَحَ عَلَيْهِ بَابَ الْجَدَلِ

" . (١) .

• قال الأوزاعي (رحمه الله): « إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَحْرِمَ عَبْدَهُ بَرَكَةَ الْعِلْمِ أَلْقَى

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم» مَعْرُوفُ الْكَرْخِيَّ - رقم الحديث: ١٣٠٢١.

عَلَى لِسَانِهِ الْمَغَالِيطَ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ أَقَلَّ النَّاسِ عِلْمًا» (١).

• قال رجل لأحد السلف: أريد أن أتعلم العلم، وأخاف أن أضيعه؟ فقال: له
كفى بتركك العلم إضاعة.

• تعلموا العلم وعلومه الناس، وتعلموا له الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن
تعلمتم منه ولمن علمتموه، ولا تكونوا جبابرة العلماء، فلا يقوم جهلكم
بعلمكم".

• عن الفضيل (رحمه الله): لا يزال العالم جاهلاً بما علم، حتى يعمل به، فإذا
عمل به، كان عالماً.

• سئل سفيان الثوري (رحمه الله): طلب العلم أحب إليك أو العمل؟ فقال ()
إنما يراد العلم للعمل، فلا تدع طلب العلم للعمل، ولا تدع العمل لطلب
العلم).

• مثل العالم مثل الملح، لا يصلح شيئاً إلا به، فإذا فسد الملح لم يصلح، إلا أن
يوطأ بالأقدام.

• وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ لِأَحْمَدَ كَتَبْتَ الْحَدِيثَ بِنِيَّةٍ قَالَ : شَرُطُ النِّيَّةِ شَدِيدٌ وَلَكِنْ حُبِّبَ
إِلَيَّ فَجَمَعْتُهُ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ سَأَلْتُ أَبِي عَنْ رَجُلٍ مَلَكَ خَمْسِائَةِ دِرْهَمٍ وَهُوَ رَجُلٌ
جَاهِلٌ أَيْحُجُّ بِهَا ، أَوْ يَطْلُبُ الْعِلْمَ ، قَالَ : يُحُجُّ لِأَنَّ الْحِجَّ فَرِيضَةٌ وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ
يَطْلُبَ الْعِلْمَ وَقَالَ الْمُرُوزِيُّ قِيلَ : لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ لَهُ خَمْسِائَةِ دِرْهَمٍ تَرَى أَنْ

(١) «فتح الباري» لابن حجر (١٣ / ٢٦٣).

يَصْرِفُهُ فِي الْغَزْوِ وَالْجِهَادِ أَوْ يَطْلُبُ الْعِلْمَ قَالَ : إِذَا كَانَ جَاهِلًا يَطْلُبُ الْعِلْمَ أَحَبَّ إِلَيَّ وَقَالَ فِي رِوَايَةِ يُوسُفَ بْنِ مُوسَى عَجِبْتُ لِمَنْ يَتَّبِطُّ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ وَيَحْتَجُّونَ بِالْفُضِيلِ وَلَعَلَّ الْفُضِيلَ قَدْ اكْتَفَى لَيْسَ يَتَّبِطُّ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ إِلَّا جَاهِلٌ وَقَالَ الرَّبِيعُ سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: طَلَبُ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ النَّافِلَةِ (١) .

• قال عمر لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: لا يمنعك قضاء قضيته بالأمس، راجعت فيه نفسك، وهديت فيه لِرشدك، أن ترجع فيه إلى الحق، فإن الحق قديم، والرجوع إلى الحق، أولى من التماذي في الباطل.

• عَنْ يُونُسَ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ شِهَابٍ الزَّهْرِيُّ (رَمَاهُ اللَّهُ): يَا يُونُسُ، " لَا تُكَابِرِ الْعِلْمَ ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ أَوْدِيَةٌ ، فَأَيُّهَا أَخَذْتَ فِيهِ قَطَعَ بِكَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَهُ ، وَلَكِنْ خُذْهُ مَعَ الْإِيَّامِ وَاللَّيَالِي ، وَلَا تَأْخُذِ الْعِلْمَ جُمْلَةً ؛ فَإِنَّ مَنْ رَامَ أَخْذَهُ جُمْلَةً ذَهَبَ عَنْهُ جُمْلَةً ، وَلَكِنْ الشَّيْءُ بَعْدَ الشَّيْءِ مَعَ اللَّيَالِي وَالْإِيَّامِ " (٢) .

• عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ، قَالَ : " قِيلَ لَابْنِ عَبَّاسٍ مَنْ أَكْرَمَ النَّاسِ عَلَيْكَ ؟ قَالَ : جَلِيسِي الَّذِي يَتَحَطَّى النَّاسَ حَتَّى يَجْلِسَ إِلَيَّ ، لَوْ اسْتَطَعْتُ أَنْ لَا يَقَعَ

(١) الآداب الشرعية» فصل في طلب العلم وما يبدأ به منه وما هو فريضة منه وفضل أهله.

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر» بَابُ كَيْفِيَّةِ الرُّتْبَةِ فِي أَخْذِ الْعِلْمِ ... رقم الحديث: ٤٦٤ .

الدُّبَابُ عَلَى وَجْهِهِ لَفَعَلْتُ (١).

• قال ابن جماعة (رحمه الله): ينبغي للطالب أن يقدم النظر ويستخير الله فيمن يأخذ العلم عنه ويكتسب حسن الأخلاق والآداب منه، وليكن إن أمكن ممن كملت أهليته وتحققت شفقته وظهرت مروءته وعرفت عفته واشتهرت صيانتته، وكان أحسن تعليماً وأجود تفهيماً ولا يرغب الطالب في زيادة العلم مع نقص في ورع أو دين أو عدم خلق جميل... وليجتهد أن يكون الشيخ ممن له من العلوم الشرعية تمام الاطلاع، وله مع من يوثق به من مشايخ عصره كثرة بحث وطول اجتماع، لا ممن أخذ من بطون الأوراق ولم يعرف بصحبة المشايخ الحذاق، قال الشافعي: من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام (٢).

• وقيل: مَنْ لانت كلمته وجبت محبته.

• قَالَ عُبَيْدَةَ: «لَا تَرُدَّنَّ عَلَى أَحَدٍ خَطَأً فِي حَفْلٍ، فَإِنَّهُ يَسْتَفِيدُ وَيَتَّخِذُكَ عَدُوًّا» (٣).

• عن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: إني لأحسب العبد ينسى العلم كان يعلمه بالخطيئة يعملها.

(١) شعب الإيمان للبيهقي «بَابُ فِي إِكْرَامِ الْجَارِ» فَصْلٌ فِي مِرَاعَاةِ حَقِّ الرَّفِيقِ _ رقم الحديث: ٨٩٤٣.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم.

(٣) الفقيه و المتفقه _ المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣ هـ).

• قَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ: ثَمَانِيَّةٌ إِنْ أَهَيْنُوا فَلَا يُلُومُوا إِلَّا أَنْفُسَهُمْ: الْآتِي طَعَامًا لَمْ يُدْعَ إِلَيْهِ، وَالْمُتَأَمِّرُ عَلَى رَبِّ الْبَيْتِ فِي بَيْتِهِ، وَطَالِبُ الْفَضْلِ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَرَاجِي الْخَيْرِ مِنَ اللَّثَامِ، وَالْمُقْبِلُ بِحَدِيثِهِ عَلَى مَنْ لَا يَسْمَعُهُ، وَالْجَالِسُ فِي الْمَجْلِسِ الَّذِي لَا يَسْتَأْهِلُهُ، وَالِدَّاخِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي حَدِيثِهِمَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُدْخِلَاهُ، وَالْمُتَقَدِّمُ بِالذَّالَّةِ عَلَى السُّلْطَانِ (١).

• من أخلاق طلاب العلم وصفاتهم :

١. تعظيمهم لحرمان الله تعالى .
 ٢. وغيرتهم ؛ إذا انتهكت حرمانه تعالى .
 ٣. ونصرة دين الله وشرعه.
 ٤. وكثرة تعظيمهم لحرمان المسلمين ومحبة الخير لهم قال تعالى: (وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ) (٢)، (وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) (٣).
- وسد باب الغيبة في مجالسهم، ويحفظون ألسنتهم منها ؛ لئلا يصبح مجلسهم مجلس إثم.

• عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى (رَمَهُ اللَّهُ) يَقُولُ لَقَدْ أَدْرَكْتُ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ عِشْرِينَ وَمِائَةً مِنَ الْأَنْصَارِ وَمَا مِنْهُمْ مَنْ أَحَدٍ

(١) أخرجه أبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان (١/ ٢٩٩) .:

(٢) سورة الحج - الآية ٣٠ .

(٣) سورة الحج - الآية ٣٢ .

يُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ إِلَّا وَدَّ أَنْ أَخَاهُ كَفَاهُ الْحَدِيثَ وَلَا يُسْأَلُ عَنْ فُتْيَا إِلَّا وَدَّ أَنْ أَخَاهُ كَفَاهُ الْفُتْيَا. !! (١).

• لا تكن ممن إذا وُعِظَ أُنْفَ، وإذا وَعَظَ عَنَّفَ.

• سئل الإمام الشافعي (رحمه الله) عن مسألة فسكت، ف قيل: ألا

تجيب؟ فقال: حتى أدري؛ الفضل في سكوتي أو في الجواب؟؟ .

• وَذَكَرَ الْكَرْخِيُّ: أَنَّ مَنْ يَمْشِي فِي الطَّرِيقِ بِالسَّرَاوِيلِ وَخَدَهُ لَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ

لَا تُقْبَلُ شَهَادَتُهُ؛ لِأَنَّهُ تَارِكٌ لِلْمُرُوءَةِ (٢).

• وكذلك لا تقبل شهادة من يأكل في السوق بين يدي الناس، وكذا من يمد

رجليه عند الناس. (٣).

(١) سنن الدارمي _ باب مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّاسُ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْجَهْلِ وَالضَّلَالَةِ (١٣٥).

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق _ زين الدين بن إبراهيم (ابن نجيم).

(٣) وينظر في كراهة مد الرجلين في مجمع الناس فضلاً عن أهل العلم وطلابه؛ عموم كتب الحنابلة حيث جعلوا ذلك من خوارم المروءة التي يرد بها شهادة الشاهد، ومنها ما جاء في المغني ١٠ / ١٧٠ وكشاف القناع ٦ / ٢٣٤ ومنار السبيل ٢ / ٤٣٤، وكذا ما جاء في المجموع للنووي ٤ / ٣٩٨ حيث قال: (يجوز القعود متربعاً ومفترشاً ومتوركاً ومحتبياً والقرفصاء والإستلقاء على القفا، ومد الرجل، وغير ذلك من هيئات القعود ونحوها، ولا كراهة في شيء من ذلك إذا لم يكشف عورته، ولم يمدرجله بحضرة الناس) وينظر أيضاً تحفة الأحوذى ٧ / ١٦٢ وجواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود للأسيوطي ٢ / ٣٤٩، وإنما أطلت التعليق على هذه المسألة لما نراه ونعاني منه من مد الأرجل بحضرة أهل العلم والمشايخ بل نرى =

• وَقَالَ الرَّبِيعُ صَاحِبُ الشَّافِعِيِّ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ - : مَا اجْتَرَأْتُ أَنْ أَشْرَبَ الْمَاءَ وَالشَّافِعِيَّ يَنْظُرُ إِلَيَّ هَيْبَةً لَهُ (١).

• وَرَوَيْنَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ :
مَنْ حَقَّ الْمَعْلَمُ عَلَيْكَ أَنْ تُسَلِّمَ عَلَى النَّاسِ عَامَّةً وَتُخَصِّصَهُ دُونَهُمْ بِتَحِيَّةٍ، وَأَنْ
تَجْلِسَ أَمَامَهُ، وَلَا تُشِيرَنَّ عِنْدَهُ بِيَدِكَ، وَلَا تَغْمِزَنَّ بَعَيْنَيْكَ، وَلَا تَقُولَنَّ : قَالَ فُلَانٌ
خِلَافَ مَا تَقُولُ، وَلَا تَغْتَابَنَّ عِنْدَهُ أَحَدًا، وَلَا تُشَاوِرَ جَلِيسَكَ فِي مَجْلِسِهِ، وَلَا
تَأْخُذَ بِثَوْبِهِ إِذَا قَامَ، وَلَا تَلِجَ عَلَيْهِ إِذَا كَسَلَ، وَلَا تَعَرَّضَ - أَيِ تَشَبَّعَ - مِنْ طُولِ
صُحْبَتِهِ (٢).

• قَالَ وَكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ (رَمَاهُ اللَّهُ) : لَا يَنْبُلُ الرَّجُلُ مِنْ أَصْحَابِ
الْحَدِيثِ حَتَّى يَكْتُبَ عَمَّنْ هُوَ فَوْقَهُ وَعَمَّنْ هُوَ مِثْلُهُ، وَعَمَّنْ هُوَ دُونُهُ " (٣).
• عَنْ مُجَاهِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : " لَا يَتَعَلَّمُ مُسْتَحٍ وَلَا مُسْتَكْبِرٌ " (٤).
• قَالَ الْحُكَمَاءُ : الْعِلْمُ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ مَادَّةُ الذُّنُوبِ (١).

=بعضهم يمدّها تجاه الشيخ من غير حاجز بينهما ؟!، وهذا منافي للآداب والله المستعان، وأين هذا من قول الربيع: " والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إلي هيبة له " .

(١) التبيين في آداب حملة القرآن للنووي.

(٢) المرجع السابق .

(٣) علوم الحديث لابن الصلاح « النُّوعُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ - مَعْرِفَةُ آدَابِ طَالِبِ الْحَدِيثِ .

(٤) المرجع السابق .

(١) تفسير فيض القدير للماوردي « حرف الميم » مَنْ اِزْدَادَ عِلْمًا وَلَمْ يَزِدْ فِي الدُّنْيَا زُهْدًا لَمْ يَزِدْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا .

• وَقَالَ الْمَاورِدِيُّ: قَالَ الْحُكَمَاءُ: أَصْلُ الْعِلْمِ الرَّغْبَةُ وَتَمَرَّتُهُ السَّعَادَةُ، وَأَصْلُ الزُّهْدِ الرَّهْبَةُ وَتَمَرَّتُهُ الْعِبَادَةُ، فَإِذَا اقْتَرَنَ الْعِلْمُ وَالزُّهْدُ فَقَدْ تَمَّتِ السَّعَادَةُ وَعَمَّتِ الْفَضِيلَةُ، وَإِنْ افْتَرَقَا فَيَاوِيحَ مُفْتَرِقَيْنِ مَا أَصَرَ افْتِرَاقُهُمَا وَأَقْبَحَ انْفِرَادُهُمَا (١).

• وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: مَنْ لَمْ يُؤْتَ مِنَ الْعِلْمِ مَا يَقْمَعُهُ فَمَا أُوتِيَ مِنَ الْعِلْمِ لَا يَنْفَعُهُ (٢).

• وَقَالَ حُجَّةُ الْإِسْلَام: النَّاسُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ طَلَبَهُ لِيَتَّخِذَهُ زَادًا إِلَى الْمَعَادِ لَمْ يَقْصِدْ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ فَهَذَا مِنَ الْفَائِزِينَ، وَرَجُلٌ طَلَبَهُ لِيَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى حَيَاتِهِ الْعَاجِلَةِ وَيُنَالَ بِهِ الْجَاهَ وَالْمَالَ وَمَعَ ذَلِكَ يَعْتَقِدُ خِسَّةَ مَقْصِدِهِ وَسُوءَ فِعْلِهِ فَهَذَا مِنَ الْمُخَاطِرِينَ، فَإِنْ عَاجَلَهُ أَجَلُهُ قَبْلَ التَّوْبَةِ خِيفَ عَلَيْهِ سُوءُ الْخَاتِمَةِ، وَإِنْ وُقِّقَ لَهَا فَهُوَ مِنَ الْفَائِزِينَ، وَرَجُلٌ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ فَاتَّخَذَ عِلْمَهُ ذَرِيعَةً إِلَى التَّكَاثُرِ بِالْمَالِ وَالتَّفَاخُرِ بِالْجَاهِ وَالتَّعَزُّزِ بِكَثْرَةِ الْأَتْبَاعِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُضْمِرُ أَنَّهُ عِنْدَ اللَّهِ بِمَكَانٍ لَا تُسَامِيهِ بِسْمَةِ الْعُلَمَاءِ، فَهَذَا مِنَ الْهَالِكِينَ الْمُغْرُورِينَ، إِذِ الرَّجَاءُ مُنْقَطِعٌ عَنْ تَوْبَتِهِ لِظَنِّهِ أَنَّهُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣).

• إِذَا جَاءَكَ مَنْ يَسْأَلُكَ فَلَا يَكُنْ هَمُّكَ أَنْ تَخْرُجَهُ مِمَّا وَقَعَ فِيهِ، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ

أَنْ تَخْلُصَ نَفْسَكَ مِمَّا سَأَلَكَ عَنْهُ أَمَامَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

• إِنْ الْعَالَمُ يَدْخُلُ فِيهَا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ، فَلْيَطْلُبْ لِنَفْسِهِ الْمَخْرَجَ.

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

• ذكر عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال: وقال (عليه السلام): أُوصِيكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا آبَاطَ الْإِبِلِ (١) لَكَانَتْ لِيَذَلِكَ أَهْلًا: لَا يَرْجُونَ أَحَدًا مِنْكُمْ إِلَّا رَبَّهُ، وَلَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ، وَلَا يَسْتَحْيِينَ أَحَدًا إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ: لَا أَعْلَمُ، وَلَا يَسْتَحْيِينَ أَحَدًا إِذَا لَمْ يَعْلَمْ الشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ وَبِالصَّبْرِ، فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، وَلَا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لَا رَأْسَ مَعَهُ، وَلَا فِي إِيمَانٍ لَا صَبْرَ مَعَهُ. (٢).

• أجل العلوم ما قَرَّبَكَ من خالقك، وما أعانَكَ على الوصول إلى رضاه، وهذه هي علوم الكتاب والسنة.

• قال الشَّعْبِيُّ (رحمه الله تعالى): (الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ أَشْبَارٍ فَمَنْ نَالَ مِنْهُ شِبْرًا شَمَخَ بِأَنْفِهِ وَظَنَّ أَنَّهُ نَالَهُ، وَمَنْ نَالَ الشُّبْرَ الثَّانِي صَغُرَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَنَلْهُ، وَأَمَّا الشُّبْرُ الثَّالِثُ فَهَيْهَاتَ لَا يَنَالُهُ أَحَدٌ أَبَدًا).

• قال الحافظ ابن رجب (رحمه الله): فالذي يتعيَّن على المسلم الاعتناء به والاهتمام: أن يبحثَ عَمَّا جاء عن الله ورسوله ﷺ، ثم يجتهد في فهم ذلك، والوقوف على معانيه، ثم يشتغل بالتصديق بذلك إن كان من الأمور العِلْمِيَّة. وإن كان من الأمور العَمَلِيَّة، بذلَّ وَسْعَه في الاجتهاد في فِعْلٍ ما يستطيعه من الأوامر، واجتناب ما يُنْهَى عنه، وتكون همته مصروفة بالكُلِّيَّة إلى ذلك، لا إلى

(١)الآباط: جمع إبط، وضرب الآباط: كناية عن شدِّ الرِّحال وحثِّ المسير..

(٢)إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن القيم.

غيره، وهكذا كان حال أصحاب النبي ﷺ والتابعين لهم بإحسان في طلب العلم النافع من الكتاب والسنة.

• العلماء ثلاثة مراتب:

أ- عالم عقله أكبر من علمه، عنده علم قليل، ولكن عنده حكمة وبصيرة في توجيه الناس وإرشادهم إلى ما يكون فيه خير كثير.

ب- عالم علمه أكبر من عقله، عنده علم كثير ويحفظ ويقرأ، ولكنه لا يحسن وضع الأمور في نصابها.

ج- عالم استوى عقله وعلمه، وهذه مرتبة الكمال، فلا بد من الأمرين للمتصدر.

العلم: وهو الركيزة الأولى، والعقل: الذي يعرف به محاسن الأمور ومساوئها، وهذه الركيزة الثانية.

• وَعَنْ أَبِي يُوسُفَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- قَالَ: " يَا قَوْمِ أَرِيدُوا بِعِلْمِكُمُ اللَّهَ فَإِنِّي لَمْ أَجْلِسْ مَجْلِسًا قَطُّ أَنُوي فِيهِ أَنْ أَتَوَاضَعَ إِلَّا لِمَ أَقُمْ حَتَّى أَعْلُوهُمْ ، وَلَمْ أَجْلِسْ مَجْلِسًا قَطُّ أَنُوي فِيهِ أَنْ أَعْلُوهُمْ إِلَّا لِمَ أَقُمْ حَتَّى أَفْتَضَحَ . (١).

• عَنِ الْحَسَنِ (رَحِمَهُ اللَّهُ) ، قَالَ : قَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَطْلُبُ الْعِلْمَ فَلَا يَلْبِثُ أَنْ يَرَى ذَلِكَ فِي تَخَشُّعِهِ وَهَدْيِهِ وَلِسَانِهِ وَبَصَرِهِ وَبِرِّهِ . (١).

(١) المجموع شرح المذهب « مقدمة الإمام النووي » باب آداب المعلم.

(١) الزهد لابن أبي عاصم: (١ / ٢٨٥)، وشعب الإيمان: (٢ / ٢٩١).

- قال مالك (رحمه الله): إن حقا على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية وان يكون متبعا لأثر من مضى قبله. (الآداب الشرعية).
- عَنِ الْأَصْمَعِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ (رحمه الله): كُلُّ عَزٍّ لَمْ يُؤَيِّدْ بِعِلْمٍ، فَإِلَى ذَلِكَ مَا يَصِيرُ^(١).
- من كان ديدنه مجادلة العلماء لم يأمن أن يرد آية أو حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهلك، ناهيك عن محق بركة علمه.
- ليكن حالك كحال السلف؛ فقد كان أحدهم يصبح ويمسي وهمه رضا الله، والفوز بطاعته وجنته والدار الآخرة، فجعلوا الهم هماً واحداً وجدوا لذلك الهم.
- عليك أن تتعلم من العلوم أوجبها وأحسنها نفعاً لك وأقربها طريقاً إلى رضا ربك، وأزكاها لقلبك وأكثرها أثراً فيه.
- عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْعَثِ: سَمِعْتُ الْفَضِيلَ (رحمه الله) يَقُولُ: بَلَغَنِي أَنَّ الْعُلَمَاءَ فِيمَا مَضَى كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا عَمِلُوا، وَإِذَا عَمِلُوا شَغِلُوا، وَإِذَا شَغِلُوا فُقِدُوا، وَإِذَا فُقِدُوا طَلَبُوا، فَإِذَا طَلَبُوا هَرَبُوا..^(٢).
- قال حكيم: من أمضى يوماً من عمره في غير حقِّ قضاءه أو فرض أدّاه أو مجد أثله - ورثه - أو حمّد حصّله أو خير أسّسه أو علم اقتبسّه فقد عتق يومه وظلّم

(١) المجالسة وجواهر العلم للدينوري» رقم الحديث: ٢٤٥٤.

(٢) سير أعلام النبلاء» الطبقة السابعة» الفضيل بن عياض.

نَفْسَهُ .

• عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ : هَتَفَ الْعِلْمُ بِالْعَمَلِ ، فَإِنْ أَجَابَهُ ، وَإِلَّا ارْتَحَلَ . (١).

• إن القائل أقل ملالة من المستمع فلا تمل جلساءك إذا حدثتهم، واعلم أن قلبك وعاء، فانظر ماذا تحشوه وعاءك، واعزف عن الدنيا وابذها وراءك، فإنها ليست لك بدار، ولا لك فيها محل قرار، وإنما جعلت بلغة للعباد ليتزودوا منها للمعاد، ووطن نفسك على الصبر تلقى الحلم، وأشعر قلبك التقوى؛ تنل العلم، ورض نفسك على الصبر تخلص من الإثم.

• قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ (رحمه الله) : لَا يَزَالُ الْمُرءُ عَالِمًا مَا طَلَبَ الْعِلْمَ ، فَإِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ ، فَقَدْ جَهِلَ (٢).

• إياك وإصدار الأحكام بدون تأني (كالتكفير والتبديع والتفسيق) خاصة مع المعروفين بالانتماء للسنة.

• قال ابن القيم (رحمه الله) : السنة شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، والأنفاس ثمرها، فمن كانت أنفاسه في طاعة، فثمرة شجرته طيبة، ومن كانت في معصية، فثمرته حنظل، وإنما يكون الجداد

(١) ذم من لا يعمل بعلمه لابن عساكر _ رقم الحديث: ١٤ .

(٢) المجالسة وجواهر العلم للدينوري « لا يزال المرء عالما ما طلب العلم ، فإذا ظن أنه قد ...رقم الحديث: ٣١٢ .

يوم المعاد فعند الجداد يتبين حلو الثمار من مرها ^(١).

• قال ابن بطلال - رحمه الله - : قال قتادة: إن الشيطان لم يدع أحدكم حتى يأتيه من كل وجه، حتى يأتيه من باب العلم، فيقول: ما تصنع بطلب العلم؟ ليتك تعمل بما قد سمعت، ولو كان أحد مكتفياً لاكتفى موسى - ﷺ - حيث يقول: { هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا } ^(٢)، وعن ابن عباس، قال: " سَأَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَقَالَ : أَيُّ رَبِّ ، أَيُّ عِبَادِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الَّذِي يَذْكُرُنِي وَلَا يَنْسَانِي ، قَالَ : فَأَيُّ عِبَادِكَ أَقْضَى ؟ قَالَ : الَّذِي يَقْضِي بِالْحَقِّ وَلَا يَتَّبِعُ الْهَوَى . قَالَ : أَيُّ رَبِّ أَيُّ عِبَادِكَ أَعْلَمُ ؟ قَالَ : الَّذِي يَتَّبِعِي عِلْمَ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ ، عَسَى أَنْ يُصِيبَ كَلِمَةً تَهْدِيهِ إِلَى هُدًى ، أَوْ تَرُدَّهُ عَنْ رَدًى ، قَالَ : رَبِّ فَهَلْ فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ ؟ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : أَظُنُّهُ قَالَ : أَعْلَمُ مِنِّي ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : رَبِّ ، فَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ : الْخُضْرُ ، قَالَ : وَأَيْنَ أَطْلُبُهُ ؟ قَالَ : عَلَى السَّاحِلِ عِنْدَ الصَّخْرَةِ الَّتِي يَنْفَلِتُ عِنْدَهَا الْحُوثُ ، قَالَ : فَخَرَجَ مُوسَى يَطْلُبُهُ حَتَّى كَانَ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَانْتَهَى مُوسَى إِلَيْهِ عِنْدَ الصَّخْرَةِ ، فَسَلَّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَسْتَصْحِبَنِي ، قَالَ : لَنْ تَطِيقَ صُحْبَتِي ، قَالَ : بَلَى ، قَالَ : فَإِنْ صَحِبْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ، فَاَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ، قَالَ : (أَخْرَقْتُهَا لِتُغْرِقَ

(١) الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن .

(٢) سورة الكهف - الآية ٦٦ .

أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * إِلَى قَوْلِهِ : لَا تَخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا ^(١) ، قَالَ : فَكَانَ قَوْلُ مُوسَى فِي الْجِدَارِ لِنَفْسِهِ وَلِطَلَبِ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا ، وَكَانَ قَوْلُهُ فِي السَّفِينَةِ وَفِي الْغُلَامِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قَالَ : (هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَابِقٌ بَتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) ^(٢) ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ اللَّهُ : أَمَّا السَّفِينَةُ الْآيَةُ ، وَأَمَّا الْغُلَامُ ، الْآيَةُ ، وَأَمَّا الْجِدَارُ الْآيَةُ ، قَالَ : فَسَارَ بِهِ فِي الْبَحْرِ حَتَّى انْتَهَى بِهِ إِلَى مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ ، وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ مَكَانٌ أَكْثَرَ مَاءً مِنْهُ ، قَالَ : وَبَعَثَ رَبُّكَ الْخُطَّافَ ، فَجَعَلَ يَسْتَقِي مِنْهُ بِمَنْقَارِهِ ، فَقَالَ لِمُوسَى : كَمْ تَرَى هَذَا الْخُطَّافَ رَزَأَ مِنْ هَذَا الْمَاءِ ؟ قَالَ : مَا أَقَلَّ مَا رَزَأَ ! قَالَ : يَا مُوسَى ، فَإِنْ عِلْمِي وَعِلْمُكَ فِي عِلْمِ اللَّهِ كَقَدْرِ مَا اسْتَقَى هَذَا الْخُطَّافُ مِنْ هَذَا الْمَاءِ ، وَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ حَدَّثَ نَفْسَهُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَعْلَمَ مِنْهُ ، أَوْ تَكَلَّمَ بِهِ ، فَمِنْ ثَمَّ أَمَرَ أَنْ يَأْتِيَ الْخُضِرَ ^(٣) ، " وَقِيلَ مَا أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِزِيَادَةِ الطَّلَبِ فِي شَيْءٍ إِلَّا فِي الْعِلْمِ ، وَقَدْ طَلَبَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - الزِّيَادَةَ فَقَالَ : ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ ^(٤) (١) .

(١) سورة الكهف - الآيات من ٧١ : ٧٧ .

(٢) سورة الكهف - الآية ٧٨ .

(٣) تاريخ الطبري « قصة الخضر وخبره وخبر موسى وفتاه يوشع عليهم السلام ... رقم الحديث : ٣٢٦ .

(٤) سورة الكهف - الآية ٦٦ .

• قال الخطيب البغدادي: وهل أدرك من أدرك من السلف الماضين الدرجات العلى إلا بإخلاص المعتقد، والعمل الصالح، والزهد الغالب في كل ما راق من الدنيا، وهل وصل الحكماء إلى السعادة العظمى، إلا بالتشمير في السعي، والرضى بالميسور، وبذل ما فضل عن الحاجة للسائل والمحروم، وهل جامع كتب العلم إلا كجامع الفضة والذهب؟! وهل المنهوم بها إلا كالخريص الجشع عليهما؟! وهل المغرم بحبها إلا ككائنها .

كما لا تنفع الأموال إلا بإنفاقها؛ كذلك لا تنفع العلوم إلا لمن عمل بها ، وراعى واجباتها ، فليتنظر امرؤ لنفسه، وليغتنم وقته فإن الثواء قليل، والرحيل قريب، والطريق مخوف، والاعتزاز غالب، والخطر عظيم، والناقد بصير، والله تعالى بالمرصاد ، وإليه المرجع والمعاد ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٢)(٣).

• إذا حدثت القوم فلا تُقبل على واحد منهم، ولكن اجعل لكل واحد منهم نصيبا، ولا تكثر الالتفات، وإذا جلست فلا تتكبر على أحد، وَتَحْفَظْ مِنْ تَشْبِيكِ أَصَابِعِكَ، ومن العبث بلحيتك، ومن اللعب بخاتمك، وتحليل أسنانك، وإدخال أصبعك في أنفك، وكثرة بصاقتك، وكثرة التمطي والثأؤب في وجوه الناس وفي الصلاة، وليكن مجلسك هادئا، وحديثك منظوما مرتبا، وأصغ إلى كلام مُجالسك، واسكت عن

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال.

(٢) سورة الزلزلة ٧ ، ٨ .

(٣) كتاب اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي .

المضاحك، ولا تتصنع تصنع المرأة في التزين، ولا تلح في الحاجات، ولا تشجع أحدا على الظلم، وإذا خاصمت فأنصف، وتحفظ من جهلك، وتجنب عجلتك وتفكر في حجتك، ولا تكثر الإشارة بيدك، ولا الالتفات إلى من وراءك، وهدأ غضبك ثم تكلم، وإياك وصديق العافية فإنه أعدى الأعداء، ولا تجعل مالك أكرم من عرضك، والتزم ترك الغيبة، ومجانبة الكذب، وصيانة السر، وتهذيب الألفاظ، ولا تجالس العامة فإن فعلت فأدب ذلك: ترك الخوض في حديثهم، وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم، والتغافل عما يجري من سوء ألفاظهم، وإياك أن تمازح لبيبا أو سفيها، فإن اللبيب يحقد عليك والسفيه يتجرأ عليك، ولأن المزاح يخرق الهيبة، ويذهب بهاء الوجه، ويعقب الحقد، ويذهب بحلاوة الإيمان والود، ويشين فقه الفقيه، ويجري السفيه، ويميت القلب، ويباعد عن الرب تعالى، ويكسب الغفلة والذلة، ومن بلي في مجلس بمزاح أو لغط فليذكر الله عند قيامه، فقد ورد عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ" (١)(٢).

• قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ الرَّازِي: عَلَى قَدْرِ حُبِّكَ لِلَّهِ يُحِبُّكَ الْخَلْقُ، وَعَلَى قَدْرِ خَوْفِكَ مِنَ اللَّهِ يَهَابُكَ الْخَلْقُ، وَعَلَى قَدْرِ شُغْلِكَ بِأَمْرِ اللَّهِ يُشْغَلُ فِي أَمْرِكَ الْخَلْقُ (٣).



(١) (صحيح) رواه الترمذي وغيره، انظر حديث رقم: ٦١٩٢ في صحيح الجامع.

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف.

(٣) (شعب الإيمان للبيهقي) الحادي عشر من شعب الإيمان وهو باب... رقم الحديث: ٩٤٠.

ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى

★ بعض الآيات الواردة في ذكر الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ

بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ (٥).

يقول الدكتور نعمان أبو الليل: (مبيناً آفاق ومعاني في هذه الآيات

الكريمة: (إِذْهَبْ) : تهدم السلبية وتبني النشاط والإيجابية.

(أَنْتَ وَأَخُوكَ) : تهدم الفردية وتبني الجماعة.

(بِآيَاتِي) : تهدم الجهل والعشوائية وتبني العلم والمنهجية.

(وَلَا تَنِيَا) : تهدم الكسل وتبني الهمة والتضحية.

(١) سورة الأنفال - الآية ٤٥، وسورة الجمعة - الآية ١٠.

(٢) سورة العنكبوت - الآية ٤٥.

(٣) سورة الأعراف - الآية ٢٠٥.

(٤) سورة الأعراف - الآية ٢٠٥.

(٥) سورة طه - الآية ٤٢.

(في ذِكْرِي) : تهدم المادية وتبني الروحانية الربانية .

آية واحدة من كتاب الله تكفلت لنا بمنهج حياة فكيف بالقرآن كله؟! (١) .

★ بعض الأحاديث الواردة في ذكر الله تعالى :

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ " رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ : جُمْدَانُ ، فَقَالَ : " سِيرُوا ، هَذَا جُمْدَانُ ، سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ " قَالُوا : وَمَا الْمُفْرَدُونَ ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : " الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ " رَوَاهُ مُسْلِمٌ .
وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ ، وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ " مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ، ذَكَرْتُهُ فِي مَالٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا : هَلُمُّوا إِلَيْنَا حَاجَتُكُمْ " قَالَ : " فَيُحْفَوْنَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا " قَالَ : " فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ :

(١) الأنوار النعمانية ج ١ - بقلم المؤلف .

مَا يَقُولُ عِبَادِي ؟ قَالَ: " يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيُحَمِّدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ " قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي ؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ قَالَ: " فَيَقُولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي ؟ " قَالَ: فَيَقُولُونَ: "لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا " قَالَ: فَيَقُولُ فَمَا يَسْأَلُونَ ؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، قَالَ: " يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا ؟ فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ: " فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً . قَالَ: فَمِمَّ يَعُودُونَ ؟ " قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ " قَالَ: " يَقُولُ: فَهَلْ رَأَوْهَا ؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا ؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا خَافَةً " قَالَ: فَيَقُولُ: " فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ عَفَرْتُ لَهُمْ " . قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فَلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ . قَالَ: هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى جَلِيسُهُمْ " رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَفِي رِوَايَةٍ مُسْلِمٍ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فَضَلًا يَبْتَغُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنَحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ، وَهُوَ أَعْلَمُ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيُهَلِّلُونَكَ ، وَيُمَجِّدُونَكَ، وَيُحَمِّدُونَكَ، وَيَسْأَلُونَكَ. قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي ؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا

جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيُّ رَبِّ قَالَ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ .
قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ:
فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: يَسْتَغْفِرُونَكَ " قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فَأَعْطَيْتُهُمْ
مَا سَأَلُوا، وَأَجْرُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا قَالَ: يَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، وَإِنَّمَا مَرَّ
فَجَلَسَ مَعَهُمْ. قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ، هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْفَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ".

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِخَيْرِ
أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ؟ وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ؟ وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ
الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ؟ وَخَيْرٍ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا
أَعْنَاقَكُمْ " قَالُوا: بَلَى. قَالَ: ذَكَرَ اللَّهُ "رَوَاهُ مَالِكٌ، وَأَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ
مَاجَهَ، إِلَّا أَنَّ مَالِكًا وَقَفَهُ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " خُذُوا جُنَّتَكُمْ ". قَالُوا:
يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ عَدُوٍّ قَدْ حَضَرَ؟! قَالَ: لَا، وَلَكِنْ جُنَّتَكُمْ مِنَ النَّارِ، قُولُوا: "سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ"؛ فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
مُجَنَّبَاتٍ، وَمُعَقَّبَاتٍ، وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ (١).

(١) رواه النسائي - واللفظ له -، والحاكم، والبيهقي، وقال الحاكم: " صحيح على
شرط مسلم "، وكذا رواه الطبراني في "الأوسط"، وزاد: وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.
ورواه في "الصغير"، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه فجمع بين اللفظين، فقال:
وَمُنْجِيَاتٌ وَمُجَنَّبَاتٌ. وإسناده جيد قوي.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، قَالَ : جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ ؟ فَقَالَ : " طُوبَى لِمَنْ طَالَ عُمُرُهُ ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ " قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : " أَنْ تُفَارِقَ الدُّنْيَا وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ " رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ (١).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ إِذَا لَقِيَ الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِهِ ، يَقُولُ : تَعَالَ نُؤْمِنُ بِرَبِّنَا سَاعَةً ، فَقَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لِرَجُلٍ : فَعَضِبَ الرَّجُلُ ،

الشرح:- قوله ﷺ: (جُنْتَكُمْ): الجنة - بضم الجيم وتشديد النون - هي: السَّتر والوقاية، أي: خذوا ما يستركم ويقيكم؛ لأنَّ المؤمن في حربٍ مع الشَّيْطَان وهو النفس الذَّين يقودان إلى النَّار.

ومنه " المِجَن " للدَّرْع من الحديد يلبسه المقاتل؛ لأنَّه يستره من ضربات السيِّف. فذكر الله عزَّ وجلَّ سائرَ واقٍ من الوقوع في الشَّهوات، ومن أهوال يوم القيامة، ومن دخول النَّار. (مَجْنَبَات): هذا من أوصاف الجيش، قال في "لسان العرب": "والمَجْنَبَتان من الجيش: الميمنة والميسرة، والمَجْنَبَة - بفتح النُّون -: المقدَّمة، ويقال: أرسلوا مَجْنَبَتَيْن: أي كَتِيبَتَيْن أخذتا ناحيتي الطَّرِيق ". فذكر الله تعالى يُجَنَّب أي: يُبَاعَد بين المسلم وما يعترض طريقه إلى الله جلَّ جلاله. وأما قوله ﷺ: (معقبات)، فجمع معقَّب، وهو كلُّ ما جاء بعد ما قبله.

ومنه ما رواه مسلم عن كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: مُعَقَّبَاتٌ لَا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ، أَوْ فَاعِلُهُنَّ، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ: ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَسْبِيحَةً، وَثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ تَكْبِيرَةً.

وسمَّيت هذه الأذكار في هذا الحديث بذلك؛ لأنَّها تأتي خلف المؤمن لتحفظه، كما قال تعالى عن الملائكة: { لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ }.

(١) الأحاديث في فضل الذكر من كتاب مشكاة المصابيح - كتاب الدعوات - باب ذكر الله عز وجل والتَّقَرُّبُ إِلَيْهِ ٦٩٨/٢.

فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَلَا تَرَى إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ يُرَغِّبُ عَنْ
إِيمَانِكَ إِلَى إِيْمَانِ سَاعَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ رَوَاحَةَ، إِنَّهُ يُحِبُّ الْمَجَالِسَ
الَّتِي تُبَاهَى بِهَا الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ (١). وكذلك كان يفعل معاذ بن جبل رضي
الله عنهما.

الذكر لغة:

مصدر ذكر الشيء يذكره ذكراً وذكراً، وأصل الذكر في اللغة التنبيه
على الشيء، ومن ذكرك شيئاً فقد نبّهك عليه، وإذا ذكركته فقد نبّهته عليه (٢).
ويأتي لمعان:

١ – الشيء يجري على اللسان، أي: ما ينطق به، يقال: ذكرت الشيء أذكره
ذكراً وذكراً إذا نطقت باسمه أو تحدّثت عنه، ومنه قوله تعالى: { ذِكْرُ رَحْمَتِ
رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِياً } (٣).

٢ – استحضار الشيء في القلب، ضد النسيان، قال تعالى حكاية عن فتى
موسى عليه الصلاة والسلام: { قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ
الْحُوتَ وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ } (٤) ..

(١) مسند أحمد بن حنبل «مُسْنَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ ...» «بَاقِي مُسْنَدِ الْمُكْثَرِينَ مِنْ
الصَّحَابَةِ» _ رقم الحديث: ١٣٥٢٥.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات ٣ / ١١١.

(٣) سورة مريم _ الآية ٢.

(٤) سورة الكهف _ الآية ٦٣.

معنى الذكر: استحضار عظمة الله تعالى ومحبه، ولذا تلهج الألسنة بذكره.

وللذكر في الشرع معنيان:

أ- معنى عام: ويشمل كل أنواع العبادات:

قال ابن تيمية (رحمه الله): كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ اللِّسَانُ وَتَصَوَّرَهُ الْقَلْبُ بِمَا يُقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ تَعَلُّمٍ عِلْمٍ وَتَعْلِيمٍ وَأَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ وَنَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ فَهُوَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ (١).

وقال ابن القيم (رحمه الله): عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِهِ ، وَقَالَ : (يَا مُعَاذُ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ ، فَقَالَ : أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدْعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ) (٢) وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالذِّكْرِ مُجَرَّدُ الذِّكْرِ اللِّسَانِ بَلِ الذِّكْرُ الْقَلْبِيُّ وَاللِّسَانِيُّ وَذَكَرَهُ يَتَضَمَّنُ ذِكْرَ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَذَكَرَ أَمْرَهُ وَنَهْيِهِ وَذَكَرَهُ بِكَلَامِهِ وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ مَعْرِفَتَهُ وَالْإِيمَانَ بِهِ وَبِصِفَاتِ كَمَالِهِ وَنَعُوتِ جَلَالِهِ وَالثَّنَاءَ عَلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الْمَدْحِ وَذَلِكَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِتَوْحِيدِهِ فَذَكَرَهُ الْحَقِيقِيُّ يَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيَسْتَلْزِمُ ذِكْرَ نِعْمِهِ وَآلَائِهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَى خَلْقِهِ

(١) مجموع الفتاوى (٦٦١/١٠).

(٢) رواه أبو داود (١٥٢٢) وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ورواه النسائي (١٣٠٣) بلفظ: (فَلَا تَدْعُ أَنْ تَقُولَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ رَبِّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ) وصححه الألباني في صحيح النسائي.

وَأَمَّا الشُّكْرُ فَهُوَ الْقِيَامُ بِطَاعَتِهِ وَالتَّقَرُّبُ إِلَيْهِ بِأَنْوَاعِ مَحَابِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَهَذَانِ الْأَمْرَانِ هُمَا جَمَاعُ الدِّينِ فَذَكَرَهُ مُسْتَلْزِمٌ لِمَعْرِفَتِهِ وَشَكَرَهُ مُتَضَمِّنٌ لَطَاعَتِهِ وَهَذَانِ هُمَا الْغَايَةُ الَّتِي خُلِقَ لِأَجْلِهَا الْجَنُّ وَالْإِنْسُ وَالسَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَوُضِعَ لِأَجْلِهَا الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ وَهِيَ الْحَقُّ الَّذِي بِهِ خُلِقَتْ (١).

وقال العلامة عبد الرحمن بن سعدي (رحمه الله): وإذا أطلق ذكر الله شمل كل ما يقرب العبد إلى الله من عقيدة أو فكر أو عمل قلبي أو عمل بدني أو ثناء على الله أو تعلم علم نافع وتعليمه ونحو ذلك، فكله ذكر لله تعالى (٢).
ب- معنى خاص: وهو ذكر الله: بالألفاظ التي وردت في الكتاب والسنة، سواء كانت مقيدة أو مطلقة.

مقصد الذكر:

(١) الحصول على معية الله: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذَرَاعًا

(١) كتاب الفوائد لابن القيم - فصل مبنى الدين على قاعدتين الذكر والشكر - ص ١٢٨ ، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.
(٢) الرياض النضرة (ص ٢٤٥).

وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً " متفق عليه (١).

(٢) استحضر عظمة الله تعالى في القلب.

(٣) مجالسة الرحمن: ففي الحديث القدسي: " أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي " (٢).

(٤) بذكر الله يخرج من قلوبنا التأثير بالمخلوق ويدخل فيها التأثير بالخالق.

(٥) وبين الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (رحمه الله) في رسالته

(١) رياض الصالحين - كتاب الأذكار _ باب الذكر والحث عليه .

(٢) رواه الدَّيْلَمِيُّ بِلا سَنَدٍ عَنْ عَائِشَةَ مَرْفُوعًا بِهَذَا، وعند البيهقي في الذكر من شعب الإيمان عن أبي بن كعب قال: قال موسى عليه السلام: يا رب أقرب أنت فأناجيك، أو بعيد فأناديك ، فقال له: يا موسى ؟ أنا جليس من ذكرني ، ونحوه عند أبي الشيخ في الثواب من جهة عبد الله بن عمير عن كعب ، وهو في سابع عشر المجالسة من حديث ثور بن يزيد عن عبيدة قال: لما كلم الله عز وجل موسى عليه الصلاة والسلام يوم الطور كان على موسى جبة من صوف، مخلل بالعيدان، محزوم وسطه بشريط ليف، وهو قائم على جبل، وقد أسند ظهره إلى صخرة من الجبل، فقال الله: يا موسى إني قد أقمتك مقاما لم يقم أحد قبلك، ولا يقومه أحد بعدك، وقربتك نجيا، قال موسى: إلهي ولم أقمتني هذا المقام ؟ قال: لتواضعك يا موسى، قال: فلما سمع لذاذة الكلام من ربه نادى موسى: إلهي أقرب فأناجيك أم بعيد فأناديك ، قال: يا موسى، أنا جليس من ذكرني، وللبيهقي في موضع آخر عن شعبة من جهة أبي أسامة، قال: قلت لمحمد بن النضر: أما تستوحش من طول الجلوس في البيت، فقال: ما لي أستوحش وهو يقول: أنا جليس من ذكرني، وكذا أخرجه أبو الشيخ من جهة حسين الجعفي قال: قال محمد بن النضر الحارثي لأبي الأحوص: أليس تروي أنه قال: أنا جليس من ذكرني ؟ فما أرجو بمجالسة الناس.

التي أرسلها إلى جماعة الحج والعمرة: المقصود من الذكر وكيفية الحصول عليه: وحتى يأتي فينا التوجه إلى الله في كل عمل من الأعمال نذكر الله تعالى "أَنَا مَعَ عَبْدِي إِذَا ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَّتَاهُ" (١).

ومع مداومة العبد لذكر الله، الله يرزقه محبته وخشيته ومعرفته، ويجعل له حصنا من الشيطان.

فحتى نتحصل على التوجه نرغب الناس لذكر الله ونراقب أنفسنا بأن الله يرانا، وندعو الله يرزقنا حقيقة الذكر.

والهدف الأسمى من (ذكر الله تعالى) هو إحياء جميع ما جاء به النبي محمد ﷺ ، وذلك بنفس الأساليب التي اختارها النبي ﷺ وصحابته رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وإذا لم يكن هذا هو الهدف الحقيقي من (الذكر) فلا يفيد (الذكر) بجميع أشكاله وأنواعه أبداً، فعن عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيِّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عُمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ ». صحيح البخاري.

ونظراً لذلك فقد منع العلماء تعليم (الذكر) لغير أهله، وهم الذين

(١) رواه البخاري في الصحيح تعليقاً، وقد أسندها في كتاب خلق أفعال العباد، ورواه ابن ماجة، والطبراني، وأحمد، وابن حبان، وابن راهوية، وأبو يعلى ، والحاكم .

يستخدمون الذكر مراعاة للناس أو للأغراض المادية.

يقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): لا يجوز تعليم الأذكار لغير أهلها، لأنهم لا يقدرّون الذكر، ولا يفهمون حقيقته حيث يستخدمونه لأغراض مادية، فلا يفيدهم الذكر، بل بسبب سوء استغلاله يدفعون أنفسهم إلى الظلام الحالك، وابتعدون عن الحق والصفات المحمودة، ويتقربون إلى الصفات المذمومة، فالذكر مع تصحيح النية والإخلاص والزهد والتقوى والتوكل، روح وحياة الصفات المحمودة، والالتزام بمثل هذا النوع من (الذكر) موت للصفات الذميمة فالهدف الأسمى هو نشر- التعاليم الإلهية وترسيخها في القلوب والأذهان على مستوى البشرية كلها، ولن يتحقق هذا الهدف إلا إذا قام كل واحد لطلب علم الدين، واستمر في الحصول عليه، والتزم بتكرار ومذاكرة ما حصل عليه من المعرفة والتفقه في الدين، لترسخ التعاليم الإلهية في أعماق القلب، وتتعود عليها الجوارح، فيقوم بإبلاغها إلى كل من لم تبلغه بعد بقدر المستطاع .

فالحصول على العلوم النبوية وتكرارها ومذاكرتها وإبلاغها إلى الآخرين، كل هذه الصفات المحمودة هي عنوان (العلم والذكر والتذكير) ومغزاها، في منهج الدعوة والتبليغ، والمقصود أن ترسخ حقائق التعليم الإلهية في القلوب، وتتعود الجوارح عليها، وتعم في جميع أنحاء العالم، حتى يقضى- على الفتنة والفساد، ويكون الدين كله لله، وتتكون أمة صالحة مخلصّة يدعون إلى الخير

ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ملتزمين بمنهج محمد ﷺ، متفانين فيه مثل أصحابه رضى الله عنهم ، تلك هي الغاية الأسمى، وذلك هو الهدف الأعلى والأجل.

وفي رسالة قدمها الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) : إلى الملك عبدالعزيز الأول ، ملك المملكة العربية السعودية طيب الله ثراه ، يشرح سبب اختيار الذكر في منهجه العملي للدعوة والتبليغ، يقول: الذكر هو الإكثار من تلاوة القرآن بتدبر وإمعان وفهم على قدر الاستطاعة، كلما سنحت الفرصة، لأنه مصدر للهداية، ومُنزل من الله تعالى، لتعميم الخير وإرشاد البشر- في سائر أنحاء المعمورة، لكل زمان وفي كل مكان، فتلاوته مع الفهم لمعانيه، والاعتبار لغاياته، سعادة للمرء وفوز كبير.

وقد تدرج الشيخ محمد إلياس في منهجه في ترتيب مبادئ الدعوة إلى الله ، وذلك حيث إن الإنسان إذا عرف حقيقة نفسه وحقيقة الكون وما فيه، وحقيقة خالق السماوات والأرض؛ فعليه أن يؤمن بقلبه بتلك الحقائق ويقرها بلسانه، ويشهد إيمانه بعمله، ويستمر في هذه الأمور الإيمانية، ساعياً نحو التقدم في المعرفة، فلا يمكن التقدم فيها إلا بترسيخ حقائق تلك الهداية في القلب، ولا يمكن ترسيخها إلا بطلب العلم، ومذاكرته بصفة مستمرة، حيث يقوم بمذاكرته لنفسه، وللتذكير أمام الناس، فهذه هي الدعوة وهذا هو التبليغ وهذا هو العلم والذكر.

وإذا فهمنا كل ما سبق ذكره، وعرفنا معنى العلم والذكر، فنقول: إن القرآن كله ذكر، وأن قارئ القرآن وحافظه وعالمه والعامل به، ذاكر ومبلغ ما جاء في القرآن، وإبلاغ ما جاء في القرآن الكريم إلى الآخرين أو دعوتهم إليه (تذكير). أما الأذكار المسنونة والنقلية من التسبيحات والأوراد السالف ذكرها أهميتها بعد ذلك، كمساعد في أداء تلك المهمة العظمى، ووصولها إلى الهدف المنشود.. وتصون تلك الأعمال الجليلة وتحميها من المؤثرات الخارجية المكروهة، ومكائد الشيطان الخبيثة، مثل النسيان والإهمال والغفلة، أو الوقوع في البدع والخرافات، أو استغلال تلك الأعمال النبيلة في سبيل أهواء النفس وما إلى ذلك من الأوهام والمفاسد الرذيلة

ونظراً لتلك الحاجة الملحة، علينا أن نسعى إلى الالتزام بكثرة تلاوة القرآن الكريم، مع فهم معانيه بصفة الاستمرار، ونجدد دائماً إيماننا بذكر الله، وذلك بتكرار لا إله إلا الله، باللسان والعمل والتسبيح، وبالأوراد الماثورة، حتى لا تنقطع هذه الصلة المباركة، وتظهر بركاتنا في كل أعمالنا، وفي جميع شئون حياتنا.

وبعد أن مضى أكثر من مائة عام على تقديم هذا المنهج العملي في الدعوة والتبليغ، نرى أنه لو اهتم العلماء المتخصصون بدراسة عميقة لهذا المنهج وعنى بها المختصون مع الإخلاص والأمانة العلمية، سيجدون أقوى المناهج الإصلاحية التي قدمت في القرون الأخيرة لنشر الدعوة الإسلامية وتبليغها،

كما سيتضح لهم أن خبرات الشيخ محمد إلياس واطلاعه ودراسته في مجال الدعوة الإسلامية والإصلاح الديني ، كانت جلية وواسعة وعميقة وفريدة في أهل زمانه حيث ظهرت فاعليتها في منهجه العملي – المقدم في مجال الإصلاح الديني الكامل للفرد والمجتمع – المأخوذ من المنابع الأصلية للإسلام (الكتاب والسنة وأعمال الصحابة في هذا المجال) بكل عناية ودقة بالغتين، وذلك من حيث الأخذ والاستنباط، والتعليم والإفهام، والتطبيق العملي على الواقع الحاضر الموجود وفيما يلي نذكر بعض النقاط الرئيسية التي تعتبر خلاصة للمحور الأساسي الذي يدور حوله منهج الشيخ محمد إلياس في صفة (العلم والذكر) وهى:

فعلى الإنسان أن يبذل جهوده لترسيخ حقائق الإيمان ب (ذكر الله) ويذكر الله ذكرا كثيرا بجميع أشكاله وأنواعه.

القيام بتحديد (الإيمان) - بصفة مستمرة - بذكر الله ، حتى يصل الإنسان في صلاته وحياته وأعماله إلى درجة الإحسان.

مصاحبة (ذكر الله) في جميع الأعمال والأوقات.

من وفقه الله لنعمة (العلم) و (العمل به) فعليه أن يحافظ عليها بذكر الله.

وإذا قام الإنسان بعمل صالح فعليه أن يستعين بالله بذكره.

على المسلم أن يذكر ربه عند كل محنة وبلاء وآفة.

الاهتمام الخاص ب (ذكر الله) أثناء الخروج في سبيل الله .
إذا خلا (الذكر) من الإخلاص والعلم ، وخرج عن إطار الكتاب والسنة
فلا يعتبر ذكرا لله ولا علاقة له بالإسلام، بل إنه ضلالة، وفرية الجهلاء
والمفسدين ، أعاذنا الله تعالى منه .
إن (ذكر الله) لا ينفع إلا بالإيمان الكامل والعلم الصحيح به ، وإشراف
العلماء الصالحين الربانيين .
إذا تحقق ذلك الأمر - بمعنى الكلمة - فإن القلب يتوجه - لا محالة - إلى
الصفات المحمودة الطيبة ، وتعتاد عليها الجوارح ، كما يقضى- على الصفات
المذمومة السيئة .
وهكذا عرفنا أن (ذكر الله) هو الأصل في حياة الإنسان وما خلق الله من
الأكوان والعوالم وما فيها، وأن ذكر الله أعلى وأقوى سلاح لإصلاح الفرد
والمجتمع، وهو الوسيلة الحقيقية للوصول إلى السعادة الكاملة الأبدية .
ولذلك لا يغفل أي مخلوق من خلق الله عن ذكره ، سواء أكان في البر أو
البحر أو في السماء أو في الملاء الأعلى، وقد أخبرنا بذلك سبحانه وتعالى : { تُسَبِّحُ
لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ
لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا } ^(١) .
هذا وقد يغفله الإنسان بسبب جهالته أو كفره أو لا تباع أهواء النفس

(١) سورة الإسراء - الآية ٤٤ .

الأمانة بالسوء، فينسى ذكر الله أو يتعد عنه ويقع في مكائد الشيطان، وقد أمر الله نبيه بالابتعاد عن مثل هذا الإنسان بقوله: {فَاعْرِضْ عَنْ مَّن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} (١)(٢).

الشيخ سعد هارون ، يقول : الذكر نوعان (اجتماعي وانفرادي) : مراد الذكر الاجتماعي تذكرة النظام الغيبي لله ، الذي به يخرج يقين المشاهدات من القلب .. والذكر بلفظ الجلالة (لا إله إلا الله) هذا ذكر انفرادي .

أهمية ذكر الله وحقيقته في منهج أهل الدعوة والتبليغ :

يقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): فعند بداية جميع الأعمال والحركات اليومية وعند نهايتها _ مثل النوم والإستيقاظ والأكل والشرب والقيام والقعود ودخول المسجد والخروج منه وأثناء الوضوء وغير ذلك من الأعمال _ يجب عليه أن يلتزم بالأدعية الماثورة ، لأن المسلم الحقيقي عندما يذكر ربه ويدعوه ويقرأ الدعاء يستحضر في قلبه عظمة الخالق سبحانه وتعالى وخضوع الكون له ، وتجديد عهده الذي تعهد به بالإيمان والصلاة وتحصيل العلم ، ويوفر من أوقاته ما تيسر له لتلاوة القرآن الكريم ويمعن في معانيه إذا كان له حظ باللغة العربية ، فيتلوه مراعيآ آدابه ، موقنا بأنه يؤثر في قلبه ويطهره ويزكي روحه من الخبث ويفتح له أبواب الفلاح والنجاح ، فالمطلوب هو :

(١) سورة الطور _ الآية ٢٩ .

(٢) أهمية العلم والذكر في الاسلام للشيخ عبد الخالق ببرزاده.

الإستمرار فى رحاب الذكر ، طبقا لما جاء فى الكتاب والسنة ، وتمسك به الصحابة - رضوان الله عليهم - فى حياتهم .

ويذكر الشيخ إحتشام الحسن ما رآه الشيخ محمد إلياس فى سر هذا الإستمرار والتكرار لذكر الله ، فيقول : إن الشيخ محمد إلياس قد إعتقد بأن الإنسان إذا كرر ذكر شىء على اللسان باستمرار فإنه يشعر بعلاقته بهذا الشىء ، أو بعبارة أخرى : إذا رسخ جمال شىء ما فى صميم القلب فاللسان يشتغل بذكره تلقائيا بالفطرة ، فالوسيلة المعروفة لتوطيد علاقة الإنسان بغيره هو أن يذكر باستمرار محاسنه بالإشتياق والرغبة والمحبة . فإذا بدأ الإنسان يحب أحدا أو يربط الحب بينه وبين آخر فلا ينساه أبدا أو يغفل عنه ، بل يذكره قائما وجالسا، أكلا وشاربا، نائما ومستيقظا، حيث يجعل ورد لسانه ذكره الذى يقلق فكره ويشده إلى لقاءه ، ويعمل كل ما يمكن له لإرضائه .

فكيف يطمئن قلب المرء دون (ذكر الله) ، والله سبحانه وتعالى هو القائل : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ ^(١). فبقدر ما تذكر فضائله فى القلب وعلى اللسان تزداد العلاقة به بنفس القدر ، وكما أن كمالات وجلالات الله لا تعد ولا تحصى ، فكذلك لا يوجد ساحل لبحر حبه ، ولذا فقد تأكد الشيخ محمد إلياس أنه للوصول إلى المنشود فى سبيل الدعوة والتبليغ يجب على الإنسان أن يشغل نفسه بذكر الله بصفة الإستمرار، فالقلب

(١) سورة الرعد - الآية ٢٨.

الذى لا يذكر ربه هو قلب ميت ، ولذا أمر سبحانه وتعالى عباده بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (١).

فالإنسان الذى ينسى (ذكر الله) ينسى نفسه ، ويصير غافلا عن خالقه ورازقه وربّه ومالكه ، والذى ينسى نفسه لا يمكن أن يكون إنسانا بل يكون حيوانا وحشيا ، يجب الإجتناّب منه ، حيث تتحول حياتك إلى ضنك مهما كان ماله أو ولده أو حسبه أو نسبه ، هذا فى الدنيا ، أما فى الآخرة فإنه يحشر أعمى لتعاميه عن ذكر الله فى الدنيا لقوله جل وعلا : { ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون } .

وقوله تعالى : { وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } (٢) ولهذا قال سبحانه وتعالى مؤكدا أهمية الذكر : { فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ } (٣).

قوة ذكر الله تعالى:

١. قوة الاستغفار: قال تعالى: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا) (٤) .، وقال تعالى: (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ

(١) سورة الأحزاب _ الآيتان ٤١ ، ٤٢ .

(٢) سورة طه _ الآية ١٢٤ .

(٣) سورة البقرة - الآية ١٥٢ .

(٤) سورة نوح _ الآيات من ١٠ : ١٢ .

عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (١).

٢. قوة لا حول ولا قوة إلا بالله: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: جَاءَ مَالِكُ الْأَشْجَعِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ: لَهُ أُسْرَ ابْنِي عَوْفٌ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : " أَرْسِلْ إِلَيْهِ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ يَأْمُرُكَ أَنْ تُكْثِرَ مِنْ قَوْلٍ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ". وَكَانُوا قَدْ شَدُّوهُ بِالْقِدِّ فَسَقَطَ الْقِدُّ عَنْهُ ، فَخَرَجَ ، فَإِذَا هُوَ بِنَاقَةٍ لَهُمْ فَرَكِبَهَا ، وَأَقْبَلَ فَإِذَا بِسَرَحِ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ شَدُّوهُ فَصَاحَ بِهِمْ ، فَاتَّبَعَ أَوْلَهَا آخِرَهَا ، فَلَمْ يَفْجَأْ أَبَوَيْهِ إِلَّا وَهُوَ يُنَادِي بِالْبَابِ ، فَقَالَ أَبَوَاهُ: عَوْفُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ. فَقَالَتْ أُمُّهُ: وَاسْوَأَتَاهُ. وَعَوْفٌ كَيْفَ يَقْدُمُ لِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْقِدِّ - فَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَالْخَادِمَ ، فَإِذَا عَوْفٌ قَدْ مَلَأَ الْفِنَاءَ إِبِلًا فَقَصَّ عَلَى أَبِيهِ أَمْرَهُ ، وَأَمَرَ الْإِبِلَ ، فَقَالَ أَبَوَاهُ : قِفَا حَتَّى آتِيَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فَاسْأَلَهُ عَنْهَا . فَآتَى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَأَخْبَرَهُ بِخَبَرِ عَوْفٍ ، وَخَبَرَ الْإِبِلِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : " اصْنَعْ بِهَا مَا أَحْبَبْتَ ، وَمَا كُنْتَ صَانِعًا بِمِثْلِكَ " وَنَزَلَ: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ).

الذكر وأقسامه عند العلامة الداعية الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي (رحمه الله):

أولاً : معنى الذكر: اعتقد الشيخ محمد إلياس أن الغفلة عن الذكر حرام ، وذلك لأهميته البالغة في حياة المسلم، وأن حدود الذكر لا تنحصر في إطار الذكر اللفظي أو اللساني، بل تحتوى كلمة (الذكر) على جميع الأحوال

والأعمال والأشغال والأوامر والنواهي التي وردت في الكتاب والسنة المطهرة، بحيث إذا أدت جميع تلك الأعمال امثالاً لأوامر الله ، وصاحبها التركيز القلبي بنفس النية فذاك هو الذكر، شريطة أن يكون إحياء صفة الإيمان والاحتساب هو العمل الأساسي في هذا الصدد، إذ أن أعمال المسلمين وعباداتهم ليست قليلة ، بل إن الإيمان والاحتساب غير متوافر فيهم - أي أن الناس يعبدون كثيراً ويقومون على كثير من الأعمال الصالحة ، ولكنها تنقص الإخلاص والإيمان الكامل والاحتساب .

ولهذا نقول بأنه كما يلزم الذكر اللساني واللفظي أثناء بذل الجهود والسعي في الدعوة إلى الله، كذلك يلزم تركيز القلب في ذكر الله ، وذلك بالامثال لجميع الأوامر الإلهية في الحياة حتى تنمو صفتا الإيمان والاحتساب، وكان هذا هو أسلوب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين إذ كانوا يلتزمون الذكر أثناء الدعوة والجهاد وفي جميع أعمال الحياة ومجالاتها، وهذا هو المطلب الوحيد لهذا العصر الذي نعيش فيه ، بأن نتخذ حياتهم قدوة حتى نتقدم إلى الأمام .

وكان الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) دائماً يؤكد في توجيهاته -
للمشتغلين في أعمال الدعوة والتبليغ في الداخل والخارج من البلاد - بكثرة الذكر والدعاء: فمثلاً يقول في رسالته إلى بعض تلاميذه المشتغلين بالدعوة: استمروا في هذا العمل - أي عمل الدعوة والتبليغ - ذاكرين ساجدين مكثرين فيه الدعاء، ومعتقدين بأنه أيسر وأقوى وسيلة لرضا الله ، فإن الروح

الحقيقي لأعمال الدعوة والتبليغ هو الذكر وكثرة الدعاء، وهما العجلتان الأساسيتان اللتان تسير عليهما عربة هذا العمل.

... ويقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) : أنيروا خلوتكم (١) بذكر اللسان والإخلاص، مستحضرين عظمة الله، وأنيروا جلوتكم (٢) بالدعوة إلى الحق.

ثانيا : الذكر الحقيقي: يقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) : إن الذكر الحقيقي هو : الالتزام بأداء جميع الأحكام والعبادات المفروضة لوقتها، والالتزام بجميع الأدعية والأوراد المأثورة، طبقا لما ورد في السنة الشريفة، حق الأداء، خاشعا لله معتقدا بفضائلها، وبما وعد الله من أجر وثواب فيها، فلكل ذكر فضائل وبركات ، وأنوار وأجر وثواب ، وردت كلها في السنة المطهرة.

هذا وقد اختار الشيخ محمد إلياس أساليب عديدة في إفهام حقيقة الذكر للناس كاستخدام العبارات المختلفة والأقوال المتنوعة لشرح هذا المفهوم، حتى يمكن للجميع فهم الحقيقة المطلوبة. فمثلا يقول: إن حقيقة الذكر هي عدم الغفلة، فأرفع الذكر وأسماءه هو (الاشتغال بالفرائض والأحكام الإلهية) ومن هذا المنطلق تكون نصرة الدين وبذل الجهود في نشره هي أفضل وأرفع درجات الذكر، شريطة أن تقترن بالامتثال الكامل للأوامر الإلهية، طبقا لما ورد

(١) الخلوة هي : أن يكون الإنسان منفردا في مكان ما ، ولا يكون معه أحدا .

(٢) الجلوة هي : ألا يكون الإنسان منفردا ، بل يكون مع الآخرين من الناس ..

في الكتاب والسنة، ويتمتع القائمين بها باليقين الكامل بما وعده الحق سبحانه وتعالى من أجر وثواب في هذا المجال ، فالذكر الحقيقي هو: أن يركز المسلم فكره تجاه الأوامر الإلهية في كل أمر من أمور الحياة وفي كل حال من الأحوال وكل لحظة من اللحظات، حيث يهتم بتنفيذ تلك الأوامر وهذا هو ما أقوله وأؤكد له لملائي.

ثالثاً: الذكر النفلي : رأينا فيما سبق أن الشيخ محمد إلياس قد اعتقد بكون جميع الأوامر الإلهية من قبيل (الذكر) ومن ثم استدل على وجوب الحصول على معرفته - أي الذكر - ، ووجوب القيام بأداء حقه ، كما أثبت بالدلائل القاطعة أن الغفلة في أداء تلك الفرائض والواجبات هي غفلة في حق الذكر الحقيقي.

وقد أخطأ العامة في فهم حقيقة معنى (الذكر) حيث حصروه في نوع معين منه (أي في ذكر الأوراد فقط). وحاول الشيخ محمد إلياس أن يؤكد للجميع أن ما يؤمن به هؤلاء السذج ما هو إلا (ذكر نفلي) ، قاصداً بذلك أن من أكثر الذكر النفلي - بصورته الصحيحة - وغفل عن الذكر الحقيقي، فلا قيمة لاشتغاله بهذا الذكر النفلي.

فما بالك بما أطلقه الناس على البدع والخرافات الوثنية اسم (الذكر) ؟ وقد أثبت لنا الشيخ محمد إلياس كذلك أن الذكر النفلي (الأوراد المسنونة) ما هو إلا لترسيخ حقائق الأوامر الإلهية في أعماق القلب وتعود

الجوارح على أدائها، وإنما المقصود الحقيقي من (الذكر) ما هو إلا الامتثال الكامل للأوامر الإلهية.

يقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): إن الذكر النفلي يختلف تماما عن الذكر الوجوبي، في المبادئ والأهداف، فالذكر الوجوبي، فرض واجب وإجباري، ويقوم المسلم بأدائه كأداء الواجب من حيث هو الواجب، ولا يمكن تركه بأي شكل من الأشكال ، كما لا يمكن الزيادة والنقصان في كيفية أدائه وتعداده وتحديد أوقاته، أما الذكر النفلي - الأوراد المسنونة وغير ذلك - فهو أمر اختياري لا يقوم به المسلم إلا في الأوقات المتبقية من أداء الواجبات والفرائض الشرعية وذلك حتى لا يشغل الإنسان بالأعمال التي لا تعنيه في حياته ، إذ أن الشيطان يسعى إلى أن يشغل هذا المسلم الذاكر - القائم بأداء واجباته الدينية - في أوقات الفراغ باللهو واللغو ، فللحفاظ على تلك البركات ، والبعد عن مؤثرات حملات الشيطان، ومحافظة على الرباط الذي يربط علاقته مع ربه ، يلزم الاهتمام بالذكر النفلي، فنوروا أوقاتكم بالذكر النفلي ، لكي لا يلهيكم الشيطان بالانشغال في اللغو، إن مواهب الأعمال الصالحة تزداد بالأذكار النفلية، فيتحفز الإنسان للانقياد للأمور الدينية ، وتضاء جميع أعماله بأنوارها، فركزوا الفكر في الذكر، مستحضرين عظمة الله في قلوبكم ، وما وعد به من أجر وثواب للأذكار النفلية، ولا تقبل الأذكار المفروضة - حتى الصلاة - بدون (حضور القلب) و (اليقين الكامل) بأنها أوامر الله، ويجب

أداءها، ولها الأجر والثواب عند الله ، ولتاركها وعيد وعذاب، فالقيام بالأذكار المفروضة دون حضور القلب يُعد من ذكر الجوارح وغفلة القلب.

ويقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): إن الذكر نوعان ذكر مقبول وذكر مردود، فالذكر المقبول والمحبوب عند الله هو: بذل الجهود في أن تكون جميع نواحي الحياة وأعمالها، كحياة الرسول ﷺ، وهذه هي حقيقة الإسلام، أما الذكر مردود فهو الذكر غير المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم.

رابعاً: الذكر للمبتدئين في مجال الدعوة والتبليغ: يقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): إن الذكر الواجب - للمبتدئين - هو تعلم قراءة (كلمة التوحيد) لمن لا يعرفون قراءتها، ثم قراءة القرآن الكريم، ثم تعلم ما جاء في القرآن من الأوامر والنواهي وفهم معانيها على الوجه المطلوب، أما الذكر النفلي فهو الاستمرار - ليلاً ونهاراً - في قراءة الأدعية والتسبيحات المأثورة، فإن النور يأتي في الصلاة - وغيرها من العبادات - بالذكر فالتزموا به .

خامساً : الذكر الخفي :

يقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): إن الذكر الخفي على نوعين، فالنوع الأول منه أن يذكر الإنسان ربه في الخلوة بصوت خفي ، ولا يكون هناك أحد سواه ، أما النوع الثاني من الذكر الخفي هو أن يذكر الله وسط الجموع ، حيث لا يشعر به أحد ولا يسمعه سواه ، ولهذا النوع درجات أرفع من الأول ، فالتزموا بالذكر خلال الدعوة.

وقد بلغ اهتمام الشيخ محمد إلياس بالعلم والذكر - في مجال الدعوة والتبليغ - الغاية، حيث كان يؤكد بكل ما أمكن له على هذين الأمرين، مبينا للناس أن الدعوة لا تعتبر دعوة إلا إذا صاحبها العلم والذكر، وأن التبليغ لن يكون تبليغا إلا إذا كان المبلغ عالما بما يبلغه ، وملتزما بذكر الله في حياته، وخاصة أثناء دعوته وإبلاغه .

وكذلك إذا تخلى الخارج في سبيل الله عن العلم والذكر، فإنه لا يعتبر خارجا في سبيل الله، بل يعتبر مجرد سائح خرج للنزهة فقط ، فلا أجر له ولا ثواب .
هذا وإن استمرت الغفلة عن العلم والذكر في أعمال الدعوة والتبليغ فلن يكون مآلها إلا إلى الفشل الذريع .

وإليك باقية من بعض أقوال الشيخ محمد إلياس في هذا المجال:
يقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): إن الخروج للدعوة بدون العلم والذكر يعتبر نزهة وسياحة، بلا أجر أو ثواب، وأدعو الله أن يبعدكم عن هذا الشر فإنه خسارة لا تعوض .

ويقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): لو لم يهتم الخارجون في سبيل الله اهتماما بالغاً بالعلم المصاحب لذكر الله، لذهبت جميع تلك الجهود سدى، وضاعت كل الأعمال، بل ويهددنا الخطر الجسيم بفتح أبواب الفتن والضلالات، بسبب الغفلة عن هذين الأمرين - العلم والذكر .

ويقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): إن ذهبتم إلى الفاسق أو الفاجر متحلين بالعلم وملتزمين بالذكر ، فستعودون بالفائدة - والثواب - وإن ذهبتم إليه رجاء جلب الأموال والأغراض المادية فسترجعون بالكفر.

هذا هو منهجنا ومنهج مشايخنا ومنهج أهل السنة والجماعة في مجال الدعوة والتبليغ، المأخوذ من منهج الكتاب والسنة وحياة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وهو منهج متفق عليه لدى جميع علماء الأمة ودعاتها .

وها نحن ندعو المخلصين جميعاً إلى التعرف على هذا المنهج المبارك الذى يعتبر الخروج في سبيل الله - بكل أنواعه وأشكاله - عبادة وجهاداً شريطة أن يكون مقترناً - هذا الخروج - بالإيمان الصادق والانقياد الكامل للأوامر الإلهية، مصاحباً العلم والذكر والإكرام والإخلاص

فسواء أكنت من الخارجين في سبيل الله أو من المعارضين لهم، أو من المحايدينأو من أي نوع من محبى إصلاح النفس وإصلاح الآخرين، عليك أن تمنع النظر في هذا المنهج الذى يدعو المؤمنين جميعاً إلى بذل الجهود في سبيل الله، وإحياء كل ما جاء به النبي الأمي صلى الله عليه وسلم .

وإذا وفقك الله لذلك فستعلم أن كل تلك الأساليب التي اختارها الشيخ محمد إلياس في إفهام حقائق هذه الأمور الجليلة ، لم تكن إلا ملخص ما جاء في الكتاب والسنة ، والتي إذا التزمت بها الأمة بالإيمان والإخلاص حق الالتزام ، يمكن لها الوصول إلى النجاح والسعادة التي لا سعادة بعدها.

سادسا : الذكر الأكبر : يقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): أكثرنا من

ذكر الله في الخلوة حتى تظهر آثارها في جميع الناس.

ويقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): إن الخروج في سبيل الله ليس إلا
لثلاثة أشياء رئيسية، وهى التعليم، والذكر، والتبليغ، أو بعبارة أخرى تحصيل
العلم، والعمل به، ثم الإبلاغ إلى الآخرين.

ويقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): إن الخروج في سبيل الله ليس
للإبلاغ فحسب، بل هي فرصة ذهبية ليتعلم الإنسان خلالها ما لم يتعلمه من قبل.

ويقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): إن لم يكن (علم الدين) لما بقى
الإسلام إلا اسما ورسما وتقليدا، لا روح فيه ولا معنى، لأنه لا يمكن العمل
بالدين إلا بالعلم والمعرفة به، فإن حصل المرء على المعرفة فإنها بغير الذكر
ظلمة هالكة، لا يجد فيها النور، كما أن ذكر الله بدون العلم - مهما بلغت كثرته
- لا يخلو من الخطر الداهم، ولن تؤتى الأعمال ثمارها المرجوة بسبب نقص
هذين الأمرين - العلم والذكر - فيها، لأن خلو الأعمال من هذين الأمرين
يعتبر نقصا جذريا في أساسها وأصولها.

ويقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): إنه إذا عرف الإنسان ما هو
العمل المطلوب منه عند الله، شغل نفسه به، امتثالا لأوامر الله، مركزا فكره إلى
الله في تأدية ما أمره به ربه، هذا هو الذكر.

ويقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): إن الأذكار النفلية خدمة للأذكار الواجبة، حيث تزداد قوة الأذكار الواجبة بسبب كثرة الأذكار النفلية والإخلاص فيها، فإن قوة الملك تركز على قوة خادميه فالذكر النفل والفرضي كلاهما متلازمان، وعليكم الالتزام بالاستمرار فيها.

ويقول الشيخ محمد يوسف الكاندهلوى (رحمه الله) في شرح معنى (حقيقة الذكر) : الذكر هو التكرار لما عرفه الإنسان من الإيمان وحقائق الصلاة أثناء تعلمه، حيث إن (تلاوة القرآن الكريم) وذكر (كلمة التوحيد) و (الصلاة على النبي ﷺ) والتسابيح والأدعية والاستغفار هي نفس الأشياء التي يكررها الإنسان في الصلاة، ويؤمن بها مصدقا بقلبه ومقرا بلسانه.

فتلك التسابيح والأوراد المقررة - في المنهج - يكررها الإنسان عند أداء معظم العبادات، أما تكرارها باسم (الذكر) بصفة الاستمرار والالتزام، في الأوقات الخالية عن العبادات المفروضة، فإنه يؤدي إلى استقرار حقيقة الإيمان في قلب المسلم، ويساعده على الوصول إلى درجة الإحسان في الصلاة.

ومن أهم كل تلك الأمور التي سبق ذكرها هو تأكيد الشيخ محمد إلياس على الالتزام بالمنهج السليم في مجال (العلم والذكر) بحيث إذا خرج المسلم عن المطلوب الإلهي ، فلا ينفعه (العلم) ولا (الذكر)، بل يقع فريسة البدع والخرافات التي اشتهرت باسم (العلم والذكر) ولا علاقة لها بالكتاب والسنة

، وإنما هي مكائد الشياطين القبوريين المأخوذة من الوثنيين أعداء الله وأعداء الدين .

فلذلك يجب الالتزام بالمنهج السليم - في أول الأمر وقبل كل شيء - ولا يمكن هذا الالتزام إلا إذا صاحبه إشراف علماء الدين المخلصين ، ونظرا لذلك أكد الشيخ محمد إلياس رحمه الله مرارا وتكرارا أنه لا يصح (طلب العلم) والاشتغال بالذكر بدون إشراف العلماء الصالحين .

ويقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): على الخارجين في سبيل الله أن يعرفوا تمام المعرفة، أن القصد من الخروج في سبيل الله، ليس (إبلاغ ما تم تعلمه من قبل) فحسب، بل المقصود الأول في هذا المجال هو إصلاح النفس (بالعمل) و (تحصيل العلم) و (التربية الدينية الكاملة) أثناء الخروج ، ولتحقيق تلك الأمور يجب الاهتمام ب (العلم والذكر) خلال تلك الفترة، حيث إنه لا معنى للخروج - في سبيل الله - بدون علم الدين ، والالتزام الحقيقي ب (ذكر الله) .

فالأمر المهم في هذا المجال هو ألا يكون هذا الاشتغال في (التعليم) و (الذكر) دون الاتصال المباشر المستمر بالمشرفين من العلماء الكبار المتخصصين في هذا المجال الجليل ، حيث لا تخرج مرحلة من مراحل (التعليم) و (الذكر) عن إشرافهم ورعايتهم وتعاليمهم الحكيمة، فإن تعليم الأنبياء وأعمالهم وأذكارهم كلها كانت تحت إشراف وهداية رب العالمين ، كما كان أصحاب

الرسول ﷺ يأخذون تعاليم الذكر والعلم من (محمد) ﷺ ، حيث كان النبي ﷺ يشرف عليهم إشرافا مباشرا وكاملا .

وكذلك كان حال أهل كل العصور بعد الصحابة، في أخذ (العلم والذكر) عن كبارهم من الأساتذة والعلماء الصالحين المخلصين، فعليكم بالاستمرار في إكمال مراحل أخذ العلم والذكر، مع التربية العملية وفق تعاليم العلماء الصالحين المتقين، لأن تعاليمهم السامية في هذا الميدان تجنب الإنسان أخطار الطريق، وتجعله قويا في تذليل العقبات ، كما تحميه من الوقوع في طريق الضلالة من بدع وخرافات .

وإننا لفي أشد الاحتياج - في كل خطوة من خطوات الدعوة للإسلام وأعماله - إلى تعليقات العلماء القيمة وإشرافهم الحكيم في كل زمان ومكان، وإذا لم يكن إشراف العلماء الصالحين العاملين بالكتاب والسنة، لهددنا الخطر بالوقوع في مصائد الشيطان .

ويقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): لا يمكن التقدم بدون (العلم والذكر) في مجال الإصلاح والتبليغ والدعوة، فالاتصال المباشر المستمر بأهل العلم الصالحين المخلصين وإشرافهم على جميع شئون الدعوة والتبليغ أمر واجب ولا يمكن لأحد الاستغناء عن هذا الإشراف (١) .

(١) أهمية العلم والذكر في الإسلام للشيخ عبد الخالق بيرزاده.

* أنواع الذكر:

- (١) **ذكر بالقلب:** وهو استحضار عظمة الله في القلب وعدم الغفلة.
 - (٢) **ذكر باللسان:** وهو التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل.. وذكر الأسماء والصفات ومعانيها، والثناء على الله بها، وتوحيد الله بها.. وذكر الأمر والنهي والحلال والحرام.. وذكر الآلاء والنعماء والإحسان والأياد.
 - (٣) **ذكر بالجوارح:** وهو جميع العبادات العملية.. فعن بعض العارفين قال: الذكر على سبعة أنحاء: فذكر العينين بالبكاء، وذكر الأذنين بالإصغاء، وذكر اللسان بالثناء، وذكر اليدين بالعطاء، وذكر البدن بالوفاء، وذكر القلب بالخوف والرجاء، وذكر الروح بالتسليم والرضا.
- * **وَالذِّكْرُ بَابُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ الْمَفْتُوحُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِهِ مَا لَمْ يُغْلِقْهُ الْعَبْدُ بِغَفْلَتِهِ.**
- * **قَالَ الْحُسَيْنُ الْبَصْرِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: تَفَقَّدُوا الْحُلَاوَةَ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: فِي الصَّلَاةِ وَفِي الذِّكْرِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنْ وَجَدْتُمْ وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّ الْبَابَ مُغْلَقٌ.**
- * **وَبِالذِّكْرِ يَصْرُعُ الْعَبْدُ الشَّيْطَانَ كَمَا يَصْرُعُ الشَّيْطَانُ أَهْلَ الْغَفْلَةِ وَالنَّسْيَانِ.**
- * **قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: ((إِذَا تَمَكَّنَ الذِّكْرُ مِنَ الْقَلْبِ؛ فَإِذَا دَنَا مِنْهُ الشَّيْطَانُ صُرِعَ كَمَا يُصْرَعُ الْإِنْسَانُ إِذَا دَنَا مِنْهُ الشَّيْطَانُ، فَتَجْتَمِعُ الشَّيَاطِينُ عَلَى الْمَصْرُوعِ مِنَ الشَّيَاطِينِ فَيَقُولُونَ: مَا هَذَا؟ فَيَقَالُ: قَدْ مَسَّهُ الْإِنْسِي)).**
- * **وَالذِّكْرُ رُوحُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَإِذَا خَلَا الْعَمَلُ عَنِ الذِّكْرِ كَانَ كَالْجَسَدِ الَّذِي لَا رُوحَ فِيهِ.**

* والذكر باللسان ينقسم إلي قسمين:

(١) **مقيّد:** هو ما قيد بزمان أو مكان أو حال كأذكار الصباح والمساء ودخول المسجد والخروج منه وأذكار الصلاة وغيرها من الأذكار المقيّدة.

(٢) **مطلق:** وهو ما لم يقيد كالتمسيح والتكبير والتحميد والتهليل.

* وَقَالَ الْإِمَامُ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيَمِ : والذكرُ فِي الْقُرْآنِ عَلَى عَشْرَةِ أَجْزَاءٍ:

الْأَوَّلُ: الْأَمْرُ بِهِ مُطْلَقًا وَمُقَيَّدًا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (١).

وَالثَّانِي: النَّهْيُ عَنْ ضِدِّهِ مِنَ الْغَفْلَةِ وَالنَّسْيَانِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٢).

وَالثَّلَاثُ: تَعْلِيْقُ الْفَلَاحِ بِاسْتِدَامَتِهِ وَكَثْرَتِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣).

وَالرَّابِعُ: الثَّنَاءُ عَلَى أَهْلِهِ وَالْإِخْبَارُ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَالذِّكْرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذِّكْرُتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٤).

(١) سورة الأحزاب - الآيتان ٤١، ٤٢.

(٢) سورة الأعراف - الآية ٢٠٥.

(٣) سورة الأنفال - الآية ٤٥.

(٤) سورة الأحزاب - الآية ٣٥.

وَالْحَامِسُ: الْإِخْبَارُ عَنْ خُسْرَانِ مَنْ هِيَ عَنْهُ بَغِيرُهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (١).

وَالسَّادِسُ: أَنَّهُ جَعَلَ ذِكْرَهُ سُبْحَانَهُ لَهُمْ جَزَاءً لِدُكْرِهِمْ لَهُ، كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (٢).

السَّابِعُ: الْإِخْبَارُ أَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (٣).

وَالثَّامِنُ: أَنَّهُ جَعَلَهُ خَاتِمَةَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ كَمَا كَانَ مِفْتَاحَهَا.. كَقَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا قُضِيَّتُمُ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ (٤)، وَخَتَمَ بِهِ شَعِيرَةَ الصِّيَامِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٥).

التَّاسِعُ: الْإِخْبَارُ عَنْ أَهْلِهِ بِأَتَمِّمْ أَهْلُ الْإِنْتِفَاعِ بِآيَاتِهِ، وَأَتَمِّمْ أُولُو الْأَلْبَابِ دُونَ غَيْرِهِمْ.

الْعَاشِرُ: أَنَّهُ جَعَلَهُ قَرِينَ جَمِيعِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَرُوحَهَا، فَمَتَى عَدِمَتْهُ كَانَتْ كَالْجَسَدِ بِلَا رُوحٍ.

وَخَتَمَ بِهِ الْحَجَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا قُضِيَّتُمْ مَنَسِكُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ

(١) سورة المنافقون_ الآية ٩.

(٢) سورة البقرة_ الآية ١٥٢.

(٣) سورة العنكبوت_ الآية ٤٥.

(٤) سورة النساء_ الآية ١٠٣.

(٥) سورة البقرة_ الآية ١٨٢.

أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴿١﴾.

الإخبار عن أهله بأنهم هم أهل الانتفاع بآياته، وأنهم أولو الألباب دون غيرهم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٢).

جعله الله قرين جميع الأعمال الصالحة وروحها، فمتى عدته كانت كالجسد بلا روح، كقرنه بالصلاة في قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (٣)، وقرنه بالجهاد كما في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٤). (٥).

★ وَقَدْ ذَكَرَ الْإِمَامُ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي كِتَابِهِ

الْعَظِيمِ ((الرَّابِلُ الصَّبِّ)) كَثِيرًا مِنْ فَوَائِدِ الذِّكْرِ مِنْهَا:

الْأُولَى: أَنَّ الذِّكْرَ يَطْرُدُ الشَّيْطَانَ وَيَقْمَعُهُ وَيَكْسِرُهُ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الذِّكْرَ يُرْضِي الرَّحْمَنَ - عَزَّ وَجَلَّ -.

(١) سورة البقرة - الآيتان ١٩٠ ، ١٩١ .

(٢) سورة الأعراف - الآية ٢٠٥ .

(٣) سورة طه - الآية ١٤ .

(٤) سورة الأنفال - الآية ٤٥ .

(٥) ((نصرة النعيم)) (٥/١٩٦١ - ١٩٦٦) .

الثالثة: أَنَّ الذِّكْرَ يُزِيلُ الْهَمَّ وَالْغَمَّ عَنِ الْقَلْبِ، وَيَجْلِبُ لِلْقَلْبِ الْفَرَحَ وَالشُّرُورَ وَالنَّشَاطَ.

الرابعة: أَنَّهُ يُقَوِّي الْقَلْبَ وَالْبَدَنَ.

الخامسة: أَنَّهُ يُنَوِّرُ الْوَجْهَ وَالْقَلْبَ.

السادسة: أَنَّ الذِّكْرَ يَجْلِبُ الرِّزْقَ.

السابعة: أَنَّهُ يَكْسُو الذَّاكِرَ الْمَهَابَةَ وَالْحَلَاوَةَ وَالنَّضْرَةَ.

الثامنة: أَنَّهُ يُورِثُ الْمَحَبَّةَ الَّتِي هِيَ رُوحُ الْإِسْلَامِ، وَقُطْبُ رَحَى الدِّينِ، وَمَدَارُ السَّعَادَةِ وَالنَّجَاةِ.

التاسعة: أَنَّ الذِّكْرَ يُورِثُ الْمُرَاقَبَةَ حَتَّى يَدْخُلَ فِي بَابِ الْإِحْسَانِ، فَيَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، وَلَا سَبِيلَ لِلْغَافِلِ عَنِ الذِّكْرِ إِلَى مَقَامِ الْإِحْسَانِ.

العاشرة - من فوائد الذكر -: أَنَّهُ يُورِثُ الْإِنَابَةَ وَالرُّجُوعَ إِلَى اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-.

الحادية عشرة: أَنَّ الذِّكْرَ يُورِثُ الْقُرْبَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَعَلَى قَدْرِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى يَكُونُ الْقُرْبُ مِنْهُ، وَعَلَى قَدْرِ الْغَفْلَةِ عَنِ الذِّكْرِ يَكُونُ بُعْدُ الْعَبْدِ عَنْ رَبِّهِ.

الثانية عشرة: أَنَّهُ يَفْتَحُ لَهُ بَابًا عَظِيمًا مِنْ أَبْوَابِ الْمَعْرِفَةِ، وَكُلَّمَا أَكْثَرَ مِنَ الذِّكْرِ؛ اَزْدَادَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ.

الثالثة عشرة: أَنَّهُ يُورِثُ الْهَيْبَةَ لِرَبِّهِ وَإِجْلَالَهُ، لِشِدَّةِ اسْتِيلَاءِ الذِّكْرِ عَلَى قَلْبِهِ وَحُضُورِ الْعَبْدِ مَعَ رَبِّهِ، بِخِلَافِ الْغَافِلِ فَإِنَّ حِجَابَ الْهَيْبَةِ رَقِيقٌ فِي قَلْبِهِ.

الرابعة عشرة - من فوائد الذكر -: أَنَّهُ يُورِثُ الذَّاكِرَ ذِكْرَ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ}، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الذِّكْرِ إِلَّا هَذِهِ لَكَفَى بِالذِّكْرِ فَضْلًا وَشَرَفًا.

الخامسة عشرة: أَنَّهُ يُورِثُ حَيَاةَ الْقَلْبِ.. قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- : ((الذِّكْرُ لِلْقَلْبِ مِثْلُ الْمَاءِ لِلسَّمَكَةِ، فَكَيْفُ يَكُونُ حَالُ السَّمَكِ إِذَا فَارَقَ الْمَاءَ؟))
السادسة عشرة: أَنَّ الذِّكْرَ قُوَّةُ الْقُلُوبِ وَرُوحُهَا.

السابعة عشرة: أَنَّهُ يُورِثُ جَلَاءَ الْقَلْبِ مِنْ صَدْنِهِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْقَلْبَ يَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ النُّحَاسُ وَالْفِضَّةُ وَغَيْرُهُمَا، وَجَلَاؤُهُ بِالذِّكْرِ، فَإِنَّهُ يَجْلُو الْقَلْبَ حَتَّى يَدَعُهُ كَالْمِرَاةِ الْبَيْضَاءِ، فَإِذَا تَرَكَ الْعَبْدُ الذِّكْرَ صَدَأَ قَلْبُهُ، فَإِذَا ذَكَرَ جَلَأَهُ، وَصَدَأُ الْقَلْبِ بِأَمْرَيْنِ: بِالْغَفْلَةِ، وَالذَّنْبِ؛ وَجَلَاؤُهُ بِشَيْئَيْنِ: بِالْإِسْتِغْفَارِ وَالذِّكْرِ. فَمَنْ كَانَتْ الْغَفْلَةُ أَغْلَبَ أَوْقَاتِهِ كَانَ الصَّدَأُ مُتْرَاكِماً عَلَى قَلْبِهِ، وَصَدْوُهُ بِحَسَبِ غَفْلَتِهِ.. وَإِذَا صَدَى الْقَلْبُ لَمْ تَنْطَبِعْ فِيهِ صُورُ الْمَعْلُومَاتِ عَلَى مَا هِيَ فِيهِ؛ فَيَرَى الْبَاطِلَ فِي صُورَةِ الْحَقِّ، وَالْحَقَّ فِي صُورَةِ الْبَاطِلِ، لِأَنَّهُ لَمَّا تَرَكَمَ عَلَيْهِ الصَّدَأُ أَظْلَمَ فَلَمْ تَظْهَرْ فِيهِ صُورُ الْحَقَائِقِ كَمَا هِيَ عَلَيْهِ.. فَإِذَا تَرَكَمَ عَلَيْهِ الصَّدَأُ إِسْوَدَ، وَرَكِبَهُ الرَّأْيُ فَفَسَدَ تَصَوُّرُهُ وَإِدْرَاكُهُ فَلَا يَقْبَلُ حَقًّا، وَلَا يُنْكِرُ بَاطِلًا، وَهَذَا أَعْظَمُ عُقُوبَاتِ الْقَلْبِ.

الثامنة عشرة: أَنَّهُ يَحُطُّ الْخَطَايَا وَيُذْهِبُهَا، فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْحَسَنَاتِ، وَالْحَسَنَاتُ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ.

التاسعة عشرة - مِنْ فَوَائِدِ الذِّكْرِ-: أَنَّهُ يُزِيلُ الْوَحْشَةَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ، فَإِنَّ الْغَافِلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَحْشَةٌ لَا تَزُولُ إِلَّا بِالذِّكْرِ.

العِشْرُونَ: أَنَّ مَا يَذْكُرُ بِهِ الْعَبْدُ رَبَّهُ مِنْ جَلَالِهِ وَتَسْبِيحِهِ وَتَهْلِيلِهِ وَتَحْمِيدِهِ تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا عِنْدَ الشَّدَّةِ.

الْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِذِكْرِهِ فِي الرَّخَاءِ؛ عَرَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الشَّدَّةِ.

الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: أَنَّ الذِّكْرَ مَنَجَاةٌ مِنَ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى.

الثَّلَاثَةُ وَالْعِشْرُونَ: أَنَّ الذِّكْرَ سَبَبٌ تَنْزِلُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَانِ الرَّحْمَةِ، وَحُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ بِالذَّاكِرِ كَمَا أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

الرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: أَنَّهُ سَبَبٌ انْشَغَالِ اللِّسَانِ عَنِ الْغِيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالْكَذِبِ وَالْفُحْشِ وَالْبَاطِلِ.

الخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ: مَجَالِسُ الذِّكْرِ مَجَالِسُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَجَالِسُ اللَّغْوِ وَالْغَفْلَةِ مَجَالِسُ الشَّيَاطِينِ.

السَّادِسَةُ وَالْعِشْرُونَ: أَنَّ الذِّكْرَ يَسْعِدُ الذَّاكِرَ بِهِ وَيَسْعِدُ بِهِ جَلِيسُهُ، وَهَذَا هُوَ الْمُبَارَكُ أَيْنَ مَا كَانَ، وَالْغَافِلُ يَشْقَى بِلُغْوِهِ وَغَفْلَتِهِ وَيَشْقَى بِهِ مُجَالِسُهُ.

السَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: أَنَّ الذِّكْرَ يُؤَمِّنُ الْعَبْدَ مِنَ الْحَسْرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

الثَّامِنَةُ وَالْعِشْرُونَ: أَنَّهُ مَعَ الْبُكَاءِ فِي الْخُلُوةِ سَبَبٌ لِإِظْلَالِ اللَّهِ تَعَالَى الْعَبْدَ يَوْمَ الْحَشْرِ الْأَكْبَرِ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ، وَالنَّاسُ فِي حَرِّ الشَّمْسِ قَدْ صَهَرَتْهُمْ فِي الْمَوْقِفِ، وَهَذَا الذَّاكِرُ مُسْتَظِلٌّ بِظِلِّ عَرْشِ الرَّحْمَنِ -جَلَّ وَعَلَا-.

التَّاسِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: أَنَّ الْإِشْتَغَالَ بِالذِّكْرِ سَبَبٌ إِعْطَاءِ اللَّهِ تَعَالَى الذَّاكِرَ أَفْضَلَ مَا يُعْطِي السَّائِلِينَ.

الثلاثون: أَنَّهُ أَيْسَرُ الْعِبَادَاتِ، وَهُوَ مِنْ أَحْلَاهَا وَأَفْضَلِهَا، فَإِنَّ حَرَكََةَ اللِّسَانِ أَخْفُ حَرَكَاتِ الْجَوَارِحِ وَأَيْسَرُهَا، وَلَوْ تَحَرَّكَ عُضْوٌ مِنْ أَعْضَاءِ الْإِنْسَانِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مِقْدَارَ حَرَكََةِ اللِّسَانِ لَشَقَّ عَلَيْهِ غَايَةُ الْمَشَقَّةِ، بَلْ لَا يُمَكِّنُ ذَلِكَ.

الحادية والثلاثون: أَنَّ الذِّكْرَ غَرَسُ الْجَنَّةِ.. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ)).
أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

الثانية والثلاثون: أَنَّ الْعَطَاءَ وَالْفَضْلَ الَّذِي رُتِبَ عَلَى الذِّكْرِ لَمْ يُرْتَبَ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ.

الثالثة والثلاثون: أَنَّ دَوَامَ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى يُوجِبُ الْأَمَانَ مِنْ لِسَانِهِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ شَقَاءِ الْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، فَإِنَّ نِسْيَانَ الرَّبِّ يُوجِبُ نِسْيَانَ نَفْسِهِ وَمَصَالِحِهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (١).

الرابعة والثلاثون: أَنَّ الذِّكْرَ يُسَيِّرُ الْعَبْدَ وَهُوَ عَلَى فِرَاشِهِ وَفِي سُوقِهِ، وَفِي حَالِ صِحَّتِهِ وَسَقَمِهِ، وَفِي حَالِ نَعِيمِهِ وَلَذَّتِهِ، وَمَعَاشِهِ وَقِيَامِهِ وَقُعُودِهِ وَاضْجَاعِهِ، وَسَفَرِهِ وَإِقَامَتِهِ، فَلَيْسَ فِي الْأَوْقَاتِ شَيْءٌ يَعْمُ الْأَوْقَاتَ وَالْأَحْوَالَ مِثْلَهُ.

الخامسة والثلاثون: أَنَّ الذِّكْرَ نُورٌ لِلذَّاكِرِ فِي الدُّنْيَا، نُورٌ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنُورٌ لَهُ فِي مَعَادِهِ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى الصِّرَاطِ.. وَلَا جِلَّ ذَلِكَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُبَالِغُ فِي سُؤَالِهِ رَبَّهُ مِنَ النُّورِ حَتَّى سَأَلَهُ -جَلَّ وَعَلَا- أَنْ يَجْعَلَ
النُّورَ فِي لَحْمِهِ وَعِظَامِهِ، وَعَصَبِهِ وَشَعْرِهِ، وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ، وَمِنْ فَوْقِهِ وَمِنْ تَحْتِهِ،
وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، وَمِنْ خَلْفِهِ وَمِنْ أَمَامِهِ، حَتَّى قَالَ: ((وَاجْعَلْنِي نُورًا)).
فَسَأَلَ رَبَّهُ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ النُّورَ فِي ذَاتِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ مُحِيطًا بِهِ مِنْ
جِهَاتِهِ، فَدِينُ اللَّهِ نُورٌ، وَكِتَابُهُ نُورٌ، وَرَسُولُهُ نُورٌ، وَدَارُهُ الَّتِي أَعَدَّهَا لِأَوْلِيَائِهِ نُورٌ
يَتَلَأَلَأُ، وَاللَّهُ تَعَالَى نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمِنْ أَسْمَائِهِ النُّور -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
السَّادِسَةُ وَالثَّلَاثُونَ: أَنَّ الذِّكْرَ رَأْسُ الْأُصُولِ، وَطَرِيقُ عَامَّةِ السَّالِكِينَ وَمَنْشُودُ
الْوِلَايَةِ، فَمَنْ فُتِحَ لَهُ فِيهِ؛ فَقَدْ فُتِحَ لَهُ بَابُ الدُّخُولِ عَلَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-،
فَلْيَتَطَهَّرْ وَلْيَدْخُلْ عَلَى رَبِّهِ؛ يَجِدْ عِنْدَهُ كُلَّ مَا يُرِيدُ، فَإِنْ وَجَدَ رَبَّهُ تَعَالَى وَجَدَ كُلَّ
شَيْءٍ، وَإِنْ فَاتَهُ رَبُّهُ -جَلَّ وَعَلَا- فَاتَهُ كُلُّ شَيْءٍ.
السَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ: أَنَّ الذِّكْرَ يَجْمَعُ الْمُتَفَرِّقَ وَيُفَرِّقُ الْمُجْتَمِعَ، وَيُقَرِّبُ الْبَعِيدَ
وَيُبْعِدُ الْقَرِيبَ، فَيَجْمَعُ مَا تَفَرَّقَ عَلَى الْعَبْدِ مِنْ قَلْبِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَيُفَرِّقُ مَا اجْتَمَعَ
عَلَيْهِ مِنَ الْهُمُومِ وَالْغُمُومِ وَالْأَحْزَانِ وَالْحَسَرَاتِ.
وَيُفَرِّقُ أَيْضًا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَهُ مِنْ جُنْدِ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّ إِبْلِيسَ -عَلَيْهِ لَعْنَتُ اللَّهِ- لَا
يَزَالُ يَبْعَثُ لِلْعَبْدِ سَرِيَّةً بَعْدَ سَرِيَّةٍ، وَالذِّكْرُ يُقَرِّبُ الْآخِرَةَ وَيَعْظُمُهَا فِي قَلْبِ
الذَّاكِرِ، وَيُصَغِّرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنَيْهِ وَيُبْعِدُهَا عَنْ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ.
الثَّامِنَةُ وَالثَّلَاثُونَ: أَنَّ الذِّكْرَ يُنَبِّهُ الْقَلْبَ مِنْ نَوْمِهِ، وَيُوقِظُهُ مِنْ سِنْتِهِ، وَالْقَلْبُ إِذَا
كَانَ نَائِمًا فَاتَتْهُ الْأَرْبَاحُ وَالْمَتَاجِرُ، وَكَانَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ الْخُسْرَانُ.

التَّاسِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ: أَنَّ الذِّكْرَ شَجَرَةٌ تُثْمِرُ الْمَعَارِفَ.

الرَّابِعُونَ: أَنَّ الذَّاكِرَ قَرِيبٌ مِنْ مَذْكُورِهِ، وَمَذْكُورُهُ مَعَهُ، وَهَذِهِ الْمَعِيَّةُ مَعِيَّةُ الْوِلَايَةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالنُّصْرَةِ وَالتَّوْفِيقِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} (١) {وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} (٢) {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} (٣) وَلِلذَّاكِرِ مِنْ هَذِهِ الْمَعِيَّةِ الْخَاصَّةِ نَصِيبٌ وَافِرٌ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ الَّذِي رَوَاهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ: ((أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ)).

الْحَادِيَةُ وَالْأَرْبَعُونَ - مِنْ فَوَائِدِ الذِّكْرِ -: أَنَّ الذِّكْرَ يَعْدِلُ الضَّرْبَ بِالسَّيْفِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، بَعْدَ نَفَقَةِ الْأَمْوَالِ، وَالْحَمْلِ عَلَى الْخَيْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى.

الثَّانِيَةُ وَالْأَرْبَعُونَ: أَنَّ الذِّكْرَ رَأْسُ الشُّكْرِ، فَمَا شَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ لَمْ يَذْكُرْهُ.

الثَّلَاثَةُ وَالْأَرْبَعُونَ: أَنَّ أَكْرَمَ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ مَنْ لَا يَزَالُ لِسَانُهُ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِهِ، فَإِنَّهُ أَبْقَاهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَجَعَلَ ذِكْرَهُ شِعَارَهُ، وَالتَّقْوَى أَوْجَبَتْ لَهُ دُخُولَ الْجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ.

الرَّابِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ: أَنَّ فِي الْقَلْبِ قَسْوَةً لَا يُذْهِبُهَا وَلَا يُذِيبُهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-. قَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: يَا أَبَا سَعِيدٍ؛ أَشْكُو إِلَيْكَ قَسْوَةَ قَلْبِي.

(١) سورة النحل - الآية ١٢٨ .

(٢) سورة العنكبوت - الآية ٦٩ .

(٣) سورة التوبة - الآية ٤٠ .

الخامسة والأربعون: أَنَّ الذِّكْرَ شِفَاءٌ لِلْقَلْبِ وَدَوَاءٌ لَهُ، وَأَمَّا الْغَفْلَةُ فَمَرَضُهُ، وَالْقُلُوبُ مَرِيضَةٌ وَشِفَاؤُهَا وَدَوَاؤُهَا فِي ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

السادسة والأربعون: أَنَّ الذِّكْرَ أَصْلُ مُوَالَاةِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، وَأَمَّا الْغَفْلَةُ فَأَصْلُ مُعَادَاةِهِ، وَالْعَبْدُ لَا يَزَالُ يَذْكُرُ رَبَّهُ حَتَّى يُحِبَّهُ فَيُوَالِيَهُ، وَلَا يَزَالُ يَغْفُلُ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ حَتَّى يُبْغِضَهُ فَيُعَادِيَهُ.

السابعة والأربعون: أَنَّهُ مَا اسْتُجِلِبَتْ نِعَمُ اللَّهِ تَعَالَى وَاسْتُدْفِعَتْ نِقْمُهُ بِمِثْلِ ذِكْرِهِ، فَالذِّكْرُ جَلَابٌ لِلنِّعَمِ، دَفَاعٌ لِلنِّقَمِ.. قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: ((مَا أَقْبَحَ الْغَفْلَةَ عَنْ ذِكْرِ مَنْ لَا يَغْفُلُ عَنْ بَرِّكَ)).

الثامنة والأربعون: الذِّكْرُ يُوجِبُ صَلَاةَ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَمَلَائِكَتِهِ عَلَى الذَّاكِرِ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ فَقَدْ أَفْلَحَ وَفَارَ كُلُّ الْفَوْزِ { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا } (١) .

التاسعة والأربعون: أَنَّ مَنْ شَاءَ أَنْ يَسْكُنَ رِيَاضَ الْجَنَّةِ؛ فَلْيَسْتَوْطِنِ مَجَالِسَ الذِّكْرِ فَإِنَّهَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ.

الخمسون: أَنَّ مَجَالِسَ الذِّكْرِ مَجَالِسُ الْمَلَائِكَةِ، فَلَيْسَ مِنْ مَجَالِسِ الدُّنْيَا مِنْ مَجْلِسٍ إِلَّا هَذَا الَّذِي ذُكِرَ، وَهِيَ مَجَالِسُ الذِّكْرِ؛ مَجْلِسٌ يُذَكِّرُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ كَمَا فِي قَوْلِ

رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ((إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةٌ يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ؛ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ)) الْحَدِيثُ، وَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الْحَادِيَةُ وَالْخَمْسُونَ: أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ بِالذَّاكِرِينَ، كَمَا جَاءَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلَقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى. قَالَ: اللَّهُ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ؟ قَالُوا: اللَّهُ مَا أَجْلَسْنَا إِلَّا ذَلِكَ. قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تِهْمَةً لَكُمْ. قَالَ: وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَرَجَ عَلَى حَلَقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: ((مَا أَجْلَسَكُمْ هَاهُنَا؟)) قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ بِهِ عَلَيْنَا بِكَ. قَالَ: ((اللَّهُ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ؟)) قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسْنَا إِلَّا ذَلِكَ. قَالَ: ((أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تِهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جَبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَخْبَرَنِي: أَنَّ اللَّهَ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ)) . رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

فَهَذِهِ الْمُبَاهَاةُ مِنَ الرَّبِّ تَعَالَى دَلِيلٌ عَلَى شَرَفِ الذِّكْرِ عِنْدَهُ وَحُبِّتِهِ لَهُ، وَأَنَّ لَهُ مَزِيَّةً عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ.

الثَّانِيَةُ وَالْخَمْسُونَ: أَنَّ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ إِنَّمَا شُرِعَتْ إِقَامَةً لِذِكْرِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، فَالْمَقْصُودُ بِهَا تَحْصِيلُ ذِكْرِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا -، قَالَ تَعَالَى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} (١).

الثَّالِثَةُ وَالْخَمْسُونَ: أَنَّ أَفْضَلَ أَهْلِ كُلِّ عَمَلٍ؛ أَكْثَرُهُمْ فِيهِ ذِكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى، فَأَفْضَلُ الصُّوَامِ أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلَّهِ فِي صَوْمِهِمْ، وَأَفْضَلُ الْحُجَّاجِ أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلَّهِ فِي حَجِّهِمْ، وَأَفْضَلُ الْمُتَصَدِّقِينَ أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، وَهَكَذَا سَائِرُ الْأَعْمَالِ.

الرَّابِعَةُ وَالْخَمْسُونَ: أَنَّ إِدَامَةَ الذِّكْرِ تَنْوُبُ عَنِ التَّطَوُّعَاتِ، وَتَقُومُ مَقَامَهَا سِوَاهَا كَانَتْ بَدَنِيَّةً أَوْ مَالِيَّةً أَوْ بَدَنِيَّةً مَالِيَّةً كَحَجِّ التَّطَوُّعِ.

وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ صَرِيحًا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: ((أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ رَبِّ الْعَالَمِينَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ -يَعْنِي: أَهْلُ الْأَمْوَالِ- بِالذَّرَجَاتِ الْعُلَى، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، إلخ.

الْخَامِسَةُ وَالْخَمْسُونَ - مِنْ فَضَائِلِ الذِّكْرِ وَفَوَائِدِهِ -: أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَكْبَرِ الْعَوْنِ عَلَى طَاعَتِهِ، فَإِنَّهُ يُحِبُّهَا إِلَى الْعَبْدِ، وَيُسَهِّلُهَا عَلَيْهِ، وَيُلْذِذُهَا لَهُ، وَيَجْعَلُ قُرَّةَ عَيْنِهِ فِيهَا.

السَّادِسَةُ وَالْخَمْسُونَ: أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى يُسَهِّلُ الصَّعْبَ، وَيُسِّرُ الْعَسِيرَ، وَيُخَفِّفُ الْمَشَاقَّ.

السَّابِعَةُ وَالْخَمْسُونَ: أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- يُذْهِبُ عَنِ الْقَلْبِ مَخَافَهُ كُلَّهَا، وَلَهُ -أَي: لِلذِّكْرِ- تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي حُصُولِ الْأَمْنِ، فَلَيْسَ لِلْخَائِفِ الَّذِي قَدْ اشْتَدَّ خَوْفُهُ أَنْفَعُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-.

الثَّامِنَةُ وَالْخَمْسُونَ: أَنَّ الذِّكْرَ يُعْطَى الذَّاكِرَ قُوَّةً، حَتَّى إِنَّهُ لَيَفْعَلُ مَعَ الذِّكْرِ مَا لَمْ يُطِيقْ فِعْلَهُ بِدُونِهِ، أَلَا تَرَى كَيْفَ عَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ وَعَلِيًّا -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنْ يُسَبِّحَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِذَا أَخَذَا مَضَاجِعَهُمَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَيَحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَيُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ؛ لَمَّا سَأَلَتْهُ الْخَادِمَةُ، وَشَكَتَ إِلَيْهِ مَا تُقَاسِيهِ مِنَ الطَّحْنِ وَالسَّقْفِي وَالْخِدْمَةِ، فَعَلَّمَهَا ذَلِكَ وَقَالَ: ((إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ خَادِمٍ)). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قِيلَ: إِنَّ مَنْ دَاوَمَ عَلَى ذَلِكَ -أَيُّ: عَلَى هَذَا الذِّكْرِ عِنْدَ النَّوْمِ- وَجَدَ قُوَّةً فِي يَوْمِهِ مُغْنِيَةً عَنِ خَادِمٍ.

التَّاسِعَةُ وَالْخَمْسُونَ: أَنَّ أَعْمَالَ الْآخِرَةِ كُلَّهَا فِي مِضْمَارِ السَّبَاقِ، وَالذَّاكِرُونَ هُمْ أَسْبَقُهُمْ فِي ذَلِكَ الْمِضْمَارِ.

السُّتُونَ -مِنْ فَضَائِلِ وَفَوَائِدِ الذِّكْرِ-: كَثْرَةُ ذِكْرِ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- أَمَانٌ مِنَ النِّفَاقِ، فَإِنَّ الْمُنَافِقَ قَلِيلُ الذِّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى، قَالَ رَبُّنَا -جَلَّ وَعَلَا- فِي الْمُنَافِقِينَ: {وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} (١).

*** حقيقة الذكر:** هي تركيز اتجاه القلب إلى الله سبحانه وتعالى في كل

وقت من الأوقات، أما وسيلة الوصول إلى تلك الحقيقة فهي الذكر باللسان

الذي يشتمل على: تلاوة القرآن الكريم والأدعية المسنونة والأوراد اليومية.

يذكر الشيخ محمد عيسى الفيروز بوري فكر أستاذه وشيخه محمد إلياس

الكاندهلوي: هناك أربع مهام للوصول إلى حقيقة الذكر، يجب الالتزام بها في هذا المنهج حيث تبذل لها الجهود بكل يقين وإخلاص .

المهمة الأولى للوصول إلى حقيقة الذكر :

هي بذل كل الجهود الممكنة في فهم القرآن الكريم وقراءته، ومن المعلوم أن فضائل القرآن الكريم كثيرة لا تعد ولا تحصى، ويكفي أن كلام الله، وفضله على كلام الناس وغيرهم كفضل الخالق على المخلوق، وللقيام بهذه المهمة المقدسة وسائل وأساليب خاصة وأنواع وأشكال متعددة منها:

الشكل الأول: أن من يحفظ القرآن أو يقرؤه قراءة ناظرة مباشرة فعليه أن يحدد فترة يومية لتلاوة القرآن، ولو لنصف ساعة يوميا، ويحسن هذا في آخر الليل أو قبيل نوافل التهجد

الشكل الثاني: وهو يخص الذين لم يقرءوا القرآن بعد، فعليهم أن يحددوا نصف ساعة لتعلم القرآن الكريم، فيتعلم المرء كل يوم آية على الأقل، ويستمر في ذلك عازما على قراءة القرآن كله وإذا مات خلال تلك الفترة ولم يصل إلى ختم القرآن الكريم فإنه يبعث يوم القيامة من أهل القرآن.

الشكل الثالث: وإذا لم يقرأ المرء القرآن الكريم في حياته الماضية، أو لا يستطيع أن يقرأ - لأي سبب خارج إرادته - فعليه أن يهتم بسماع القرآن الكريم والالتزام به فهذا أيضا لا يخلو من البركة .

الشكل الرابع: فيتعلق بمن لا يستطيع الوصول إلى درجة مأثورة عن

أصحاب الرسول ﷺ، ولا يمكن له القيام على أية طريقة سبق ذكرها في الأشكال المذكورة آنفاً، ولم يستطع استخدام أية وسيلة أو أسلوب منها، أو لم يتحقق له أي نجاح في ذلك، لأسباب كبر السن أو الضعف أو عدم تهيؤ الفرصة له، أو كان من ساكني الغابات والصحراء البعيدة عن العمران المحرومة من أي نوع من أنواع المعرفة وعلم الدين، أو غير ذلك من الأسباب الخارجة عن إرادته .

فعلية ألا يقنط من رحمة الله، فإنه - مع كل ذلك - لن يُحرم من رحمة ربه، ولن تخلو حياته من بركات القرآن، حيث إنه أفضل بكثير من المرء المبعد نفسه عن نعمة القرآن.

فعلى مثل هذا الإنسان أن يحدد بعض الوقت في نهاره أو ليله للقرآن الكريم، حيث ستجرد فيه للمصحف الشريف ثم يتوضأ ويطيب جسده ثم يتوجه إلى القبلة ويفتح القرآن الكريم، ويمرر أصابعه عليه جملة جملة، وسطراً سطراً، وينظر في كلمات الله ويضع أصابعه عليها ويقول: هذا كلام ربي، هذا كلام ربي، حيث تكون العظمة والحب لله كامنة في قلبه والدموع ذارفة في عينيه، فعسى الله أن يقبل عذره ويتوب عليه ويغفر له تقصيره (أي تقصيره في قراءة القرآن) وينور قلبه بنور القرآن الكريم، بفضلته، إنه عليم حكيم.

✽ آداب تلاوة آيات الله البينات:

١. ترسيخ عظمة القرآن الكريم وحبه في القلب عند التلاوة.

٢. الطهارة الكاملة والوضوء، مراعيًا فيه (أي في الوضوء) جميع آدابه وخاصة السواك .

٣. تطيب الجسد، إذا أمكن ذلك بسهولة .

٤. التيقن بأن الله مستمع لهذه التلاوة.

٥. إذا ما جاءت حاجة للكلام مع أحد، فليكيف عن القراءة قبل الكلام، ثم يبدأ بعده بالتعوذ.

٦. وإذا كان من المستمعين فقط ، فعليه الاستماع بالحب والتوجه والصمت ، مراعيًا جميع الآداب المذكورة في هذا المجال .

٧. التدبر والتفكر العميق لما يقرأه.

٨. نية العمل والتبليغ لما يسمعه وتلوه.

★ المهمة الثانية للوصول إلى حقيقة الذكر:

قد وردت (الأذكار المتعددة) في السنة الشريفة، وذكرت لكل منها فضائلها وآدابها ، ولكن الشيخ محمد إلياس اختار لمنهجه ثلاثة أذكار تتناسب والمستويات المختلفة المشاركة في حركة الدعوة والتبليغ ، وذكر أهمية كل تسبيحة مع فضائلها ، وآدابها، وهي بالترتيب كما يلي :

الذكر الأول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ويقرأ هذا التسبيح مائة مرة صباحًا ومائة مرة مساءً ، ويستحسن تحديد

الأوقات لقراءتها ، مراعيًا ترتيب مواعيد الأعمال الأخرى .

الذكر الثاني : أو التسبيح الثاني، هو: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه (يقرأ مائتي مرة كل يوم ، ويستحسن قراءته في وقت واحد .

الذكر الثالث : أما الثالث فهو قراءة الصلاة والسلام على النبي ﷺ مائتي مرة في اليوم، ويختار منها أيسر ما ذكر في الحديث الشريف ، ويستحسن قراءة هذا العدد في وقت واحد .

★ **المهمة الثالثة للوصول إلى حقيقة الذكر:** هي الاهتمام بالأدعية المأثورة التي اهتم بها النبي ﷺ، حسب الأوقات والأعمال المختلفة في حياته الطيبة، مثل دعاء الدخول في المسجد وخروجه منه، ودعاء الدخول في البيت والخروج منه ودعاء النوم والاستيقاظ وأدعية الوضوء وبيت الخلاء، وغيرها مما جاء في السنة الشريفة .

★ **المهمة الرابعة للوصول إلى حقيقة الذكر:**

هي أن يتعود الإنسان على ذكر خاص من التسابيح المأثورة يجرى عليها لسانه طبقاً لظروفه وطبيعته، وهذا التعود يجنب الإنسان اللغو، كما يجعله مستحقاً للأجر والثواب .

ولا يعتبر اختيار تلك الأذكار المباركة رفض أو إنكار للأوراد والتسبيحات الأخرى، فالإنسان يذكر الله بأي صورة كانت، شريطة ألا تخرج عن إطار ما

جاء في الكتاب والسنة.

أما تحديد التسيّحات الثلاثة المذكورة في (المهمة الثانية للذكر)، مع الإشارة إلى العدد المحدد في منهجنا فهو للعامة المبتدئين فقط نظرا لكونهم من شتى المستويات في الفهم والإدراك وغيرها من الأسباب الهامة ، فإنه - بالتحديد - لا يُعتبر من قبل الوجوب أو اقتصار الأمر عليها ، وعدم اختيار غيرها من الأوراد المسنونة ، كما هو واضح في المهمات الأربعة المذكورة آنفا .

يقول العلامة الشيخ أبو الحسن علي الندوي (رحمه الله) : ألقى الشيخ محمد إلياس يوما خطبة قيمة، وهو في شدة مرضه الأخير من حياته، وأثناء الخطبة رفع صوته فجأة بشدة وكرر عدة كلمات هي: أكثروا الذكر فإنه حصن المؤمنين، يمنع الشيطان من الإغارة عليكم، وأكثروا فضائل التعليم والذكر أمام أبنائكم وبناتكم .

وجاء في ملفوظات الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) : إن الذكر حصن حصين وقلعة حافظة لصاحبها من شر الشياطين ، فبقدر ما يكون المكان مليئا بالشر والفساد تملؤه شياطين الجن والإنس ، فأكثروا الذكر في مثل تلك الأماكن بنفس القدر، تجنبوا لفسادهم وحفاظا على أنفسكم من شرورهم. (١).

★ علامة حقيقة الذكر:

(١) طمأنينة القلب: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ

(١) أهمية العلم والذكر في الاسلام للشيخ عبد الخالق بيرزاده.

تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿١﴾. فالذكر يجعل صاحبه مطمئن في كل حال، مثل يوسف عليه السلام.

(٢) محبة الله عز وجل.

(٣) طاعة الله عز وجل.

★ أهمية الذكر: جلاء الغفلة من القلب.

★ آداب الذكر: قال الإمام النووي (رحمه الله تعالى): ينبغي أن يكون الذاكر على أكمل الصفات، فإن كان جالساً في موضع استقبال القبلة وجلس متخشعاً متذللاً بسكينة ووقار، مطرقاً رأسه، ولو ذكر على غير هذه الأحوال جاز، ولو كان ذلك (أي: ترك الذاكر ذلك) بغير عذر كان تاركاً للأفضل، وينبغي أن يكون الموضع الذي يذكر فيه خالياً نظيفاً، ولهذا مدح الذكر في المساجد والأماكن الشريفة، وقد جاء عن أبي مسرة: ((لا يذكر الله تعالى إلا في مكان طيب))، وينبغي للذاكر أيضاً أن يكون فمه نظيفاً، فإن كان فيه تغير أزاله بالسواك (ونحوه)، وإن كان فيه نجاسة أزالها بالماء، فإن ذكر ولم يفعل، فهو مكروه وليس بحرام، وهو محبوب في جميع الأحوال، إلا في أحوال ورد الشرع باستثنائها، منها: عند الجلوس على قضاء الحاجة، وفي حالة الجماع، وفي حالة الخطبة لمن يسمع صوت الخطيب، وفي القيام في الصلاة؛ لأن عليه الاشتغال بالقراءة، وفي حالة النعاس، ولا يكره في الطريق، ولا في الحمام (١).

(١) سورة الرعد - الآية ٢٨.

(١) كتاب الأذكار للإمام النووي ص ١٨.

ولا بد من حضور القلب بين يدي الله.. ويبدأ بالاستغفار، ثم التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والحوقة ثم يختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.. الذكر بالمأثور من الكتاب والسنة.

★ فائدة: لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه، لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره. فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور، {وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ} (١).

★ الذكر ركن قوي في طريق القوم وهو أفضل الأعمال، قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣).

★ والذكر الكثير: أن لا ينساه أبداً: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (١): إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَفْرِضْ [عَلَى عِبَادِهِ] فَرِيضَةً إِلَّا [جَعَلَ لَهَا حَدًّا مَعْلُومًا، ثُمَّ [عَذَرَ أَهْلَهَا فِي حَالِ عُدْرِ، غَيْرَ الذِّكْرِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ حَدًّا يَنْتَهِي إِلَيْهِ،

(١) الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري.

(٢) سورة البقرة- الآية ١٥٢.

(٣) سورة الأنفال - الآية ٤٥، وسورة الجمعة - الآية ١٠.

(١) سورة الأحزاب - الآية ٤١.

وَلَمْ يَعْذُرْ أَحَدًا فِي تَرْكِهِ، إِلَّا مَغْلُوبًا عَلَى تَرْكِهِ، فَقَالَ: (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ) (١)، بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، [فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ]، وَفِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، وَالْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَالصَّحَّةِ وَالسَّقَمِ، وَالسَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، وَقَالَ: (وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) فَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ صَلَّيْ عَلَيْكُمْ هُوَ وَمَلَائِكَتُهُ (٢).

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ (٣).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَسَبَّحُ بِهِ (٤). قَالَ: لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مَن ذَكَرَ اللَّهَ " رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهَ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، (١) ورواه ابن حبان، وابن أبي شيبة، والحاكم.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَوْ أَنَّ رَجُلًا فِي حَجَرِهِ دَرَاهِمُ

(١) سورة النساء: الآية ١٠٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم «تفسير سورة الأحزاب» تفسير قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا) (الآية ٤١).

(٣) سورة البقرة - الآية ٢٠٠.

(٤) أي أتعلم به.

(١) مشكاة المصابيح - كتاب الدعوات - باب ذكر الله عز وجل والتوسل إليه ٢ / ٧٠٤.

يُقَسِّمُهَا، وَآخِرُ يُذَكِّرُ اللَّهَ، كَانَ الذَّاكِرُ لِلَّهِ أَفْضَلُ". (١).

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَّكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٌ لَّكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: "ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى" قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ" (٢).

فلا مدخل على الله إلا من باب الذكر فالواجب على العبد أن يستغرق فيه أوقاته ويبدل فيه جهده فإن الذكر منشور الولاية ولا بد منه في البداية والنهاية فمن أعطي الذكر فقد أعطي المنشور ومن ترك الذكر فقد عزل:

والذكر أعظم باب أنت داخله لله فاجعل له الأنفاس حراساً
فليلتزم العبد الذكر على كل حال، ولا يترك الذكر باللسان لعدم حضور قلبه فيه، بل يذكره بلسانه ولو كان غافلاً بقلبه فإن غفلتك عن وجود ذكره، أشد من غفلتك في وجود ذكره، لأن غفلتك عن ذكره أعراض عنه بالكلية، وفي وجود ذكره أقبال بوجه ما، وفي شغل اللسان بذكر الله تزيين جارحة بطاعة الله، وفي فقدته تعرض لاشتغالها بالمعصية، قيل لبعضهم: ما لنا نذكر الله باللسان والقلب غافل؟ فقال: اشكر الله على ما وفقك من ذكر اللسان، ولو

(١) رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وابن أبي شيبة في مصنفه.

(٢) رواه مالك، وأحمد والترمذي، وابن ماجه، إلا أن مالك أوقفه علي أبي الدرداء (مشكاة

المصابيح _ كتاب الدعوات - باب ذكر الله عز وجل والتوسل إليه ٢ / ٧٠٢).

أشغله بالغيبة ما كنت تفعل؟.

فليلزم الإنسان ذكر اللسان حتى يفتح الله في ذكر الجنان، فعسى أن ينقلك الحق تعالى من ذكر مع وجود غفلة، إلى ذكر مع وجود يقظة، أي انتباه لمعاني الذكر عند الاشتغال به، حتى يطمئن القلب بذكر الله ويكون حاضراً بقلبه مع دوام ذكره. (١).

* من أقوال الشيخ إلياس في باب العلم والذكر:

قال الشيخ (رحمه الله): يُفهم ترتيب جميع العاملين في عمل الدعوة هذا فهماً جيداً؛ أنّ الخروج في جماعة التبليغ ليس القصد منه تبليغ الغير فقط، بل المقصود به إصلاح أنفسنا، وتعليم وتربية أنفسنا أيضاً، فلذا لا بد أن يهتم اهتماماً أكثر في الانشغال في الذكر والتعليم لأنّ الخروج بدون الاهتمام في علم الدين وبدون ذكر الله ليس بشيء.

وإنّ علّم وذكر الأنبياء كان حسب تعليمات الله تعالى لهم، وعلّم وذكر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كان حسب تعليمات رسول الله ﷺ لهم وتحت إشرافه عليهم، ثم بعد ذلك لأهل كل زمان كان أهل ذلك القرن هم أهل العلم والذكر كأنهم هم خلفاء رسول الله ﷺ، فلذا لا يُستغنى في العلم والذكر عن إشراف الكبراء.

وقال الشيخ (رحمه الله): ومن الضروري أيضاً خاصة زمن الخروج إلى

(١) من كتاب إيقاظ الهمم في شرح الحكم (بتصرف قليل).

الخارج أن لا يشغل نفسه إلا في مشاغله الخاصة وهي كالآتي:

أ- جولات التبليغ. ب - العلم. ج - الذكر.

د - أن يتدرّب في خدمة رفقائه، خاصة الذين خرجوا وتركوا بيوتهم، وعامة
يخدم خلق الله جميعاً.

هـ - أن يهتمّ في تصحيح النية والإخلاص والاحتساب ، ويكرّر في تجديد
ذلك الإخلاص والاحتساب مراراً أثناء سفره بأنّ خروجه هذا فقط لوجه الله
تعالى ورغبة في نعماء الآخرة التي وعدنا بها على نصرّة الدين والخدمة وتحمل
المشاق في سبيله.. أعني أن يقرّر في قلبه هذا التصرّوّر بأنه لو أصبح خروجي
هذا خالصاً مخلصاً وقلبه الله تعالى فإذا لا بد من حصول النعم التي وعدنا بها
القرآن الكريم والأحاديث وهي كذا وكذا... على كل حال يحدّد تركيز فكره
على اليقين بالمواعيد الإلهية ورجائها مراراً وأن يربط عمله كلّ على نفس اليقين
ونفس التركيز الفكري فهذا هو الذي يسمّى بالإيمان والاحتساب وهذا هو
روح أعمالنا.

وقال الشيخ (رحمه الله) : إنّ سيركم كلّ وجهدكم هذا كلّ سيكون هباءً
منثوراً إذا لم تهتمّوا معه في علم الدين وذكر الله اهتماماً بالغاً ، فإنّ العلم والذكر
مثل الجناحين ، فبدونهما لا يمكن الطيران في الهواء ، بل الخطر شديد والخشية
قوية أن لو تغافلنا عن هذين الشيئين فحينئذ يكون هذا الجهد باباً جديداً للفتنة
والضلال ، فإذا لم يكن العلم موجوداً فيكون الإسلام والإيمان عادة روتينية

وبالاسم فقط ، فإن كان العلم موجوداً بدون ذكر الله فإنه ظلمة محضة ..
وبتعبير آخر أن قصده ليس أن تكونوا عساكر فقط بل طلبة علم الدين وعبيد
الله الذاكرين له أيضاً.

وقال الشيخ (رحمه الله) : إنّ في تبليغنا هذا أهمية عظيمة للعلم والذكر؛
فبدون العلم لا يمكن تأدية العمل ولا تحصل معرفة العمل، والعمل بدون
الذكر ظلمة محضة فلا يمكن أن يكون فيه نور بدونه، ولكن رجالنا القائمين
بالعمل فيهم نقص نحوه..... أنا قلق جداً من قلة العلم والذكر، وسبب هذا
النقص هو أنه لم يشترك حتى الآن أهل العلم وأهل الذكر في هذا العمل، فإذا
أتوا هؤلاء الكرام ويأخذوا مسؤولية هذا العمل في أيديهم فحينئذ يكمل هذا
النقص ، ولكن العلماء وأهل الذكر لم يشتركوا في هذا العمل إلى الآن إلا قليلاً.

وقال الشيخ (رحمه الله) : إنّ أحببنا أينما ذهبوا فعليهم أن يحاولوا الحضور
في خدمة العلماء الصالحاء الحقانيين بذلك المكان، ولكن هذا الحضور لا يقصد
به إلا الاستفادة منهم فلا تدعوهم مباشرة لهذا العمل، لأن مشاغلهم التي هم
مشغولون فيها يفهمونها جيداً متأكدون بتجربتهم من منافعها، وأنتم لا
تستطيعون إقناعهم بكلامكم أنّ هذا العمل أكثر فائدة للدين وأكثر فائدة لهم
من مشاغلهم الدينية ، فتكون النتيجة أنهم لا يجيبونكم، وحينما يقول: لا، مرة
واحدة فتحويل تلك اللا إلى نعم صعب جداً، فربما يكون من نتائجها السيئة أن
لا يسمعكم عامة الناس الذين يقدرّونهم ومن الممكن أن يدخل الشك فيكم،

لذا لا تزورهم إلا للاستفادة منهم فقط .. ولكن يُجْتَهد في العمل في بيئتهم مع المراعاة والاهتمام منهم الخاص في التمشي بالأصول، فبهذا نأمل أن تصل أخبار عملكم ونتائجها التي تكون سبب دعوتهم وبذل توجّهم، فبعد ذلك إذا توجّهوا إليكم وإلى عملكم من تلقاء أنفسهم فحينئذ يُعرض عليهم بأن يقوموا بالإشراف عليكم ويرعوكم ومع مراعاة الأدب والتقدير الديني لهم يُعرض عليهم كلامكم.

وقال الشيخ (رحمه الله): ليفكّر كثيراً في أن يشترك العلماء والصلحاء في جهد التبليغ والتربية وأن يرضوا ويطمئنوا له، وأينما علم عنهم أنهم خالفوا ولم يرتاحوا له فاعتبروهم أنهم معذورون، أولوا عنهم تأويلاً حسناً واستمروا في الحضور في خدماتهم بنية الاستفادة الدينية. (١).

وقال الشيخ (رحمه الله): إن العلماء هم أعمدة هذه الأمة وثروتها، والعلوم التي تدرس في المدارس الدينية هي التراث الحقيقي للإنسان في الدنيا وزاده للآخرة، ولا يمكن الرقي والتقدم إلا بتحصيل العلوم، ولكنها لا تنفع بدون العمل الخالص والتنفيذ الجاد.

وقال الشيخ (رحمه الله): إن العلم بدون العمل ودون التدريب العملي به يؤدي إلى الفساد، والواقع يثبت هذا الأمر، كما تدل على ذلك الظروف الراهنة، إذ جعل البعض التعليمات الإسلامية سلاحاً سياسياً أو فتاوى التكفير، فهل كان

(١) ملفوظات الشيخ إلياس لمنظور نعماني .

هذا هو الهدف من تحصيل العلم الذى نتجت عنه تلك النتائج المؤلمة في الأوساط العلمية، فما بالناس بأوساط العوام التي لا تعرف من الدين شيئاً؟.

لماذا اختار العلامة الداعية الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي (رحمه الله) الذكر كركن أساسي في منهجه العملي للحركة الإيمانية؟

ج: نظراً لأهمية (الذكر) البالغة في الإسلام وتأکید الكتاب والسنة المطهرة عليها، اختار الشيخ محمد إلياس (الذكر) كركن أساسي في منهجه العملي للحركة الإيمانية، وذلك لأن (الذكر) له دور أساسي في الحفاظ على (الإيمان والعبادات والعلم والأخلاق والإخلاص) والقيام بالدعوة والتبليغ وبذل الجهود في إحياء الدين والتضحية ففى الدفاع عنه.

فلا يمكن للإنسان المسلم الوصول إلى قارب النجاة إلا بنصرة الله، ولا تأتى النصر إلا بالعلاقة الوثيقة مع الناصر، فأقوى وسيلة لتوثيق هذه العلاقة هو الذكر

فكلما انهمك الإنسان في ذكر الله، ازدادت قيمة العمل والعلم والصلاة والإيمان، وكلما غفل الإنسان عن ذكر الله، قلت قيمة أعماله وضعفت قوة إيمانه، وانتكست معنوياته، واختفت طمأنينة القلب وتأثرت حركة القلب، ونتيجة لذلك يبدأ الإنسان يميل إلى اتباع أهواء نفسه أكثر من طاعة الله ورسوله. (١)



(١) أهمية العلم والذكر للشيخ عبد الخالق بيرزادة .